
الختمية
في السودان
د.طارق احمد عثمان محمد
Dr.Binibrahim Archive



للختمية إرث أدبي وفكري ضخم وكذلك الختمية والسمانية توجد عندهما أكبر قدر من المؤلفات والمصنفات الصوفية، مما يدل على غزارة الثقافة الصوفية التي توفرت عند مشايخ هاتين الطريقتين.

الكتاب على جهة العموم مرجع هام جدا لكل راغب في الإحاطة بتاريخ الختمية وفيه معلومات دقيقة ومفصلة لا تجدها إلا في هذا السفر العظيم من المراجع والتراجم في السودان، ولقد أخطأ [illegible] حينما لم يعتمد على ابن إدريس الشيخ في إيراده التواريخ [illegible] فهو لم يقف على الإفادة ومن هنا نبع العتب على المؤلف.

الختمية في السودان

(دراسة تحليلية لآثارها الدينية والاجتماعية والسياسية)

بقلم: د. طارق أحمد عثمان محمد

الطبعة الأولى 2017م

المحتـويات

الإهداء..5
شكر..6
بين يدي الكتاب...8
مقدمة...13

الفصل الأول

الختمية نشأتها وتطورها وأهم معتقداتها

المبحث الأول: نشأة الختمية وتطورها.................32
رحلات الميرغني في إطار نشره لدعوته: 42
اسباب نجاح الميرغني في السودان....................49
المبحث الثاني: الأصول الفكرية للطائفة وأهم تعاليمها..60
الختمية أو القطبية: 69
ولاية آل البيت..72
الكرامات...74
الخلفاء..77

العبادة والذكر عن الختمية..............................78

الفصل الثاني

الختمية والدولة المهدية

المبحث الأول:المهدية والطرق الصوفية.............93

أولا: نشأة محمد أحمد المهدي وصلته بالسمانية..93

ثانيا: الفكرة المهدية والتصوف......................96

ثالثا: المهدية والطرق الصوفية......................102

رابعا: صلة المهدي بالطريقة السمانية وخلافه مع شيخها..103

المبحث الثاني:الختمية والدولة المهدية...........106

الختمية والطريقة المجذوبية.......................116

الفصل الثالث

الختمية والحكم الثنائي إلى الاستقلال

المبحث الأول:الختمية والحكم الثنائي...........128

المبحث الثاني:الختمية وقيام الأحزاب السياسية وتطورها..136

أولا: مؤتمر الخريجين..................................136
ثانيا: الأحزاب السياسية والحكم الذاتي...............143
القيادة داخل الطريقة الختمية...........................148
مشيخة الختمية بعد وفاة محمد عثمان (الأقرب)..154
أولا: الأراضي...160
ثانيا: الإعانات المالية..................................162
ثالثا: قبة السيد الحسن بكسلا...........................163
السيد على الميرغني (1879 – 1968) 167
خاتمة البحث..213.
ملاحق...218
قائمة المراجع والمصادر..............................234

الإهـــــــداء

إلى والدي..الدكتور/ أحمد عثمان محمد إبراهيم (رحمه الله تعالى)

والذي عمل أستاذاً في قسم التاريخ بجامعة الخرطوم وفي جامعات أخرى خارج البلاد، وقدم العديد من الكتابات المهمة في تاريخ السودان الحديث إلى أن وافاه الأجل المحتوم تقبله الله قبولاً حسناً.

شكر

لابد لي وأنا أقدم هذه الطبعة للقراء الكرام أن أشكر عددا من الأساتذة والإخوة الذين أعانوني في عملي هذا، وعلى رأس هؤلاء أستاذي البروفيسور حسن مكي محمد أحمد والذي وجدت فيه كل صفات العالم الصادق الذي يتمثل القرآن في حياته قولا وعملا وفكرا، وقد كان لي بمثابة الاخ الأكبر، توجيهاً وإرشاداً، إنني اعترف بعنايته البالغة بي واهتمامه الشخصي بما انجزت، ولا أستطيع في هذا المقام أن أوفيه حقه على ما بذل وقدم.

وأثنى كذلك على الشيخ البروفيسور حسن الفاتح قريب الله (رحمه الله تعالى) سليل البيت الطيبي الطاهر وأحد قيادات الجماعة السمانية في السودان، واسوق الشكر أيضا وافرا للأستاذ الجليل الدكتور علي صالح كرار مدير دار الوثائق المركزية (سابقاً)، وللدكتور أحمد الميرغني وللسيد محمد الأمين الميرغني وللسيد محمد سر الختم الميرغني من آل الميرغني حفظهم الله ورعاهم، وللبروفيسور يوسف فضل حسن والدكتور زين العابدين عبد الحميد السراج (رحمه الله تعالى)، والدكتور الناصر أبو كروق، اسال الله لهم جميعا أن يثيبهم على ما قدموا وأن يجزيهم خير الجزاء.

طارق أحمد عثمان محمد

أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة

أكتوبر 2017م

بين يدي الكتاب

لقد كان إقبالي على دراسة طائفة الختمية وتاريخهم ونقد آرائهم ومواقفهم وتحليلها، نتيجة لإلماع لطيف، وإشارة موفقة من لدن البروفيسور حسن مكي محمد أحمد الذي أشرف فيما بعد على الدراسة ورعاها بعد أن كانت مجرد فكرة.

والواقع أن تاريخ الختمية يخشى الباحث الأمين من تناوله ولا يقدم على ذلك إلا بعد تردد ومراجعات عدة ومرة ذلك التخوف يرجع إلى أن تاريخ هذه الطائفة مشوب بالسياسة مرتبط بالحكم ووسائطه، والسلطة وعدتها، لذلك يتعذر على الباحث في أكثر الأوقات في مثل هذه الدراسة، من أن يحصل على معلومات خالية من التلفيق أو الزيادة أو التحوير، وتكثر أمامه الآراء التي يغلب عليها الهوى والميل الحزبي والتعصب من المعارضين والمؤيدين على حد سواء فيصبح انتقاء الحقيقة المجردة صعب في مثل هذا الجو الثائر والأمواج المتلاطمة.

هذا لا يعني أن الدراسات العلمية قصرت عن الإحاطة بتاريخ الختمية بل توجد كتابات جادة ومهمة في تاريخ

الختمية، فلقد نهض عدد من المؤرخين بعبء الكتابة عن الختمية، من أبرز هؤلاء جون فول والذي جعل عنوان أطروحته الجامعية (تاريخ الطريقة الختمية في السودان) ، ونال الباحث على صالح كرار درجة الدكتوراه عن دراسته المتميزة (الطرق الصوفية في السودان حتي عام 1900م، مع التركيز على منطقة الشايقية)، هناك أيضا البحوث الجليلة التي قام بها العالم الكبير محمد إبراهيم أبو سليم (رحمه الله تعالى) في تحقيق تراث الختمية أضاف إلي ذلك المجهودات القيمة التي بذلت للتعريف بمدرسة أحمد بن إدريس وتعاليمه، ومن أوضح الذين قاموا بهذه المجهودات استاذي البروفيسور حسن مكي محمد أحمد والدكتور يحيي محمد إبراهيم (رحمه الله تعالى) وأيضا الدكتور على صالح كرار الذي كتب عن الطريقة الإدريسية في السودان .

وللختمية إرث أدبي وفكري ضخم، ويمتلك الختمية والسمانية دون غيرهما، أكبر قدر من المؤلفات والمصنفات الصوفية، مما يدل على غزارة المادة العلمية التي توفرت عند مشائخ هاتين الطريقتين.

أما بالنسبة لتاريخ الختمية من أفواه أتباعها فإن أوضح مصنف يظهر لنا في هذا المجال، هو مصنف (الإبانة

النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية) لمؤلفه خليفة الخلفاء أحمد بن محمد النصيح المشهور بابن ادريس الرباطابي وهذا الكتاب طبع طبعتان الطبعة الأولي كانت بواسطة الختمية أنفسهم الذين اعتمدوا على نسخة كانت موجودة في مكتبة السيد على الميرغني بالإسكندرية وهي بخط المؤلف نفسه، ولقد قام بعملية التحقيق الدكتور أبو سليم والكتاب فيه إشارات واضحة إلى طريقة بداية الختمية في السودان، وإرتيريا وكيف ازدهر وتنامي عدد أتباعها على يد مؤسسيها الأساسيين في السودان محمد عثمان وإبنه محمد الحسن.

والكتاب على جهة العموم مرجع هام جدا لكل راغب في الإحاطة بتاريخ الختمية وفيه معلومات دقيقة ومفصلة لا نجدها إلا في هذا السفر العظيم عن المراغنة وآثرهم في السودان، ولقد أخطأ من قبل جون فول حينما لم يعتمد على ابن إدريس النصيح في إيراده للتواريخ والمعلومات، فهو لم يقف على الإبانة ومن هنا تنبع أهميةهذا المؤلف.

وتوجد دراسات اخرى لمعاصرين من أمثال الدكتور احمد محمد أحمد جلي، والذي كتب كتابا تحت عنوان (طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها) يتناول هذا الكتاب الختمية مع التركيز على تعاليمها ومعتقداتها

ووزنها بميزان الشرع ومعرفة مدى مطابقة هذه الافكار للشريعة الإسلامية، وينبغي أن نشير هنا إلى أن مُسمى (طائفة) هو مُسمى تعتريه ظلال وربما لا يتفق من حيث الصحة اطلاقه على جماعة الختمية في السودان، أما آثر الطريقة السياسي وحركتها الدينية يأتي في هذا الكتاب بصورة موجزة مع إشارات عامة لأبرز سمات العمل السياسي للطريقة الختمية، ولا تخلوا هذه الدراسة من عيوب ونقص ، ويبدو وكأنها كتبت للنيل من مسارات الختمية وأنشطتهم السياسية . ولقد افاض المؤلف ، وتوسع عند كلامه عن عقائد الختمية وحلل أفكارهم تحليلا كبيرا ونسب إليهم عددا من الآراء الفلسفية ، وقد بينت بعض أقوال الدكتور جلي ورددت عليها ، وهناك أيضا كتاب آخر لأحد انصار الختمية هو السيد محمد حامد محمد خير بعنوان (الختمية العقيدة والمنهج والتاريخ) ، وهو يتكلم بلغة الدفاع والنصرة عن جماعته مما يفقده أهم السمات العلمية التي يجب أن يتصف بها البحث الجاد ويبدو لي أنه عندما يتناول سيرة مشائخ الختمية فهو يعتمد على الروايات الشفهية، لكن دراساته هذه توضح جزءا من أنماط التفكير والتحليل عند الختمية.

الواقع أن الحركة الدينية الكبيرة التي قادها البيت الميرغني في السودان ، شكلت ظاهرة فردية ، وعبرت عن تيار متميز في تاريخ الدراسات السودانية ، إن الوجود الضخم لأتباع الختمية ، والإمتداد الكبير لهذه الجماعة على جميع المستويات، والتأثير البالغ الذي بدأ واضحا عند أغلب أهل السودان نتيجة لإسهامات هذه الجماعة ، كل هذه الأشياء تقود المرء أن يتحسس مصادر القوة والدفع التي جعلت من الطريقة الختمية تأخذ هذا الحيز الكبير في نفوس السودانيين وتجد هذا القبول المتعاظم في وقت من الاوقات من تاريخ هذا البلد، إن الطريقة الختمية إسلامية المنشأ والأصل، واعتمدت في فكرها وخطابها وعملها على الدين الإسلامي الحنيف مما خلف أعظم النتائج على أهل السودان في أحداث الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي، ولقد أورثت الطريقة الختمية الذهنية السودانية حتى منتصف هذا القرن دينا وعلما ، وربطت هذه العقلية بالإسلام أكثر فأكثر ونمت بها حب الإسلام وشريعته.

مقدمة:

بواكير الدعوة الإسلامية في السودان:

(أ) دخول الإسلام إلى السودان:

مع بدايات ظهور الإسلام في مناطق شبه الجزيرة العربية كانت البلاد التي يمكننا أن نطلق عليها اسم (السودان الشرقي) أو (سودان وادي النيل) تتكون من أرض البجة – والتي تشمل تقريبا موطنهم الحالي – وثلاث ممالك امتد نفوذها ووجودها بين (أسوان) و(سنار) والممالك الثلاث هي:

أولا: مملكة المريس (نوباتيا) وقد أتحدت مع المملكة الثانية (المقرة) وكونتا مملكة النوبة وعاصمتها دنقلة، أما المملكة الثالثة فهي علوه وعاصمتها سوبا[(1)].

ولقد استطاعت المسيحية مع بداية القرن السادس الميلادي أن تصبح الديانة الأولى الأعظم إنتشارا بين سكان مملكتي النوبة وعلوة وان يعتنقها القليل من ابناء البجة. ولهذا عندما جاء الإسلام عبر الفتوح الإسلامية إلى تلك المنطقة وجد أن المسيحية قد تأصلت وتعمقت بجذور ثابتة وقوية، وغدت من المكونات الاساسية (للجماعات النوبية)[(2)]. ولعل هذا يوضح لنا حقيقة الهجمات التي قام

بها النوبة على صعيد مصر التي كانت في الواقع تعبر عن صور من صور التعاطف الديني لدى النوبيين تجاه أقباط مصر الذين تعرضوا للهزيمة من قبل الجيوش الإسلامية (سنة 641م)[3]. لقد كان هناك ارتباط وثيق وحميم بين الكنيسة النوبية وكنيسة الإسكندرية الشيء الذي دفع الأولي إلى مقاومة الحملات الإسلامية على أراضيها والوقوف في وجه الفاتحين المسلمين.

والواقع إن الإسلام لم يتسرب إلى هذه البلاد عن طريق مصر وحسب لكن هناك طريقتين آخرين دخل الإسلام من خلالهما إلى منطقة السودان الشرقي.

أولهما: طريق يأتي من الحجاز عبر البحر الأحمر عن طريق موانئ باضع وعيذاب وسواكن.

ثانيهما: من المغرب عبر أواسط بلاد السودان[4].

ولقد قاد المسلمون عبر مصر بعد أن تم لهم فتحها، حملات تأديبية لبلاد النوبة ولاقت رغبة الخليفة عمر رضي الله عنه مع رغبة قائده في مصره عمرو بن العاص بضرورة غزو أراضي النوبة لضمان المحافظة على أطراف مصر من ناحية الجنوب وتأمين طريق التجارة القديم بين البلدين[5]. ولن يكون ذلك إلا بإسكات

إعتداءات النوبة. وتتفق المصادر العربية، أن حملتين رئيسيتين قد دخلتا أرض النوبة، أولاهما: في ولاية عمرو بن العاص بأمر من أمير المؤمنين كما وضحنا من قبل والتي كانت في 21هـ -641م.

والثانية: في عند عبد الله بن سعد بن ابي سرح عام 31هـ - 651م.

لم تفلح الحملة التي سيرها عمرو بن العاص بقيادة عقبة بن نافع في وقف تحرشات النوبة مما دفع عبد الله بن سعد بن ابي سرح إلى توجيه حملة السلمين الثانية على بلاد النوبة[6]. وتمكن جيش إبن ابي السرح من التوغل جنوبا حتى دنقلة عاصمة الدولة المسيحية الشمالية المقرة وحاصرها حصارا شديدا واستخدم المنجنيق في ضرب المدينة فخربت كنيستهم مما دفع ملكهم إلى الصلح مع المسلمين الذين وقعوا معهم عهدا عرف في التاريخ باسم (البقط)[7].والذي كانت من أهم بنوده أن يدخل الطرفان المتحاربان أرض الطرفين مجتازين غير مقيمين وان يحافظ النوبة على المسجد الذي أبتناه المسلمون بفناء مدينتهم وان لا يمنعوا عنه مصليا وعليهم كنسه وإسراجه وتكريمه وعليهم دفع 360 رأسا، من أواسط رقيقهم يدفعونها إلى أمام المسلمين[8].

أعقب هذه الهزيمة إقبالا من العشائر العربية على شراء الاراضي من النوبيين في منطقة المريس والاستيطان فيها، وهناك صاهروا النوبيين واختلطوا بهم، وإلى هذه المجموعة يرجع الفضل في نشر الدين الإسلامي في تلك البقاع.

لقد كان لبني الكنز وهم فرع من ربيعة، النصيب الأكبر في تدعيم النفوذ الإسلامي أواسط النوبة الذين سمحوا لهم بالزواج منهم والإختلاط بهم[9].

أما البجة فلم تسلم حدود مصر الجنوبية من هجماتهم فلقد تعرضت لغاراتهم في حوالي سنة 724م وصالحهم ابن الحبحباب ووقع معهم عقدا، ولكن ما لبثوا أن أعادوا هجماتهم على جبهة أسوان فجردعلهيم المأمون حملة بقيادة ابن الجهم في العام 232 هـ (841م) فوقعت بينهم معارك انتهى أمرها بموادعتهم وكتابة عقد مع رئيسه كنون بن عبد العزيز[10].

وأبان حملة ابن الجهم اكتشف العرب الذهب والزمرد في أرض المعادن ببلاد البجة، مما جعل جموع المسلمين الراغبين في المال في التدفق تجاه البلاد. وقاد نجاح بعض المهاجرين إلى توالي المزيد من الباحثين عن الثراء، قد

أسهم ذلك بدوره في نشر الإسلام بين السكان الأصليين بعد أن تم التزاوج والتصاهر بينهم وبين العرب[11].

لقد استطاعت هذه الهجرات الإسلامية المتعاقبة على بلاد السودان أن تؤدي بأهله في نهاية أمرهم إلى اعتناق الإسلام وإلي انهيار الممالك السودانية المسيحية تحت تأثير المد البشري المتزايد لجماعات المسلمين، كان نتيجة لهذه الهجرات أيضا قيام ثلاثة ممالك إفريقية إسلامية هي ممالك الفونج، وتقلي، ودارفور[12].

لقد كانت هناك أسباب رئيسية دعت المسلمين إلى الانتقال إلى أرض السودان الشرقي، ومن أهم هذه الأسباب:

1- الحملات الحربية التي جاءت من مصر إلى شمال السودان وشرقه.

2- البحث عن الاستقرار ولقمة العيش، فلقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه لايسمح للمحاربين بامتلاك الأراضي في البلدان المقترحة، مما دفعهم إلى الهجرة جنوبا التماسا للرزق.

3- الضغوط السياسية التي مارسها بعض الخلفاء تجاه العرب أمثال المعتصم وغيره. لقد كانت هذه الضغوط

سببا في نزوح العرب جنوبا هربا من عسف الحكام وظلمهم[13].

(ب) العلماء:

لم تدون لنا كتب التاريخ اسماء لعلماء وحفظة قرآن ومتصوفة من الذين وفدوا على السودان مع الهجرات العربية المتلاحقة، وإن كل مادون عن رجال الدين في السودان قد جاء متأخرا واعتمادا على الذاكرة، وحتى عندما كتب ود ضيف الله طبقاته في ذلك الوقت المتأخر من تاريخ الإسلام في السودان كان بعض القريبين إلى عهده قد انقطعت اخبارهم، وقد اشار هو نفسه إلى هذا الإنقطاع وعزاه لبعد الفترة الزمنية، لقد كان كتاب الطبقات على حد علم صاحبه لذلك هو لم يورد اخبارا لعلماء ومتصوفة وفقهاء، عاشوا في مناطق تبعد عنه، وتخرج عن إطار علمه[14].

يرى المؤرخون أن مدرسة غلام الله بن عائد في دنقلا كانت أولى المدارس العلمية في السودان ، ولقد كان وجودها في القرن الرابع عشر الميلادي ، وبعد مضي قرنان من الزمان جاءت مدرسة أولاد جابر بتأثيرات مصرية ، ولقد كان مقرها بجزيرة ترنج قرب الكاسنجر

بديار الشايقية ، ثم جاءت مدرسة نوري التي انشأها عبدالرحمن ود حمدتو الخطيب، ولقد تفرعت هذه المدرسة عن مدرسة أولاد جابر وبقيت هذه المدرسة لأكثر من قرن ومن أوضح الذين درسوا بها حمد الأغبش، وإبراهيم بن عبودي الفرضي ، وقد اسس مدرستين مستقلتين، وحمد المجذوب مؤسس الطريقة المجذوبية، ومن الذين تلقوا المعارف وأخذوا العلوم في مدرسة أولاد جابر، ابوإدريس العركي ويعقوب بان النقا، والشيخ صغيرون مؤسس مدرسة القوز وهو أستاذ أرباب العقائد والذي تخرجت على يديه أعداد غفيرة من العلماء من بينهم حمد أم مريوم وخوجلي عبد الرحمن وفرح ولد تكتوك[15].

لقد استقبل السودان عددا كبيرا من العلماء الوافدين إليه والذين عملوا على نشر الإسلام وتشييد أركانه وترسيخ قيمه وأفكاره، وامتدادها بين السكان، ومن أبرز هؤلاء الذين قادوا حركة الدعوة إلى الله من الوافدين عيسى ود الكنو الحضرمي والذي ينسب إليه إدخال رواية ورش التي يقرأ بها أهل شمال دنقلا والمحس، ومنهم ايضا الشريف حمد أب دنانة الحجازي والشيخ التلمساني المغربي، والشيخ مصطفي الحجازي وغيرهم[16].

اهتم العلماء الأوائل بتحفيظ القرآن للنشء وتدريسهم مباديء الفقه والتوحيد في إطار مذهب الإمام مالك والذي إرتضته غالبية السودانيين لقد كان معظم القادمين على السودان هم من صعيد مصر الذي عرف باتباعه لتعليم المذهب المالكي ، لذلك لقد قدر لهذا المذهب أن ينتشر ويجد القبول على يد هؤلاء ، كما أن الرواد الأوائل من الفقهاء سواء من درس منهم في مصر مثل محمود العركي وإبراهيم البولاد ومحمد صغيرون، أو من جاءوا ووفدوا من مصرنحو محمد القناوي المصري، كانوا من أتباع مذهب مالك وقد ادخلوا تدريس كتابي الرسالة ومختصر خليل في مدارس العلم التي قامت في السودان ، ولقد كان علماء المغرب الوافدين على هذه البلاد من المالكية أيضا، وقد اعتنقت قلة قليلة من السودانيين المذهب الشافعي(17).

(ج) الطرق الصوفية:

اعتمد الإسلام في السودان الشمالي على الطرق الدينية الإسلامية وهي عبارة عن جماعات جمعهم الاطمئنان إلى خصال وفضائل شيخ وقائد بعينه يؤدون بعض الطقوس المشروعة بشكل جماعي(18).

ويعتبر التصوف في السودان متنفسا طبيعيا، واتجاها حتميا للمزاج الديني والنزعة الروحية التي ظلت تجلل المجتمع السوداني[19]، ولقد عرف السودان التصوف مع بداية معرفته للإسلام على نحو ما يرى الدكتور عثمان سيد احمد إذ يظن أن التطور التاريخي للإسلام يدفعنا إلى القول بأن الصوفية وجدت طريقها إلى السودان عقب إنتشار الإسلام ودخوله مباشرة[20]. ويرى الدكتور أبو سليم أن الحركة الصوفية مرت في خلال مسيرتها المتطورة في السودان – بثلاث مراحل، مرحلة أولي:

لا تتوفر معلومات عنها لانقطاع الأخبار وهذا بالتأكيد لايعني أن السودانيين لم يشهدوا في هذه الفترة حركة صوفية، بل لقد مارسوا الحياة الصوفية كاملة بما فيها الإنتساب إلى الطرق والإشتغال بمذهب أهل الباطن في الحياة مرحلة ثانية:

أخذت فيها الطرق تظهر وتنمو وتتشعب وتأخذ اتجاهات جديدة على نحو مانجد في الطريقة الشاذلية والتي اهتمت بالجوانب العلمية لأن مؤسسها كان عالما ثم جاءت.

المرحلة الثالثة: والتي ظهرت نتيجة لمؤثرات الحجاز القوية في أواخر القرن السابع عشر، ولقد كانت الطرق التي ظهرت في هذه الفترة ذات اتجاه تجديدي مثل السمانية والختمية والإسماعيلية، ولقد اهتمت هذه الطرق اهتماما كبيرا بالدعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمهم ومبادئهم[21]. أما البداية المبكرة جدا للجماعات الصوفية في السودان فلقد ظهرت عبر الطريقة البكرية التي لم يكتب لها البقاء والاستمرار لأكثر من ثلاثة خلفاء بسبب حداثة معرفة السودانيين لمثل هذه الطرق القائمة على أساس التنظيم الجماعي[22]. ويعتبر تاج الدين البهاري رائد العمل الصوفي في السودان وهو الناشر الأول للطريقة القادرية أكثر الطرق ذيوعا وانتشارا في السودان، ولقد قدم هذا الشيخ إلى السودان كما يرى الشاطر البصيلي في العام الهجري 980[23]. أو في سنة 1577م كما يظن الدكتور عبد العزيز عبد المجيد[24]. ولقد تزوج وأقام بالجزيرة مدة سبع سنين أعطي خلالها طريقته القادرية لخمسة رجال منهم الشيخ محمد الهميم والشيخ بانقا الضرير[25]. ولقد اراد أن يدخل بعض السودانيين الآخرين في طريق القوم مثل الشيخ عبد الله بن دفع الله العركي ولكنه رفض معتذرا بانه فقيه ولا يقبل مع الفقه علما آخر يشغله عن الفقه،

ولكنه لما أحس بالمكانة التي تبوأها من سلك على يد البهاري فضل أن يكون من أهل هذه الطريقة ولحق بتاج الدين بأرض الحجاز ولكنه وجده قد توفي فأخذ الطريق عن خليفته حبيب الله العجمي وعاد إلى السودان مرشدا للناس في علمي الظاهر والباطن[26].

ويعتقد أن الطريقة الشاذلية دخلت السودان قبل قيام مملكة الفونج[27]. وقد أخذها الشيخ حمد ابن المجذوب من الشيخ على الدراوي تلميذ السيد أحمد بن ناصر الشاذلي[28]. ولقد ازدهرت هذه الطريقة في منطقة الدامر على يد المجاذيب حفدة الشيخ حمد حتى باتت تعرف وتشتهر بالطريقة المجذوبية[29].

ويظن عدد من الباحثين أن الطريقة الشاذلية دخلت السودان على مراحل وكثيرون منهم يعدون فرع الشيخ خوجلي (ت 1743م) سابقا لفرع الشيخ حمد المجذوب (ت 1776م)[30]. ولكن الواضح أنها الطريقة الأولى التي دخلت إلى السودان كما ذكرنا وعلى نحو ما نجد في الروايات أن إحدى بنات أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي تزوجها الشريف حمد أبي دنانة الذي نزح مع ابنه إلى السودان وسكنا في سقادي غرب (المحمية الآن) وذلك في سنة 1445هـ[31]. ويرجح الدكتور حسن الفاتح

قريب الله أن يكون عبد الله الشريف هو أول رائد للشاذلية في السودان وهو الذي أشار إليه ابن ضيف الله [32].

اما السمانية فقد نشر تعاليمها الشيخ أحمد الطيب البشير الجموعي عام (1793 -1853) الذي تلقى تعليمه في المدينة المنورة على يد مؤسس الطريقة الأولي الشيخ محمد عبدالكريم السمان ولقد كانت السمانية مظهرا من مظاهر الإصلاح الديني الذي اجتاح الولايات الجنوبية من الدولة العثمانية [33]، ولقد اشتهر البيت السماني بالعلم والتقوى والأدب ، ولقد أخذ الشيخ أحمد الطيب العلم عن جده الشيخ محمد ولد سرور وأرتحل إلى مسجد الشيخ العزازي بأم طلحة بالجزيرة ثم قصد المدينة ومكث فيها سبع سنين ، ولقد كان يقوم بعلاج الناس عقب عودته بالدعاء لهم بالبركة والشفاء ويروي أنه عالج أخ الشيخ الناصر ولد محمد أبي لكليك[34]. ، ولقد وجدت الطريقة السمانية قبولا واستحسانا عند بعض القبائل العربية في السودان مثل الجموعية والحلاوين اليعقوباب[35].

شاع التصوف في السودان شيوعا عظيما وظهرته آثاره على حياة الناس وعلى طرائق تعبدهم وسلوكهم الديني، وسادت في اجوائهم المصطلحات والعبارات الصوفية التي تدل على الواقع الصوفي العميق والقوى

عند السودانيين. ولقد انتشرت عدد من الأسفار ذات المضامين الصوفية نحو كتب عبد الوهاب الشعراني التي من بينها كتاب الطبقات الكبرى، وكتاب لطائف المتن والأخلاق في بيان التحدث بنعمة الله على الإطلاق[36].

ومن كتب الوطنيين في التصوف (كتاب الطبقات لود ضيف الله) الذي يترجم فيه لعدد من أهل العلم والفقه والتصوف والشعر وهو يفيض حديثا عن كرامات الأولياء وخوارق أفعالهم، ويرى الاستاذ / محمود برات ان الكتاب يفتقر إلى الوضوح والمنهجية وتسوده الفوضى وانعدام الرؤية العلمية الصحيحة[37]. غير ان الكتاب في رأينا جهد سوداني خالص لمؤلف وطني يعبر عما ساد في عصره من اعتقادات وافكار ويصور بوضوح حقيقة الفكر الإسلامي عن السودانيين في تلك الآونة. ويمكننا في نهاية هذا الوصف لإنتشار الحركة الصوفية في السودان أن نقول إن الطلائع الأولى من المتصوفة سعوا إلى نشر وتعميق مبادئ العقيدة الإسلامية بطرق سهلة وميسورة أساسها إلزام المريدين في إتباع منهج أخلاقي وسلوكي خاص مع المداومة على تلاوة أذكار وأوراد معلومة.

يرى الصادق المهدي أن التصوف في السودان قد حقق عدة غايات أهمها:

نشر الإسلام في السودان سلميا وشعبيا.

وإقامة قنوات قاعدية للتعليم الديني والإرشاد وتوسيع النظم الاجتماعية السودانية مع تحقيق وحدة ثقافة إسلامية لأن الطرق مع تعددها تجتمع على مصادر ثقافية موحدة ، لكن إزاء هذه الإيجابيات برزت عدة سلبيات أهمها كما يظن التسامح الذي عرف عند المتصوفة فتح الباب لكثير من العادات الوثنية والتقاليد الجاهلية لتجد طريقها إلى عقائد الناس ، كذلك أمام المكانة الكبيرة للشيخ عند الناس فتح المجال للدجل والاحتيال على عقول البسطاء[38].

في رأينا أن رياح التصوف التى غمرت السودان منذ بدايات دخول الإسلام وإنتشاره قد أسهمت وحدها بالإضافة إلى بعض المجهودات الفردية من العلماء، في ترسيخ وتدعيم، وتعميق الإحساس بالإنتماء إلى الإسلام، وبالإتصال بمناهج الفكر الإسلامي في زمن مبكر لم تنتج معه وسائط إتصال للتعرف على مصادر المعرفة عند المسلمين، ولقد حفزت الصوفية السودانيين ودفعتهم إلى اقتناء الكتب والاهتمام بها وتعظيمها ، وحببت العلم إليهم وزينته في نفوسهم رغبة في الإستزادة من نور الإسلام والنهل من معين الدين الصافي وهكذا فقد عمل التصوف

في السودان على ربط الناس بدينهم وتعريفهم به وعلى إيجاد العاطفة الدينية المتأججة في قلوب الناس.

هوامش المقدمة:

(1) يوسف فضل حسن (بروفيسور) دراسات في تاريخ السودان ج 1 ، ط أولي (الخرطوم: دار الطباعة ، جامعة الخرطوم 1975م ، ص 24-25.

(2) نفسه ، ص 25.

(3) يوسف فضل حسن (بروفيسور) من معالم تاريخ الإسلام في السودان ، المجموعة الأولي ، يوسف فضل وآخرون (الخرطوم – دار الفكر للطباعة والنشر) أغفلت تاريخ الطبع ، ص 21 - 22.

(4) ود ضيف الله ، محمد النور ، مقدمة كتاب الطبقات حققه وعلق عليه أ.د. يوسف فضل ، ط أولى (الخرطوم ، قسم التأليف والنشر 1971م) ، ص 2 الطباعون دار الطباعة ، جامعة الخرطوم.

(5) مصطفي محمد مسعد (دكتور) الإسلام والنوبة في العصور الوسطي ، بحث في تاريخ السودان وحضاراته حتى أوائل القرن 16 ميلادي (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية 1960م) ، ص 111

(6) يوسف فضل (بروفيسور) الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان (أعد المقالات للنشر مدثر عبدالرحيم والطيب زين العابدين ، ط أولي ، الخرطوم: دار الأصالة 1987) ، ص 14 بحوث من المؤتمر الأول لجماعة الثقافة الإسلامية – الخرطوم نوفمبر 1982م).

(7) مصطفي محمد مسعد (دكتور) ، مصدر سابق ، ص112

(8) يوسف فضل (أ. د) الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان ، ص 15 ، 16

(9) أحمد عثمان ابراهيم: تطور الوعي القومي في السودان (ود مدني مطابع دار النيل الازرق للطباعة والنشر (أغفلت تاريخ الطبع) ص 22.

(10) مصطفي محمد مسعد (دكتور) الإسلام والنوبة في العصور الوسطي ، ص 116

(11) يوسف فضل حسن (أ. د) دراسات في تاريخ السودان ، ص 36- 38

(12) محمد عمر بشير (أ. د) العلاقات العربية الإفريقية – دراسة تحليلية – جامعة الخرطوم ، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية 1984م ، ص 22

(13) أحمد عثمان ابراهيم ، مرجع سابق ، ص 19 – 20.

(14) محمد ابراهيم أبو سليم (أ. د.) بحوث في تاريخ السودان ، ط أولي (بيروت دار الجيل 1992) ، ص 23.

(15) المصدر السابق ، صفحات 25- 26- 27

(16) الطيب محمد الطيب ، المسيد ، ط أولي (الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر 1991) ص 78-81.

(17) يوسف فضل حسن (أ. د.) الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان ، ط أولي اعداد مدثر عبدالرحيم ، الطيب زين العابدين ، (الخرطوم ، دار الاصالة 1987م) بحوث من المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية ، الخرطوم 1982م ، ص 26.

(18) زكي بحيري (دكتور) التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان من الأزمة الاقتصادية العالمية وحتى الاستقلال 1930- 1956 ط أولي (النهضة المصرية 1987) ص 361.

(19) حسن محمد الفاتح قريب الله ، التصوف في السودان إلي نهاية عصر الفونج ، ط أولي ، مطبوعات كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم 1987م) ، ص 8.

(20) عثمان سيد احمد (دكتور) الدين والسياسة نشأة وتطور الختمية والأنصار مطبوع بالآلة الكاتبة ، ص10.

(21) محمد ابراهيم أبو سليم (أ. د.) (دور العلماء في نشر الإسلام في السودان) في بحوث في تاريخ اسودان ط. أولي (بيروت ، دار الجيل 1992) ، ص 25

(22) حسن محمد الفاتح قريب الله ، مصدر سابق ، ص 22.

(23) الشاطر بصيلي عبد الجليل ، مخطوطة كاتب الشونة ، ص 4.

(24) عبد العزيز عبد المجيد (دكتور) التربية في السودان ، ص 6.

(25) ود ضيف الله ، محمد النور ، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان حققه ، وعلق عليه ، وقدم له بروفيسور يوسف فضل حسن ط ثالثة ، الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم 1985م ، ص 128

(26) ود ضيف الله ، محمد النور ، مصدر سابق ، ص252 - 253

(27) يوسف فضل حسن ، دراسات في تاريخ السودان ، ص 76

(28) ود ضيف الله ، محمد نور ك مصدر سابق ، ص 188

(29) يوسف فضل الله ، دراسات في تاريخ السودان ، ص 76

(30) حسن محمد الفاتح ، مصدر سباق ، ص 118

(31) نفسه ، نفس الصفحة.

(32) يوسف فضل حسن (أ. د.) دراسات في تاريخ السودان ، ص 119.

(33) نفسه ، ص 76-77.

(34) زكي البحيري (دكتور) مصدر سابق ، ص 363

(35) يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان ، ص 76- 77.

(36) يوسف فضل (أ. د.) المصدر السابق ، ص 77

(37) محمود عبد الله برات: تعليم الفتاة في السودان (أهدافه ومناهجه من منظور إسلامي) في الإسلام في السودان ، ط أول ، أعد المقالات للنشر بروفيسور ، مدثر عبدالرحيم ، د. الطيب زين العابدين (الخرطوم ، دار الأصالة 1987) ، ص 183 ، اصل هذه البحوث قدمت في المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية بالخرطوم 27- 30 ديسمبر 1982م.

(38) الصادق المهدي: مستقبل الإسلام في السودان ، ط أولي (مؤسسة المدينة للصحافة 1983) ص 18-19

الفصل الأول

الختمية نشأتها وتطورها وأهم معتقداتها

المبحث الأول: نشأة الختمية وتطورها

المبحث الثاني: الأصول الفكرية للطائفة وأهم تعاليمها

المبحث الأول: نشأة الختمية وتطورها:

يرجع الفضل في تأسيس الختمية إلى السيد محمد عثمان (الختم) وهو ينحدر من أسرة عريقة في نسبها، وعظيمة في مكانتها لقد تمتعت هذه الأسرة بمنزلة رفيعة بسبب نبوغ رجالها واشتهارهم بالعلم والصلاح، ولإنتماء هذه الأسرة إلى الدوحة النبوية ومصادر الطريقة تورد سلسلة نسب طويلة لمحمد عثمان الميرغني تصل في نهايتها إلى الحسين بن فاطمة الزهراء بنت الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1]. لقد قويت سلسلة نسب البيت الميرغني لدى الشريف المرتضى الزبيدي واعتمدها بعد أن راجعها، ولا يشك أحد من المعاصرين لهذه الأسرة في صدق انتمائها إلى أسرة الإشراف ذات الوزن الاجتماعي والديني والسياسي[2]. يظن الدكتور جلي[3] أن سلسلة المراغنة تعتريها بعض الإشكالات.

أولا: يوجد اضطراب في عدد هذه السلسلة إذ أن فيها ثلاثة اسماء وردت في رواية السيد جعفر في لؤلؤة الحسن الساطعة لم ترد في الروايات الأخرى، كما أن الاسم (حسن) ورد في روايات أخرى باسم (عيسى) والاسم (بكر) ورد باسم (أبي بكر).

ثانيا: إن سلسلة هذا النسب تثبت أن الحسن الخالص أو الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عند الشيعة له ابن هو (على التقي) ومنه انحدر المراغنة، وهذا ما لا يقول به الشيعة، لأنهم يعتقدون ان ابن الحسن العسكري هو (محمد المهدي) الذي اختفى وهو غلام في الخامسة أو الثالثة من عمره فضلا عن أن بعض المؤرخين ينكرون وجود ابن الحسن العسكري الأمر الذي يقود إلى الشك في تسلسل نسب المراغنة بهذه الصورة.

ثالثا: أن هذا النسب لو صح في بدايته فلا شك انه في وقت متأخر قد اختلط ببعض الدماء الأعجمية، وما اسم ميرخور الذي ورد أكثر من مرة واسم ميرغني الذي يقول المراغنه أن اسم فارسي إلا أوضح دليل على ذلك.

وفيما يتعلق بنسبة المراغنة إلى الجد الحسن العسكري يرى السيد أحمد بن السيد محمد عثمان الميرغني[4]. انهم ليست الاسرة الوحيدة في العالم الإسلامي أو في السودان التي تنسب نفسها إلى الحسن العسكري على سبيل المثال في صور توجد أسرة السيد أحمد البدوي والتي تمت بصلة قربي لبيت السادة الخفاب في بربر في شمال السودان مما يجعل هذه الاسرة ايضا تنتسب غلى السيد الحسن العسكري، ويعتقد السيد أحمد أن البواعث السياسية وحدها

هي التي دفعت بعض الجهات إلى انكار شريفية البيت الميرغني.

ولقد جاء في أكثر من مصدر الإشارة إلى انتساب المراغنة إلى البيت النبوي فبالإضافة إلى ماذكره المرتضي الزبيدي والجبرتي ويبدو أن أحدهما قد نقل عن الآخر. فهناك الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير من علماء مكة توفي عام 1335هـ، أكد هذا الأمر في كتابه (نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر – وقد ألمع إلى هذا السفر ونبه عليه السيد محمد الخليفة طه الريفي[5].

يعتبر عبد الله الميرغني (المحجوب) وهو الجد المباشر لمحمد عثمان الميرغني معلما بارزا في تاريخ هذه الأسرة، فلقد اجتمعت عنده وجاهة الحسب والنسب والثراء الواسع والعلم والطريق[6].

ولد السيد عبد الله في مكة ، ولقب بالمحجوب لاحتجابه عن الخلق زمنا طويلا ، واتصل بكبار علماء مكة وتلقي عنهم العلم أمثال الشيخ النخلي والشيخ يوسف المهدلي ثم انتقل إلى الطائف بعد أن أسس طريقته الميرغنية وهي أحدي الطرق التي استمد منها حفيده طريقته، لقد غادر

مكة إلى الطائف في 1166هـ، 520/ 537م نتيجة للصراع السياسي الذي دار بين بعض الأسر في مكة ولكن صلته لم تنقطع عنها إذ بقى بها ابنه محمد يسن الذي واصل النظر في مصالح أسرته ، ويظن أن عبد الله نفسه كان يتردد على مكة من حين لآخر ولما توفي نقل إلى مكة ودفن بها[7]. لقد كان السيد عبد الله عالما متمكنا من العلوم الإسلامية. ولقد نهض بأعباء تدريس هذه العلوم وله مصنفات عديدة في هذا المجال، من بينها (فرائض الدين وواجبات الإسلام لعامة المؤمنين) و(الفروع الجوهرية في الأمة الأثني عشرية) و(المعجم الوجيز في أحاديث النبي العزيز) و(كنوز الحقائق) وغيرها وجمع شعره في ديوانين أحدهما: (العقد المنظم على حروف المعجم) والثاني (عقد الجواهر في نظم المفاخر) وقد أشاد الجبرتي بمناقبه وعلمه وزهده ونسب إليه بعض الكرامات[8].

وذكره الشيخ يوسف النبهاني ونقل ترجمته عن الجبرتي، وكان من ضمن ما قاله عنه: (وهو أحد مشايخ الإمام العلامة السيد مرتضي الزبيدي شارح الأحيا والقاموس ولكون شهرته في بلادنا أقل من شهرة سيدي عبدالعزيز الدباغ وسيدنا عبد الغني النابلسي وسيد مصطفى البكري رضى الله عنه وعنهم أردت أن أذكر

شيئا من ترجمته تنويها بقدرة ولأجل أن يتلقى بالقبول ما أنقله عنه من الفوائد الجليلة ، فأقول ذكره الجبرتي في تاريخه في وفيات عام 1207هـ فقال في هذه السنة مات السيد الإمام العارف القطب عفيف الدين ابوالسيادة عبدالله ابن ابراهيم بن حسن بن محمد أمين بن على ميرغني وساق باقي نسبه الشريف الحسيني المتقي المكي الطائفي الحنفي الملقب بالمحجوب ولد بمكة وبها نشأ[9]. إن ما أورده النبهاني من أخبار عن عبد الله المحجوب قريب ومشابه لما ذكره الزبيدي في معجمه[10].

توفي السيد المحجوب في 1792م وخلف ابنين هما محمد أبوبكر والد محمد عثمان، ومحمد يسن الذي تكفل به بعد وفاة أبيه وكان عقيما لا ولد له، لقد مات محمد أبوبكر في وقت مبكر، ومن الواضح أنه لم يكن على قدر كبير من العلم والتصوف، ويبدو أنه قد صحب والده إلى الطائف بينما بقي يسن في مكة[11].

ولمحمد عثمان أخ واحد هو عبد الله وقد تولى منصب المفتي في مكة ولذلك قيل له مفتي الظاهر ولأخيه مفتي الباطن، ولقد كتب عبد الله عددا من المؤلفات من بينها كتاب (جوانب القلوب) و(مشكاة الانوار في سيرة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) و(النفحات القدسية من الحضرة

العباسية في شرح الصلاة المشيشة) و(تحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء) وغيرها من المصنفات[12].

إن السيد محمد عثمان الختم هو أوضح شخصية في تاريخ الاسرة الميرغنية لقد أكسب هذا الرجل أسرته مجدا عظيما ، وأوجد له احتراما ونفوذا مقدرين في معظم أراضي السودان وأرتريا وتمكن بفضل ما حباه الله من قدرات ومواهب أن يؤسس قوة ضخمة وأن يحدث تيارا عاتيا من تيارات الإصلاح والتغيير التي بدلت خارطة الولاء والنفوذ في السودان ، ويشبه الدكتور محمد إبراهيم ابوسليم نشاط محمد عثمان في السودان بموجات التغيير التي اجتاحت المجتمع السوداني في وقت من الأوقات مثل موجة تاج الدين البهاري الذي عدل مسار الطريقة القادرية وحولها إلى طريقة واسعة الإنتشار بعد أن كانت طريقة العلماء ومحدودة النفوذ ، وموجة أحمد الطيب البشير مؤسس الطريقة السمانية وموجة محمد أحمد المهدي التي حولت مجرى التاريخ في السودان[13].

ولد السيد محمد عثمان الميرغني بالطائف في قرية السلامة في ربيع 1208هـ /1793م ، ماتت أمه وهو في حوالي السابعة من عمره[14].والنسبة في الاسم ترجع إلى

جد يعرف بعلي الميرغني، مع اختلاف بين جدين كل واحد منهما يحمل اسم على، ولقب ميرغني يكتب باختلاف أيضا في طريقة رسم حروفه فتارة يكتب (ميرغني) واخرى يكتب (مرغنى) وأحيانا نجده وقد اضيفت إليه همزة في أوله فيصبح (أميرغني) ويجمعه الناس علي ميرغنية ومراغنة إشارة الى هذه الأسرة أما معنى هذا اللقب فهو وكما أوضح السيد جعفر قائلا: (فمنه لقبهم بالإمارة والتغني والمعبر عنهما ب أميرغني ومعنى أمير بلسان الفارسية الشريف وغنى بما وهبه الله من سره الظريف) وقد ألمع السيد محمد عثمان إلى ذات المعني فقال: (ولقبه الميرغني، لقب به جده السادس أو السابع وأصله كلمتان: (أميرغني) يتكلم عن نفسه وعن أصل اللقب الموجود في أسرته، ويجيء في أكثر من مصدر أن لقب (ميرغني) لفظ مركب من كلمتين معناهما الشريف أو الولي الغني ويعتقد الدكتور ابوسليم أنه من المحتمل أن يكون هذا اللقب نسبة إلى مدينة بفرغانة في آسيا أسمها (مرغينان)[15]. توفي والد السيد محمد عثمان وعمره نحو عشر سنين فكفله عمه السيد يسن فتلقى على يديه علوم الفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة[16]. وجلس للإفتاء بالحرم المكي وعمره بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة[17].

لقد ترجم له كثيرون منهم الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير في كتابه: (نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر) الجزء الثاني، ومنهم أيضا يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه (جامع كرامات الأولياء) وأورد ترجمته أيضا محمد بن عبد المجيد السراج في كتابه: (المناهج العلية في تراجم السادة الميرغنية) ومنهم أيضا أحمد بن إدريس بن محمد النصيح صاحب الإبانة[18]. وتلقى العلوم على العديد من علماء عصره منهم الشيخ سعيد العامودي، والشيخ أحمد عبد الكريم الهندي، والشيخ الأوزبكي وغير هؤلاء من المشايخ والعلماء[19]. وقد أخذ من شيوخه المتعددين خمسة طرق في النقشبندية والقادرية والشاذلية والجنيدية الميرغنية وهي طريقة جده عبد الله المحجوب، وقد بني – في وقت لاحق- طريقته على أساس هذه الطرق الخمسة، فكان يرمز لها بنفش جم[20]. بعد أن تنقل بين المشايخ انتهي به المطاف إلى السيد أحمد بن إدريس، لقد جاء السيد أحمد إلى مكة في أواخر عام 1213هـ / 1799م، حيث مكث بها مدة أربعة عشر عاما، عقد خلالها حلقات العلم والدرس وأضحي قبلة لطلاب العلم من مختلف أرجاء العالم الإسلامي[21].

لقد أرسى ابن إدريس عددا من التعاليم، كانت دعامات لمدرسته الإصلاحية الصوفية، حملت هذه المدرسة لواء تجديد الدين بالدعوة إلى إزالة ما علق به من الشوائب، وما ران عليه من بدع وخرافات[22]. لقد اعتمد السيد أحمد منهجا يقوم على عدة أسس يمكننا أن نلخصها في النقاط التالية:

1- إتباع الكتاب والسنة مع رفض الإهتداء بغير هذين المصدرين.

2- العناية بتفسير القرآن والحديث والفقه، والاهتمام بالتربية كوسيلة ناجعة لإيجاد الجماعة المسلمة.

3- التركيز على ترسيخ المبادئ الفاضلة، ومحاسبة النفس وإيجاد المسلم الذاكر لله.

4- الدعوة بوسائط سلمية ومترفقة والاهتمام بنشر الدعوة بين غير المسلمين، والسعى أولا إلى إلى بناء النخبة.

5- رفض الرسوم والشكليات، والبعد عن العصبية المذهبية، وأشكال العبادة التقليدية[23].

لقد كان أحمد سلفي في توجهاته وآرائه، لذا أنكر المذاهب الفلسفية مثل الحلول ووحدة الوجود، وكان يستند على كتاب الله والحديث الصحيح من كلام الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وعلى إجماع الصحابة دون اجماع جميع المسلمين وقد أسقط القياس، ورد كل أجتهاد بعد الصحابة ورفض العمل به [24].

لقد كان محمد عثمان تلميذا مقربا من نفس السيد أحمد بن إدريس، ومحمد عثمان كان يبشر ويدعو بصفته تلميذا للسيد أحمد ولم يتنكر محمد عثمان لأستاذه حتى بعد وفاته وأنشائه طريقة خاصة به، فلقد ظل يردد في أدبياته أستاذية أحمد بن إدريس له، وسلك مسلكه هذا أبناؤه من بعده وأتباعه، جاء في مصنفه (الأسرار الربانية في مولد خير البرية) والمشهور بالمولد أنه (تلميذ ابن إدريس أحمد ذي الأفعال الأحمدية)[25].

ويقول في الزهور الفائقة: (تلميذ العارف بالله ذي التقديس القدوة إلى الحضرتين مولانا البركة ولي نعمتنا الشريف أحمد بن إدريس)[26].

لم يحاول تلاميذ أحمد بن إدريس العمل على إنشاء طرق خاصة بهم في فترة حياته، بل كانوا يدعون لأفكار

استاذهم ويبشرون بتعاليمه حتى تاريخ وفاته 1253 هـ /1837م لكن خلافا نشب عقب وفاته في أمر خلافته لقد مات إبن إدريس دون أن يشير إلى مسألة زعامة المدرسة الإدريسية من بعده، وقد أدى ذلك إلى الخلاف بين كبار تلاميذ السيد أحمد وهم محمد عثمان الميرغني ومحمد بن على السنوسي وإبراهيم الرشيد بالإضافة إلى ابناء السيد احمد بن إدريس أنفسهم[27]. وقاد الخلاف حول زعامة المدرسة الإدريسية إلى قيام هؤلاء التلاميذ بتأسيس طرق خاصة بهم.

رحلات الميرغني في إطار نشره لدعوته:

اسهمت تحركات الميرغني النشطة إلى إزدياد رصيده البشري من الأحباب والإتباع والتفافهم حول أفكاره، وكان له أعظم الأثر على تطور دعوته ونجاحها، كانت أولي رحلات الميرغني بتوجيهات من أستاذه أحمد بن إدريس فلقد أمره بالتوجه إلى الحبشة، فسافر إلى هناك حيث وصل إلى منطقة (بلغا) بأرض الحبش، وإتصل بالناس فتبعه عدد كبير من الخلق وأخذوا عليه الطريق، ولكن الملك القائم على أمر هذه المنطقة توجس منه خيفة، فعمل على إيذائه، بعد ذلك رجع السيد محمد عثمان ومكث مع السيد أحمد مدة من الزمن[28]. وأقاما بقرية الزينية لفترة

زمنية يسيرة حيث عملا على نشر تعاليم المدرسة الإدريسية هناك[29]. وأمره أستاذه أن يسافر إلى السودان فتوجه عبر وادي حلفا مارا بمناطق السكوت والمحس والكنوز[30]. واصل محمد عثمان رحلته جنوبا حتى منطقة دنقلا حيث التف حوله الناس وكون عددا من الأتباع في هذه المنطقة من أشهرهم صالح سوار الذهب، من أسرة سوار الذهب، وهي أسرة دينية معروفة[31]. وتحرك بعد ذلك متجها إلى الدبة، ولقد وجد قبولا طيبا هناك خاصة من الأهالي في منطقة الشايقية، وكان من بين الذين أتبعوه صالح بن عبد الرحمن بن محمد بن حاج الدويحي، كون عثمان أتباعه في منطقة الشايقية دون أن يزورها ودون أن يلتقي بجزء منهم بصفة شخصية، بل كان يكتفي بإرسال الإجازات لهم في مناطقهم وكان يجيز أتباعه وفقا لما يسمعه عنهم وعن سيرتهم، فلقد أجاز عددا من معلمي القرآن وفضلاء الناس ممن اشتهروا بالصلاح وسعة العلم[32].

يقسم الدكتور على صالح كرار ممثلي الميرغني في جهات الشايقية إلى أربع طبقات:

الطبقة الأولي: هي المجموعة التي جاءت من مناطقها في بلاد الشايقية إلى الدبة للقاء محمد عثمان هناك حيث

عينهم خلفاء في مناطقهم مثال على هذه المجموعة صالح بن عبد الرحمن بن محمد ابن حاج الدويحي.

الطبقة الثانية: هي مجموعة من المشايخ والعلماء والصالحين الذين نالوا إجازات الطريقة الختمية من دون أن يلتقوا بالميرغني ولقد اعتمد هو على أخبارهم وشهرتهم وعلى رغبتهم الخاصة في أخذ الطريق ومن بين هؤلاء محمد خير بن محمد صالح العراقي من منطقة نوري، ومحمد خير النظيف ومحمد حمد الجدي(*).

الطبقة الثالثة: وهم الرجال الذين قابلهم في كردفان وينتمون إلى مناطق الشايقية ولقد صحبه هؤلاء في رحلاته ومكثوا معه زمنا في قريته السنية قبل رجوعه إلى مكة، ومن هؤلاء محمد بن مالك المشهور بود مالك ومحمد بن عبد الحليم المعروف بالنقيب وهو لقب صوفي أعطاه له أستاذه وقد أمرهما الميرغني بالعودة إلي منطقتيهما في كورتي وقنتي.

الطبقة الرابعة: وهي تشتمل على الأفراد الذين سافروا إلى مصوع من ديار الشايقية لملاقاة السيد محمد عثمان الميرغني وأخذ الطريق عليه ومن بين هؤلاء محمد على

الدرويش وهو من منطقة الزومة شمال كريمة، ولقد جعله الميرغني خليفة له ثم أمره بالرجوع إلى منطقته[33].

غادر الميرغني إلى الدبة في قافلة كبيرة على رأسها أحد خلفائه هو الخليفة محمد صالح شادول، ووصلت القافلة إلى كردفان في شوال 1231هـ - سبتمبر 1816م، واستقر الميرغني هناك لمدة ثلاث سنين ونيف وخلال فترة استقراره هذه قام بزيارة سنار، وفي بارة تزوج بابنة أحد أتباعه هي رقية بنت جلاب من الهوارة من بيت ديني معروف، ولقد ولد من رقية هذه ابنة محمد الحسن، واستطاع ان يجمع حوله مائتين من الرجال[34]. ومن ضمن هؤلاء حماد البيتي والقاضي عربي الذي جعله خليفة خلفاء ولقد ذكره الميرغني في عدد من أدبياته، ومنهم ايضا السيد إسماعيل الولي – الذي أسس الطريقة الإسماعيلية فيما بعد – وإبراهيم البرقاوي، ومحمد بادي[35].

تعرض السيد محمد عثمان وتلاميذه إلى مضايقات من جانب المقدوم مسلم حاكم كردفان من قبل سلطان دارفور، ولقد تنبأ الميرغني وتوعده بزوال حكمه على يد التركية السابقة (حملة محمد علي إلى السودان)، مات لمحمد عثمان أبناء هم: ابراهيم وتاج السر في هذه الفترة ودفنا

في كردفان[36]. توجه الميرغني قاصدا سنار، واتبع تعاليمه عدد من الناس في تلك الارض أوضحهم الشيخ أحمد بن عيسى، وتعرض محمد عثمان إلى ما يشبه الإمتحان هناك، فلقد أراد احد علماء تلك المنطقة المعروفين أن يناظره، وهو الفقيه إبراهيم ولد بقادي وقد جاء من قريته إلى سنار التي وصلها يوم أربعاء ولكنه لم يتمكن من لقاء الميرغني، فقد أصابته حمى أشتدت عليه حتى توفى، ولقد عدت هذه كرامة لمحمد عثمان[37].

سافر الميرغني من سنار إلى المتمة، فمكث هناك قرابة السنة وأخذ عدد من الأهالي الطريق عليه، وبنى له مسجدا بتلك المنطقة ومن أشهر الذين أخذوا عنه الشيخ أحمد الطريفي والشيخ الريح والشيخ محمد المجذوب (ت 1833) والذي بعثت المجذوبية وجددت على يديه وقد اتصل في وقت لاحق بالسيد أحمد بن إدريس وصار من أقرب تلاميذه، انتقل الميرغني من المتمة إلى شندي. وأقام بها فترة حيث أسس مسجد هناك وبايعه عدد كبير من أهل المنطقة على رأسهم الخليفة محمد عثمان المبشر، ومحمد ساتي، وعلى الجزولي وأنذر الميرغني ملك شندي المك نمر بالغزو التركي – المصري على بلاده[38]. واصل محمد عثمان رحلته فوصل إلى الدامر واراد بعدها

الذهاب إلى بربر لكنه علم بمجيء الحملة التركية[39]. فقرر الذهاب إلى التاكا، وهي كسلا الحالية وفي طريقه كان يدعو الناس ويأخذون عليه، وبالقرب من كسلا اسس قريته السنية، ولقد كتب خطابا إلى خورشيد باشا يوصيه فيه بأخذ أتباعه بالرحمة واللين، وقد حفظ أتباعه هذا الخطاب حتى مقدم الباشا والذي استغرب أمر الخطاب هذا لأنه لم تجمعه صلة بالميرغني ولكنه عامل أتباعه معاملة حسنة[40]. ولقد غدت هذه المنطقة مركزا قويا للطريقة الختمية، وتوافد إليها أتباع الطريقة من كل أنحاء السودان وغمروها وغدت مقرا لهم.

رجع محمد عثمان الى مكة حيث اتصل باستاذه أحمد بن إدريس، لقد زار الميرغني السودان ثلاث مرات، والقول بأنه زار السودان مرة واحدة قول خطأ، وفي زيارته الثانية جاء وبرفقته زوجته رقية وابنه محمد الحسن إلى التاكا، وزار سواكن أيضا واستطاع أن ينشيء عددا من الزوايا ويكسب قدرا هائلا من الأتباع رغما من مضايقات أنصار الطريقة المجذوبية وكانت زيارة الميرغني الأخيرة للسودان من مكة إلى سواكن وكان برفقته ابنه محمد الحسن وقد اختاره في هذه الرحلة ممثلا له في السودان[41].

أثناء وجود محمد عثمان في السودان كان يتبادل الرسائل مع أستاذه أحمد بن إدريس، ويبدو أن السيد احمد لم يكن راض عن تأخر الميرغني في السودان وكان يستعجله بالحضور حتى يحظي بالخير والبشريات عند أستاذه[42].

لقد كان ابن إدريس دائما يخاطب تلميذه بخطاب صوفي رقيق فهو يطلق بحقه الالقاب ذات المضامين الصوفية، فنجده يخاطب (بخليفة الرحمن) و(مركز دائرة العرفان) و(إلي الولد وقرة العين غاية الأولياء المحمديين بلا شك مهين بشهادة رسول رب العالمين محمد عثمان الأخذ بغاية العروة الوثقي في مقام الإيمان والإحسان) و(إلى الابن وقرة العين وأثمد العينين محمد عثمان صفي الرحمن الذي اصطفاه الملك الديان وجعله خلاصة المصطفين من حضرة الحنان المنان) و(إلى ولده وقرة عينه)[43].

إن الرسائل المتبادلة بين الميرغني وابن إدريس لا تعطي فكرة عن طبيعة العلاقة بين الختمية والإدريسية وكانت لغتها دائما مبهمة وغير واضحة، كان الميرغني يعلل امتداد فترة بقائه في السودان وتأخره عن استاذه لأسباب اقتصادية وللزيادة المضطردة في حجم أتباعه

وافراد أسرته يوما بعد يوم، ولقد بدأ ابن إدريس ازاء ذلك يفقد الأمل في إمكانية رجوع محمد عثمان، في آخر الامر رجع محمد عثمان إلي مكة ومكث مع أستاذه بعد إنتقاله إلى (صبيا) في 1243هـ- 1827 وظل هناك حتى تاريخ وفاة ابن إدريس في 1837[44].

انتقل محمد عثمان بعد وفاة أستاذه إلى مكة، وكرس جهده هناك لتأسيس طريقته الختمية، وأسس عددا من الزوايا في مكة والمدينة وجدة والطائف، كما أرسل أبناءه للدعوة في عدد من المناطق فأبرسل ولده الأكبر محمد سر الختم (1280-1230) إلى اليمن وحضرموت، وعين ابنه محمد الحسن ممثلا في في السودان وقد أثار نجاح محمد عثمان في مكة حسد العلماء عليه مما اضطره إلى الإنتقال إلى منطقته الطائف حيث مكث هناك إلى أن توفى في 22 شوال 1368هـ -الموافق 2 مايو 1852م[45].

اسباب نجاح الميرغني في السودان:

إن محاولات الميرغني في سواحل البحر الأحمر قد كتب لها الفشل نتيجة لمعارضة أمبراطور الحبشة للتبشير الإسلامي وكذلك نجاح الميرغني في مصر لم يكن كبيرا وذلك لرسوخ الطرق هناك ولكن جولاته في السودان

وجدت رواجا وقبولا منقطع النظير خاصة في شمال وشرق السودان، وسنحاول أن نتلمس أهم الاسباب التي قادت إلى هذا النجاح الكبير، وأن نبين كذلك لماذا ضعف انتشار الطريقة في بعض أجزاء السودان والتي قام الميرغني فعلا بزيارتها.

يعزي الدكتور ابوسليم نجاح الميرغني إلى ضعف الطرق الصوفية في السودان وتفككها في تلك الآونة ، فالقادرية وهي أكبر الطرق في السودان كانت تعاني من التفكك لانعدام القيادة المركزية[46].والسمانية كانت قد أوهنتها الإنقسامات[47].والخلافات الداخلية[48]، لم تكن الطرق وحدها هي التي تعاني من الفوضي والإنقسامات، بل كان الحكم أيضا تسوده تلك الروح فلقد كانت دولة الفونج في آخر ايامها والنزاعات هي السمة الغالبة على طبيعة الحكم فيها ولقد أورثت هذه الصراعات ضعفا في الدولة جعلها تنهار في وقت لاحق أمام الفاتحين من الأتراك والمصريين.

إن منطقة شمال وشرق السودان كانتا خاضعتين للإدارة الأسمية لحكومة الفونج التي لم تجد أرضا صلبة لسلطانها في هاتين المنطقتين بحيث أنها لم تمارس سلطات حقيقية وفعليه تجاه هاتين المنطقتين، لقد كان حكم

دولة سنار لشمال وشرق السودان حكما اسميا فقط[49].
وهذا سهل الطريق أمام السيد محمد عثمان وجعله يسيطر على الأمور في هذه المناطق ويحسم الجولة فيها لصالحه. ولقد اتضح لنا من قبل وفي أثناء وصفنا لرحلة الميرغني داخل السودان، إن الجهات الوحيدة التي لم يحرز بها الميرغني وجودا كبيرا لدعوته، هي تلك التي تعرض فيها لمضايقات السلطات الحاكمة في تلك المناطق، لقد حدث ذلك في كردفان في غرب السودان حيث تعرض هو وتلاميذه للأذي من قبل المقدوم مسلم، وواجه في سنار نفس المشكلة حيث تعرض له الوزير ود الأرباب وعمل على فض الناس من حوله.

إن من أهم الاسباب التى أدت إلى نجاح الميرغني هو نجاحه الكبير في كسب دعم وتأييد الطبقة الإقتصادية، فلقد انضمت شخصيات تجارية عرفت بغناها وسعة أموالها، من بين هذه الشخصيات الخليفة محمد صالح شادول من منطقة الخندق وعدد من البديرية وبعض الأشخاص من الطريفية.

إضافة لتأييد هؤلاء لقد تمتع الميرغني بدعم كبير من الأسر ذات النفوذ الديني في مناطقها، لقد عمل الميرغنى على كسب البيوت الدينية الكبيرة وقد نجح في مسعاه إذ

وقف إلى جانبه رموز لأسر دينية عريقة ومحترمة ولقد أكسبته هذه الشخصيات دعما شخصيا وجماهيريا منقطع النظير، إن من أوضح الأسر التي اتبعت الميرغي وبايعته أسرة سوار الذهب والتي تحولت من الطريقة القادرية إلى الختمية[50]. من الاسباب الهامة ايضا التي ادت إلي نجاح الميرغني العريض في السودان هو شخصية الميرغني نفسها ، لقد عرف عن محمد عثمان انه عالم متمكن من علمه ، وصوفي عارف بأحوال التصوف وغاياته، إن المواهب الربانية التي اجتمعت عند محمد عثمان مكنته من كسب ثقة الناس وحبهم له وسعيهم إلي كسب رضاه والإنضمام في طريقته ، كذلك إن التاريخ العريض لأسرة محمد عثمان يوحي بأنه يشبه السابقين من أفراد هذه الأسرة ، وأهل السودان كانوا على علم بمكانة ومنزلة عائلة الميرغني فنحن نجد أن الشيخ أحمد الطيب البشير مثلا كان قد اتصل بالسيد المحجوب ودرس على يديه[51].

إن من اقوى العوامل التي قادت الناس إلى الإلتفاف حول الميرغني وأتباعه هو اعتقادهم الجازم انه من آل البيت وانه بضعة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[52].

لقد أدت كل هذه العوامل مجتمعة إلى نجاح كبيير حققه الميرغني على ارض السودان، والى انخراط غالبية

السودانيين في سلك الطريقة الختمية الطريقة الجديدة والوافدة.

بعد وفاة محمد عثمان في 2 مايو 1852م آلت رئاسة الطريقة إلى أبنه الأكبر محمد سرالختم ، وتفرعت الطريقة إلى أربعة فروع إقليمية ولقد كان إقليم السودان من نصيب السيد محمد الحسن ابن السيد محمد عثمان الميرغني، والمعروف في السودان بالسيد الحسن (أب جلابية)[53].لقد ولد السيد الحسن في باره من أعمال كردفان في 12 جمادي الثاني 1235هـ - الموافق 28 مارس 1819م[54].والدته هي رقية بنت جلاب[55].في عام 1822م سافر الحاج إدريس ود جلاب وبرفقته اخته رقية وابن اخته محمد الحسن إلي الحجاز ثم التقوا بالسيد احمد بن إدريس الذي دعا الله أن يبارك الحسن وتم ذلك بناء على رغبة السيدة رقية والدة محمد الحسن ، وبعد فترة عادوا إلي باره[56]. في 1833 سافر الحسن إلى مكة للإلتقاء بوالده في مكة وهناك بدأ في دراسة القرآن على يد أحد الشيوخ القادمين من المدينة وأخذ عن أبيه العلوم الإسلامية وتعلم ايضا بواسطة إمرأة كانت قد أخذت عن جده السيد عبد الله المحجوب.

مارس السيد الحسن رياضات صوفية متصلة، وقضى جزءا من وقته في المدينة مجاورا لقبر الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ووقد سبب غيابه الطويل في المدينة قلقا لوالده فدعاه إلى الحضور إلى مكة ومقابلته ولبي الحسن طلب والده ورجع إلى مكة[57]. بعد ذلك سافر مع أبيه إلى سواكن حيث أمره والده بالسفر إلى أجزاء السودان لنشر الطريقة الختمية ممثلا لوالده[58].

قام الحسن بطواف على المناطق التي أسس فيها محمد عثمان الختم تلاميذا وأتباعا له، فقام بزيارة لبربر حيث استقبل استقبالا ضخما بواسطة أتباع أبيه ، الشيء الذي اثار قلق ومخاوف حاكم بربر فكتب في ذلك تقرير وأرسله إلى أبي ودان الحاكم العام، وهم أبو ودان بالإقدام على فعل شيء ضد الحسن إلا أن المنية عاجلته في 1843م وقد عدت تلك كرامة للسيد الحسن[59]. على نفس نمط والده عين السيد الحسن خلفاء له في منطقة بربر من بين هؤلاء أحمد بن محمد النصيح المعروف بإبن ادريس الرباطابي والذي عين خليفة خلفاء وهي نفس رتبة أبيه، ولقد تزوج الحسن من هذه الأسرة[60].

قام السيد الحسن بزيارة لمناطق الشايقية وهو الشيء الذي لم يفعله والده السيد محمد عثمان على الرغم من

وجود العديد من الأتباع له في تلك المناطق ، إن زيارة السيد الحسن لديار الشايقية عمقت العقيدة الختمية في نفوس أبناء المنطقة، قام الحسن بزيارة طويلة إلى الزومة حيث استقبل بواسطة محمد أحمد بن محمد على الدرويش وأخوه إدريس ، لقد أسهم هذان الأبنان في ترسيخ الطريقة وعملا على استقرارها في المنطقة وفي أثناء وجود الحسن في الزومة دخلت عدة عائلات تحت عباءة الختمية ، وقدمت للسيد الحسن العديد من الهدايا التي هي عبارة عن قطع أراضي وأشجار نخيل.

وأتصل كذلك الحسن بأسرة النضيفاب في جزيرة أبي رنات، وهم من أتباع أبيه كما أدخل عددا من الركابية في الطريقة من بين هؤلاء الشيخ نافع بن الأمين من سلالة إبراهيم البولاد[61].

إن منطقة الشايقية ظلت وإلى وقتنا هذا تدين بولاء عظيم للختمية وللسادة المراغنة، وتجلي ذلك في أدبهم الشعبي، فأشعارهم القومية يظهر فيها هذا الحب الجارف والعاطفة الدينية المتأججة نحو البيت الميرغني قالت شاعرة شايقية تتنغيث بشيخها:

حسن بتسبق الريح

واقفالي المنادي يصيح بأحسن

بي ساداتي عقدي صحيح

أزور القبة فيها ضريح

وستنا ست مريم جات

منجدة عمت السادات[62].

وقالت أخرى تمنى نفسها بالإلتحاق بخدمة إحدي سيدات البيت الميرغني:

واقع وراك يا بت الشريفة

داير أروح لي بكان بلد الوظيفة[63].

وقد جعل الشايقية يظهرون انتماءهم هذا من حين لآخر حتى أنهم وفي مطلع ومنتصف هذا القرن أصبحوا يغيرون من طريقة رسمهم للشلوخ المألوفة لديهم فأخذوا يوسمون وجوهم بالثلاثة خطوط الرأسية المتوازية على جانبي الوجه وقد شجعهم على ذلك ودفعهم إليه هو أن السيد علي الميرغني كان تزين خده ثلاثة شلوخ عمودية فاقتبس الشايقية هذه الشلوخ تبركا بزعيمهم الروحي[64].

لقد كان الحسن ذات شعبية واسعة ولقد أسهم أسهامات واضحة في التقارب بين الطرق، وكان سهلا متبسطا في

تعامله مع أهل الطرق الأخرى ، ولقد حببه ذلك لدى السودانيين ودفع الزعماء الدينيين ومشائخ الصوفية إلى إجلاله وتوفيره.لم يكن السيد الحسن يتحرج من أن يعطى راغبا طريقة غير الطريقة الختمية الذي هو شيخها وزعيمها ، وفي ظني أن هذه الأخلاق البسيطة غير المشددة كانت سرا من أسرار نجاح الحسن في ترسيخ الطريقة الختمية في السودان ، عقد السيد الحسن صلات وثيقة مع معاصرين ، من بين هؤلاء المعاصرين أحفاد الشيخ خوجلي الذين غيروا طريقتهم من الشاذلية إلى الختمية[65].

ويرى (فول) أن سبب هذا التحول راجع إلى رغبة أحفاد الشيخ خوجلي في أن يستفيدوا من علافة الحسن الميرغني بالحكم التركي المصري[66].

ويبدو لي أن هذا ظن خطأ أولا لأن علاقة الحسن بالحكام الأتراك -المصريين لم تكن دائما جيدة على الرغم من أنه قدم لهم العديد من الخدمات الجليلة في إطار التخفيف من غلواء واحتداد بعض السودانيين تجاه الحكومة في بعض الأوقات- وسيتضح ذلك في معرض كلامنا عن حادثة الجهادية في كسلا ودور السيد الحسن في تهدئة الأمور، وذلك في الفصل الثاني – وثانيا لأن

علاقة الخوجلاب بالسيد الحسن كانت علاقة أصهار وزواج ، فلقد تزوج الحسن من فاطمة بنت محمد الأمين التي أنجبت له فيما بعد السيد أحمد والسيد محمد عثمان (الأقرب) ولقد أهدى الشيخ الأمين بن محمد الأمين أخ فاطمة زوجه الحسن أهدى الحسن اراضي بنى عليها مسيدا وحضرة لعبادته ومن بيان الشخصيات الواضحة التي بايعت الحسن ودخلت في الطريقة الختمية شخصية أبوبكر محمد المتعارض ابن ابوالمعالي بن حمد ود أم مريوم وهو رجل صالح وكان معلما للقرآن ، ولقد سافر مع الحسن في جولاته في أنحاء السودان واستقر أخيرا في منطقة مساوي في شمال السودان حيث تزوج هناك ، وقد عدت مساوي مركزا هاما من مراكز الختمية وبها ولد السيد على بن السيد محمد عثمان (الأقرب)[67].

ومن الشخصيات التي عاصرت الحسن وكانت له أعمق الصلة معها شخصية الشيخ الكباشي، ولقد زار الحسن قرية الشيخ الكباشي مرات عديدة ولقد كان الشيخ الكباشي يجله ويحترمه غاية الأحترام والصلة بين أتباع الرجلين ظلت باقية ومستمر حتى بعد وفاتهما[68].

ويقال إن الشيخ الكباشي لما سمع بوفاة السيد الحسن أغلق عليه بابه لمدة سبعة أيام، وقال لأتباعه (الناس الذين

خلق الله من أجلهم الدنيا فارقوها فماذا بقي لنا نحن) ثم توفى بعده بشهر[69].

وكانت هناك صلة كبيرة وعظيمة أيضا بين الحسن والشيخ العبيد ود بدر[70]. وعلاقة الحسن بالسمانية علاقة وثيقة وكان يزور مركز الطريقة السمانية الروحي بام مرحي شمال أم درمان بصورة دائمة ومستمرة ويقضي الساعات الطوال في شريح الشيخ أحمد الطيب[70]. ولقد جاء في (ازاهير الرياض) أن الحسن كان يعطي الطريقة السمانية ويسلكها كما يعطي الطريقة الختمية[72].

لم يغادر السيد الحسن منذ أن عينه والده ممثل في السودان وحتى تاريخ وفاته في 18 شعبان 286هـ الموافق 23 نوفمبر 1869م[73].

يظن فول[74]. إن بعد وفاة السيد الحسن أسهم عدد من أفراد الاسرة الميرغنية الذين يعيشون خارج السودان في شؤون الختمية في السودان من بين هؤلاء محمد سرالختم (ت 1917م) وابنه محمد سرالختم المعروف بمحمد الميرغني للتفريق بينه وبين ابيه.

لقد تناولنا جزءا من حياة السيد الحسن وصلته بالحكام الأتراك – المصرييهن في الفصل الثاني من هذه الدراسة

عند كلامنا عن الختمية والمهدية ، ذكرنا أيضا قيادة محمد عثمان (الأقرب) إبن السيد الحسن وخليفته على زعامة الطريقة – ودوره في شرق السودان حتى وفاته بمصر ولقد أعقب السيد محمد عثمان (الأقرب) على قيادة الختمية السيد على بن السيد محمد عثمان بن السيد الحسن الميرغني والذي وضحنا ظروف قيادته وأسهاماته وأثره على الحياة السياسية والاجتماعية في البلاد إلى مجيىء الاستقلال وقيام الأحزاب الوطنية ، ولقد ذكرنا ذلك في الفصل الثالث من هذه الدراسة .

المبحث الثاني:

الأصول الفكرية لطائفة الختمية وأهم تعاليمها:

الطريقة الختمية ، طريقة صوفية تنهض أصولها وتقوم على اساس صوفي عميق ، وتزخر مؤلفات الختمية ومصنفاتهم بالافكار والمعتقدات ذات النسب الصوفي ، ولمحمد عثمان الميرغني (الختم) تصانيف كثيرة ذكر احمد بن إدريس الرباطابي صاحب الإبانة جزءا منها ، لقد ألف السيد محمد عثمان كتابا في التفسير تحت عنوان: (تاج التفاسير لكلام الكبير) ، وله كتاب (رحمة الأحد في

اقتفاء اثر الرسول الصمد) وكتاب (الوعظ الثمين في تعمير أعصار رمضان الثلاثين) وكتاب (فتح الرسول ومفتاح بابه للدخول لمن أراد إليه الوصول) ، وكتاب (مجموع الأوراد الكبير) و(كتاب النفحات المدنية في المدائح المصطفوية) وغيرها من المؤلفات[75].

يعتبر تاج التفاسير من أهم مؤلفات السيد محمد عثمان وهو تفسير يقع في جزئيين من القطع الكبير، يبدأ الجزء الأول بسورة الفاتحة وينتهي بسورة الكهف، والثاني بسورة مريم وينتهي بالناس[76]. ولقد سلك الميرغني في تفسير للآيات القرآنية مسلكا صوفيا باطنيا فلقد كان يعختمد على الإلقاء الإلهي الذي يرد عليه أكثر من نقله عن كتب المفسرين، وقد عزى منهجه هذا في التفسير إلى أوامر نبوية، وكتب مؤلفه: (رحمة الأحد في اقتفاء أثر الرسول الصمد) نتيجة لحضرة نبوية[77].

ومن أهم مؤلفات محمد عثمان الميرغني كتاب النفحات المكية واللمحات الحقة في شرح اساس الطريقة الختمية، وهو كتاب قيم من الناحية التاريخية يقع في مائتين وثمانية وثلاثين صفحة من القطع المتوسط، وفيه شرح شامل للتعاليم الاساسية للطريقة الختمية[78].

ومن مؤلفات السيد محمد عثمان المولد النبوي المسمي بالأسرار الربانية وقد اشتهر ايضا بالمولد العثماني نسبة لمؤلفه السيد محمد عثمان، ويضم أربعة عشر فضلا تتضمن عرضا وافيا لسيرة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأوضح محمد عثمان الميرغني أنه ألف هذا المولد استجابة لرؤيا مناسبة شاهد فيها الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يأمره فيها بتأليف مولد إحدى قافيتيه هاء والأخرى نون[79].

إن مؤلفات السيد محمد عثمان الأخرى ورسائله يدور أغلبها حول الطريقة وآدابها، وعلاقة المريد بشيخه ونظام الطريقة ومبادئها، وقد جاءت هذه المصنفات في قالب صوفي شأنها شأن أي كتابات صوفية أخرى، وكما هو معهود في مؤلفات الصوفية ورسائلهم أمتلأت رسائل الميرغني بمصطلحات ورموز وشطحات أهل التصوف ، لقد كانت لهجة هذه الرسائل والطريقة صيغت بها هي الأقرب إلى نفوس الناس في ذلك الوقت، إن أخبار الصالحين وذكر مآثرهم والكلام عن أحوالهم ومقامتهم ووصف مواجدهم ومجاهداتهم هذه الأمور وحدها هى التي كانت تشغل الناس وتؤثر عليهم وتملأ الفراغ الديني

الذي أوجدته ظروف ضعف المعرفة الإسلامية لدى المسلمين في تلك الآونة.

إن التصوف معناه العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه عامة الناس من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في خلوة للعبادة والتنسك، ولقد ظهر هذا العلم أول ما ظهر في القرن الثاني الهجري[80]. ثم شاع أمره وعظم في القرون التالية وظهر في التاريخ الإسلامي رجال من كبار العلماء والفقهاء وأهل الورع واللذين اتخذوا التصوف رائدا لهم في حياتهم العقلية والمادية، وبرزت مؤلفات عظيمة في هذا المجال، ولقد تطورت المعارف الصوفية عند المتصوفة إلى مسائل أعمق وأكبر بتقدام الزمن، وعراقة الفكر فقد انتقل الصوفية من مرحلة مجافاة الدنيا ومفارقة زخارفها إلى مرحلة أعظم خطرا من هذه المراحل، وفيها يقولون أن مجاهدات المؤمن وخلوته وصبره على الطاعات وذكره الدائم يتبع هذه المسائل غالبا كشف حجاب الحس والإطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس أدراك شيء منها ، وسبب هذا الكشف أن الروح إذ أبتعدت عن ظاهر الاشياء إلى باطنها ضعفت الأحوال الحسية لدى المؤمن وقويت لديه

أحوال الروح بسبب انصرافه إلى الذكر وانشغاله بالتبتل، ويتنامي هذا الأمر فيصبح شهودا بعد أن كان علما فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم الدينية والفتح الإلهي وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها من الافق الأعلى، افق الملائكة وهذه الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم[81].

وهكذا فإن الصوفية يعتمدون على الذوق وعلى الكشف والإلهام ولا يقولون بالحجة العقلية في كثير من الأحيان بل قد تغمرهم العاطف فيشطحون ويتكلمون بما لا يُفهم، لقد زهد كبار الصوفية في سائر اللذات البدنية، زهدوا في الأكل والنوم والاختلاط بالناس، وأكثروا من الصبر ولبسوا الخشن القاسي، وبعدوا عن اللين اليسير[82]. لذا رقت أحوالهم وصفت قلوبهم وتطهرت نفوسهم من رذائل الدنيا وخبائثها، وأنغمسوا من أجل ذلك في أحوال جديدة وعاشوا حياة ذاهلة عن كل ما حولهم، ولقد ربط جزء من هؤلاء في وقت لاحق – هذا العيش الصوفي بالفلسفة والتي ظهرت في العالم الإسلامي نتيجة لإتساع الرقعة اللإسلامية ودخول أجناس كثيرة من أهل الملل الاخرى في الإسلام الشيء الذي أدى إلى تسرب بعض الفلسفات في الفكر الإسلامي بصفة عامة وإلى التفكير الصوفي

بشكل خاص وقد قاد ذلك بعض المتصوفة إلى الجهر بآراء تناقض جوهر العقيدة الإسلامية كرأي الحلول ووحدة الوجود[83].

ويعتقد الدكتور أحمد جلي[84]. أن الختمية تأثروا بفكرة وحدة الوجود التي معناها تجلى الله وظهوره وتوحده في الكون، ولقد كان أول من رسخ هذه الفكرة ونادي بها عند الصوفية هو محي الدين بن عربي صاحب (الفتوحات المكية) و(فصوص الحكم) وله أيضا ديوان شعر تناول فيه العديد من المعاني الصوفية والتي تحمل أبعادا ومضامين فلسفية.

أورد الدكتور جلي عددا من الآراء المنسوبة إلى عبد الله المحجوب (الجد) والتي يذكر فيها جملة من المعاني تصور أن المحجوب يعتقد بمبدأ وحدة الوجود ثم يورد أيضا جزءا من أشعار المحجوب ومحمد عثمان الميرغني للدلالة على مدى تأثر هذين الرجلين بهذه الفكرة.

وينتقل الدكتور جلي لمناقشة مسائل أخرى تجيء عند الختمية ويعتقد هو ببطلانها من وجهة النظر الشرعية حيث أنها تخالف وتناقض حقيقة الاعتقاد الإسلامي كما ذكر فيشير إلى أن الختمية يؤمنون بنظرية الحقيقة

المحمدية أو النور المحمدي ويعتقدون أيضا بالفناء، ويستشهد بمقتطفات من كتاباتهم ومن أشعار السيد محمد عثمان الميرغني والسيد هاشم بن محمد عثمان، والسيد محمد سرالختم[85].

الواقع أن البيت الميرغني نهل من معين الفكر الإسلامي الصوفي، وأخذ من علماء ومشايخ ينتمون إلي التيار الصوفي والصوفية في تلك الآونة كانت هي السائدة والغالبة على اعتقاد الناس وتفكيرهم، وكانت الألفاظ والتعبيرات الصوفية المبثوثة في مصنفات أهل التصوف نثرا أو شعرا لا تلقي استنكارا أو استهجانا وكان العلماء يحملون شطحات الصوفية محملا حسنا ويتأولون أقوالهم ويفسرونها على المعاني الطيبة ويجدون المخرج المناسب لكل مقولة نطق بها صوفي في شحطاته ، إن رسائل الميرغنية وبالذات مؤلفات السيد محمد عثمان(الختم) لا تتناول بصورة واضحة ومباشرة مسألة وحدة الوجود صحيح أن المحجوب حاول أن يقدم تفسيرات موضوعية أو شرعية لوحدة الوجود وأنك تشتم في جزء من قصائده أيمانه بهذه الفكر، إلا أن الكلام عن هذه المسألة يقتصر على المحجوب وحده ولايتعداه، أما محمد عثمان

الميرغني فنحن لانجد أ، هذه القضية تشغل حيزا عنده أو مكانا بالقدر الذي يجعل منها فكرة أساسية عند الختمية .

وفي الفناء في ذات الله وفي حب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقد صرحت به مؤلفات محمد عثمان الميرغني قال في إحدى مؤلفاته: (أعلم أن الفناءات ثلاثة والبقاءات ثلاثة فالأول الفناء بالشيخ وذلك أن تخلص حتى يكون مرادك مراده فهذا أذهاب التوسع ثم البقاء به وبذلك ترقى إلى الفناء في الرسول وهو الفناء الثاني ومن ثم شطح بعض أهل الوصول ثم البقاء بالنبي العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبه تقوى لسطوع الأنوار العلية والتجليات الجلالية. وبهذا المشهد ترقي إلي الفناء في الرحمن وتصل إلى الوقوف في حضرة المنان فتارة تكون في شطح وبهت وتارة تكون في سكر ونعت[86]. يتكرر لفظ الفناء في أكثر من موضوع من مؤلفات السيد محمد عثمان نجده يقول في مكان آخر: (اللهم صلى وسلم وبارك عليه وببركة الصلاة عليه أجعله اللهم لي سمعا وبصرا لافني لديه)[87]. وكذلك تكثر الأقوال التي تصف نور النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في كتب الختمية.

فتذكر أنه فيض من نور وتستغيث به وتجعله قبلة للحيرى وملاذا للمتعبين وجهة يلجأ إليها المسلمون فرارا

من ضيق الدنيا وعنتها وتفيض أشعار أهل البيت الميرغني بهذا المعاني فمثلا السيد جعفر الصادق بن السيد محمد عثمان الميرغني له ديوان شعر كامل في مدح النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[88].

والحق أن التفكير الصوفي الصميم في جملته لا يكاد يخرج من مثل هذه المعاني فالمتصوفة يعلون من شأن الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ويبالغون في مدحه وذكر صفاته والتعلق به لدرجة الفناء فيه بمعنى حبه هو وحده والذهول عمن سواه من الخلق هذا أمر عام تشترك فيه كل جماعات الصوفية ، أما فكرة النور المحمدي التي حاول الدكتور/جلي أن يجعل الختمية من دعاتها ومن المعتقدين بها فالواضح أن الختمية ومن خلال رسائلهم لا يتعدى أيمانهم بالنور المحمدي سوي أنه نور معنوي يشمل الخلق بفيضه ويغمر الناس بضيائه ليس غير ذلك ، أن تناول الختمية لمثل هذه المسائل بصورة عامة لم يكن تناولا فلسفيا متعمقا فالسيد محمد عثمان (الختم) لم يجنح في أسلوب خطابه مع أصحابه وأتباعه إلى التعقيد وإلى إثارة قضايا المتفلسفة إنما هو مربى ومعلم وشيخ أكثر رسائله كانت تتكلم عن الذكر وآدابه والتصوف ومسالكه وطرقه

ووصف النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ومدحه بكامل الصفات والصلاة عليه بأتم وأرفع الصلوات.

الختمية أو القطبية:

إنتهى المتصوفة إلى القول بأن لكل زمان قطب أو غوث وهو الذي على يديه مدار العالم وهو الذي يسمى صاحب الوقت وهو الذي يلي أعلى مقام في الولاية ومن بعده يأتي الأوتاد ثم النجباء ثم الإبدال ولكل من هؤلاء مهمة ومقام، والختم هو الذي يشغل أعلى مقام في الولاية فالخاتم هو خاتم الأولياء وهذا ما ذهب إليه محي الدين بن عربي وعلى بن محمد بن وفا وقد أشار محمد عثمان الميرغني اليهما واخذ عنهما وتأثر بما كتباه، إلا أن اراءه عن الختم لم تنح منحا فلسفيا وإنما أوردها أقوالا مجردة كما هي[89].

ولقد أشار الميرغني إلى أقوال هذين الرجلين في كتابه النفحات المكية، ويورد السيد جعفر مايسميه بمبشرات الختم حيث يقول فيه (هذه رسالة في بعض مخاطبات الختم رضي الله عنه وأعني به الختم الذي مقامه دون مقام المهدي الذي ليس فوقه من الأولياء إلا المهدي المنتظر. فمن مخاطباته التي خوطب بها قال الختم ، قيل لي أن من

صحبك يموت على الولاية قال الختم ، قيل لي: إن من سلم عليك تحاتت ذنوبه قال الختم: قيل إن مقامك الوسيلة مع النبى وفاطمة والحسن والحسين والمهدي وأنت السادس وليس أحد معكم فيها بالسكنة ومن دخلها غيركم فإنما يدخلها على سبيل الزيارة. قال الختم: قيل إن معني الختم على أربعة أوجه: الأول: الختم النبوي والثاني، الختم المهدي، والثالث: ختمي، والرابع: الختم الذي لا ولى بعده وهو في آخر الزمان فعلمت من ذلك شأني، قال الختم: قيل إنه لم يقدر على معرفة حقيقتك أحد من كبار الأولياء العارفين وكم عالج ذلك كثيرا من الاغواث وكبار الافراد فلم يعرفوا حقيقة ذلك وأعظمهم معرفة بك محي الدين بن عربي.. قال الختم: قيل لي: إن كرسيا لك حول العرش بعد كرسي المهدي وأغلب هذه المبشرات لي وللمهدي .. قال الختم: قيل لي لو كان بعد النبي نبي لم تكن إلا أنت والمهدي قال الختم: قيل لي إن جميع الأولياء يتمنون مقامك .. قال الختم: قيل لغوث الأغواث هل تعلم أحدا أكمل منك فاشار إلى صورتي وصورة المهدي[90].

وهكذا فإن الختم الميرغني يستفيض في شرح مقامه وبيان منزلته من الاولياء والمكان الذي هو عليه عند أهل الديوان الصوفي وعند أصحاب الحضرات الإلهية.

ويردد هذه المعاني في شعره موضحا مكانته عند الله ومنزلته من النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). يقول في قصيدة له:

نحن المفاتيح للحضرات أجمعها

ونحن باب الإله الواحد الصمد

ونحن متكئات المصطفي طه

نحن أيضا فراش الرجل للأبد

إلى قوله:

ونحن نرزقه بين النبوة

والولاية العظمي أي وبابه الأحمد[90].

ويقول في ابيات أخرى مبينا منزلته من النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

ومن يبايعه بايعني ومن يكن

صافحه صافحني بايعه عن عجل

يدخله جنة نعيم نعم فردوس

جواره يحتظى من غير ما ملل

بشرى لكم ياصحاب الختم قاطبة

من مثلكم في الوري قد قال أو يذل

ما نلتموا غيركم يسند لأخيار

وأنتم تسندون عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[92].

ولاية آل البيت:

إن مبدأ ولاية أهل البيت هو الركن الأول الذي يقوم عليه اعتقاد الختمية[93]. حيث يظنون أن سلالة بيت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هي صاحبة الحق الأول في القيام بأمر المسلمين وفي انقياد المسلمين وأتباعهم لهذا النسل من بيت الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إن الختمية والشيعة يتفقون على هذا المبدأ ويجعلونه الأصل الاول في معتقدهم.

يرى الختمية ان الأئمة من بيت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لا يضلون إذا ضل الناس وسيبقون على الحق إلى يوم القيامة. ويذهب بعض أتباع الطريقة إلى تأويل الآيات القرآنية تأويلا يتفق مع هذا المبدأ فتفسر الآية الكريمة: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) إن حبل الله مقصود به آل البيت[94]. ويسوق بعضهم الأدلة من الأحاديث النبوية لتعضيد موقفهم وتأييد اعتقادهم ومن أبرز الأحاديث حديث (غدير خم) والذي يعدونه أوضح

دليل على أن الولاية أعطيت لعلي بن أبي طالب من عند الرسول(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيكون هو الوصي على المسلمين بعد وفاة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ولقد تعلل الشيعة بنفس هذا الحديث في مسألة الولاية وقووه واعتبروه أصلا من الأصول الدينية التي يجب العمل بها ولا يتم إيمان المرء إلا على أساسها، وكذا يرى أتباع الطريقة الختمية يقول أحد كبار علمائهم: (كان لابد من الأخبار بولاية أمير المؤمنين وأهل البيت لأن ذلك من أصول الدين لا من فروعه[95].

يقول أيضا: (يوم الغدير، وكانت الفرائض مفروضة والسنن مستنته والحدود قائمة والحلال بين والحرام بين إذا ما الذي ينقص الدين حتى نزلت هذه الآية؟ ما كان ينقص الدين إلا إعلان ولاية أمير المؤمنين وخلافته في ذلك الجمع حتى يتواتر الخبر عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وحتى لا يطمع ذو مطمع الخلافة عنده بعده (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) غير الذي أعلن حقه بأمر من الله في ذلك الجمع والفترة من بعده عليهم السلام)[96].

وترد في كتابات الختمية أيضا، مجموعة أحاديث اخرى يتخذونها دليلا على ما ذهبوا إليه من وجوب طاعة والتزام آل بيت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وعترته من

بعده، من ذلك حديث: (إلا أن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)[97].

وغير هذا من الأحاديث المؤيدة لمذهبهم، ويبدو أن جملة هذه الأحاديث لم ترد في كتابي الحديث الأكبر تشددا ودقة في جمع الأحاديث وهما البخاري ومسلم وحديث (غديرخم) مشكوك في صحته، أضف إلى ذلك وجود أحاديث صحيحة تشير إلى أن التفاضل بين الناس لا يكون إلا على أساس التقوى والورع والدين والصلاح، وقد وصف الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سلمان الفارسي بأنه من آل البيت إشارة إلى أنه لا يغني عن أهل بيته شيئا وإلى أن ابنته لو سرقت لأقام عليها الحد، وغير ذلك من الأقوال والافعال التي تدل على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لم يكن يميز أهل بيته بشيء إلا هذه الأشياء التي خصهم الله بها من التطهير وبعض الأحكام الخاصة، والمسلمون جميعهم يحترمون البيت النبوي وذريته ويجلونه، أما مسألة الخلافة والولاية وأمامة المسلمين فلقد مات النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) دون أن يفتي فيها بقول، بل تركها بين المسلمين يتشاورون فيها.

الكرامات:

الكرامة أمر خارق للعادة يظهر على يد ولي وهي تختلف عن المعجزة، فالمعجزة أمر خارق للعادة يقع على يد رسول وتختلف عن الاستدراج وهو أمر خارق للعادة يحدث على يد الكافر أو الفاسق[98]. فالذي للأنبياء معجزات وللأولياء كرامات وللأعداء ومخادعات[99].

والكرامة في نظر الدين أمر وارد ومقبول ولقد أجمع المسلمون على أن حدوث الكرامة جائز وأن بعض الكرامات قد حدثت بالفعل لبعض أولياء الله، وتمثل الكرامة لدى المتصوفة أرثا فكريا عظيما وهم أشهر من تكلم عنها وتفيض كتبهم بذكرها وقد اشتطوا فيها اشتطاطا كبيرا حتى قالوا إن المشي على الماء وكلام البهائم وطي الأرض وما سواه مما يدخل في باب المعجزات هو من الكرامات الجائزة في حق الاولياء.

مما يروي في هذا المجال أن السهل بن عبد الله التستري الصوفي الشهير قال: (وفد على رجل من الابدال -وهي مرتبة صوفية – وتكلمت معه وأخذ يسألني في مسائل عن الحقيقة وأجيبه عنها حتى وقت أداء الصلاة فغطس في الماء ولم يزل تحت الماء حتى وقت الزوال وعندما أذن أخي إبراهيم أذان الظهر خرج من تحت الماء من غير أن يبتل من جسمه مقدار شعره وصلى صلاة

الظهر وكان يغطس في الماء لا يخرج منه إلى وقت الصلاة وبقي معه مدة على هذه الحال إلي أن عاد من حيث أتي[100].

وقد اطلع الختمية على كتابات المتصوفة في هذا المجال وهي كثيرة جدا، وقد مضت الختمية على ذات الطريقة وعدت الكرامة مصدرا لاستنباط الأحكام ودليل على فضل مشائخهم وعظيم منزلتهم عند الله فهي تأييد الله لهم في الأرض ونصرته لهم على أعدائهم.

وكتابة الإبانة يذكر طرفا من كرامات مشائخ الختمية ومن ذلك كرامة السيد الختم التي تحققت مع خليفته الخليفة محمد بن عبد الحليم الملقب بالنقيب، وقد أطلق السيد محمد عثمان الختم هذا اللقب عليه – وهو لقب له مدلوله الصوفي – فقد خالف هذا الخليفة أستاذه السيد محمد عثمان (الختم) وسافر دون أن يأخذ منه الاذن بالسفر فتوفي حال وصوله إلى مقصده، وعلق الختم على ذلك أنه لو أخذن الإذن لما أصابه ضرر[101].

ومن ذلك ايضا ما رواه ابن ادريس الرباطابي عن ابن للسيد محمد عثمان الختم ركب مع أمه في (سنبوك) ولم تمض على ولادته بضع أشهر فهاجت عليهم ريح بوسط

البحر وكان معهم عدد من النسوة والمريدين، فانقلب (السنبوك) بمن فيه من الناس فرأي الناس أن الطفل الرضيع أدخل يده تحت السنبوك وأعاده كما كان حتى استوى على سطح البحر[102].

وهذه الكرامة قريبة من كرامة أخرى تحكي عن أن أحد خلفاء الختمية هو الشيخ ود إبراهيم وهو ولي مشهور بمنطقة الاراك وقبره يزار بقصد التبرك وقضاء الحوائج، فلقد روي أن ود شبو[103]. وهو شاعر معروف بجهات الشايقية سافر لأداء فريضة الحج وفي أثناء عودته على ظهر مركب أشرفت على الغرق وخاف من فيها وأصابهم ذعر فاستنجد ود شبو[104]. بعدد من الصالحين ومنهم ود ابراهيم فحفظوا السفينة ونجا من فيها، وقال في ذلك شعرا مايزال يروي عن الألسنة.

وهكذا فإننا نرى أن الختمية كغيرهم من الصوفية تعلو عندهم الكرامة وترتفع مكانتها ويرونها مصدر خير ودليل صلاح لمشائخهم ورمزا لصحة نهجهم، حتى وإن تجاوزت حدود العقل السليم والفكر المتعقل.

الخلفاء:

يذكر الاستاذ محمد أحمد حامد في كتابه عن الختمية أصل مهمة الخليفة ودوره في الطريقة مع أبرز سماته التي يجب أن يتصف بها، يقول: (الخليفة باختصار يجب أن يعمل ما كان الإمام الختم يعمله لو وجد في تلك المنطقة وهذا ما أشار إليه (الختم) بقوله (خليفتي كذاتي). ويجب على الخليفة أن يكون مواظبا على الحضرات والجمع والجماعات حاثا لأبناء الطريقة على الإذكار وحضور الأحتفالات الدينية التي هي مؤتمرات الطريقة وعليه أن يكون قدوة مطلعا على الأمور الدينية والدنيوية[105].

فالخليفة هو ممثل الطريقة في منطقته، وهو الصلة بين الأتباع وزعامة البيت الميرغني، ولقد لعب عدد من الخلفاء أدوارا هامة في مسيرة الطريقة الختمية وقد بلغ الإخلاص والولاء ببعضهم أنه ارتحل من جياره ليكون في صحبة المراغنة حيثما ما حلوا وأينما كان وجودهم فالخلفاء لهم أهميتهم القصوى في الطريقة ولقد تكلم محمد عثمان (الختم) عن عدد من خلفائه في أدبياته مما يدلى على منزلتهم عنده

العبادة والذكر عن الختمية:

تقوم الختمية على مجموعة أذكار وأوراد واستغفارات، يلتزم المريدون بأدائها وترديدها في أوقات معلومة، ولقد تميزت الطريقة التي كتبت بها هذه الأوراد بالبساطة والسلاسة لتتناسب مع العامة وتجد طريقها إلى قلوبهم(106).

ولقد قسمها صاحب الإبانة إلى قسمين قسم يتلى ويقرأه المريد منفردا، وجزء يقرأه الأتباع جماعة(107).

وأبرز كتب الذكر عند الختمية راتب الميرغني المسمى الأنوار المتراكمة يقرأ صباح مساء(108). ويقرأ عقب الاساس ويتلى بصورة جماعية(109). ولقد شرح السيد محمد عثمان راتبه هذا شرحين شرح صغير وشرح كبير(110).

ويقرأ المريد بعد الراتب التوسلين أحدهما هو التوسل المسمى بحبل الوصال باسماء الله الحسنى، والثاني التوسل باسماء الرجال للسيد محمد سرالختم(111). ويقرأ المريد دعوة قبلها ويقرأ يسن ويتبعها بالإخلاص ثلاث مرات ويتلو المبايعة(112).

ولقد سمح الميرغني لأتباعه بتلاوة بعض الأذكار التي لم يقم هو بوضعها من ذلك أنه اجاز لهم قراءة الصلاة المشيشية ودلائل الخيرات وحزب السيف وأحزاب السيد

أبي الحسن الشاذلي وأوراد لمحي الدين بن عربي[113]. وألف السيد محمد عثمان لأتباعه ايضا رسالة تتناول سيرة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وذكر صفاته الخلقية ولقد صاغها في نظم شعري وسماها (النور البراق في مدح النبي المصادق (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[114].

ولقد كان محمد عثمان الميرغني فيما ذكر صاحب الإبانة يحث أتباعه على الذكر ويزجرهم عن ترك مجالس الذكر، وكان يأمرهم بالحضور عنده في أول الثلث الأخير من الليل لأداء أذكار السحر بشكل جماعي، ويعين أفرادا يوكل إليهم أمر تنظيم صفوف الصلاة وإيقاظ الأتباع لها وترتيب حلقات الذكر[115].

في النصف الأول من هذا القرن أدخل الختمية استخدام الطبول والدفوف في مدائحهم التي تؤدي بصورة جماعية[116].ويرى السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني أن أدخال هذه الطبول كان القصد منه تحقيق أهداف سياسية، ويقول السيد أحمد إن عمهم السيد محمد الحسن في كسلا (ت 1978م) كان يحظر على أتباعه استخدام أي آلات مصاحبة للذكر ، مع عدم ترديد المدائح التي تصف مناقب وفضائل السادة المراغنة والإكتفاء بمدح الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[117].وهذا يعطي إيحاء بأن تيار

الختمية الموجود في كسلا يختلف نوعا ما عن فرع المراغنة في الخرطوم بحري، فالفرع الأول فيه نزوع إلى المدرسة السلفية ، أو إلى التيار الصوفي المعتدل الذي يعتمد على النصوص والأدلة الشرعية.

وقد أنكر الأستاذ أبوالحسن الندوي عند زيارته لدار السيد على ما كان يردده شباب الختمية في لحن (شيء لله يا حسن ... يا سلطان الزمن) ورأي أنه يعارض التوحيد ففيه استغاثة بشيخ ميت واعتقاد بأنه سلطان الزمن وتسأل عما إذا كان السيد يعلم هذا فيوافقهم عليه أولا يعلمه[118]. والقصيدة هذه منسوبة لود المتعارض وهو أحد تلاميذ السيد الحسن وقد مدحه في قصائد كثيرة[119].

وكان السيد محمد عثمان ينهى المنتمين إليه عن لبس المرقعات ويأمرهم بلبس الثياب الجميلة الحسنة والعمائم الطويلة ويكسى أتباعه أجود الثياب ويدعوهم إلي تحسين هيئتهم[120]. على خلاف ما نجد عند أكثر أهل الطرق الأخرى.

وهكذا فإننا نرى أن الطريقة الختمية اختصت نفسها بأوراد وأذكار واستغفارات وأدعية وصلوات يلتزم بها أفراد الطائفة ويتلونها بشكل معلوم ومرسوم.

يتضح لنا من خلال ما ذكرناه في هذا المبحث عن أهم عقائد الختمية وأصولهم الفكرية، إن بعض أهل الطريقة الختمية يجعلون في الأصل الأول في منهجها الفكري، الاعتقاد بوجوب ولاية أهل البيت وعترتهم وأنهم ثقاة عدول وهم على الحق دائما، ويظهر لنا أيضا عبر ماذكرناه أن السيد محمد عثمان الميرغني قد وضع أساسا دقيقا لجماعته، ونظمها وجمعها على أوراد الطريقة وأنكارها وكان ذلك على خلاف منهج استاذه السيد أحمد بن إدريس الذي لم يهتم بالتدوين وتنظيم الأتباع كما اهتم الميرغني بذلك.

هوامش الفصل الأول:

(1) راجع سلسلة النسب في: لؤلوة الحسن الساطعة في بعض مناقب ذي الاسرار اللامعة والفيوضات الوهمية النافعة السيد محمد عثمان الميرغني (متنوعات ، 283) ص 4 وترجمة السيد محمد عثمان الميرغني المحجوب المكي رحمة الله تعالى دار الوثائق المركزية قطعة رقم 1119 متنوعات صندوق رقم 1/63 ص 4 وهي مناقب صاحب الراتب ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية في آداب الطريقة الختمية ، ص 99 ،98

(2) محمد إبراهيم أبو سليم: مقدمة الإبانة النورية ، ص 26.

(3) أحمد محمد أحمد جلي (دكتور): طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها ، بيروت دار خضر ، ط أولى ، 1992 ، صفحات 144 ،143

(4) مقابلة مع السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني (بشمبات-الخرطوم-السودان) بمنزله.

(5) محمد الخليفة طه الريفي ، السادة المراغنة (هيئة الختمية للدعوة والإرشاد المكتبة الإسلامية 1983 م)

(6) محمد ابراهيم أبو سليم ، مقدمة الإبانة ، ص 11.

(7) المرجع السابق نفسه ، نفس الصفحة.

(8) أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) طائفة الختمية أصولها التاريخية واهم تعاليمها ، ص 13 ، 14.

(9) النبهاني ، يوسف بن إسماعيل ، جواهر البحار في فضائل النبي المختار (صلى الله عليه وسلم) الجزء الثاني (مصطفي البابي الحلبي ، 1960) صفحات 14 ، 405.

(10) انظر: الملتقطة المنقولة عن معجم السيد المرتضى في رسالة تحريض الأغبياء على الإستغاثة بالانبياء والأولياء لمصنفها عبد الله المحجوب الميرغني ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية ، ط ثانية (مصطفى البابي الحلبي بمصر 1979م) ، ص 4.

(11) محمد ابراهيم أبو سليم (أ. د.) مقدمة الإبانة ، ص 12.

(12) نفسه ، ص 13.

(13) نفسه ، ص 14.

(14) الميرغني محمد عثمان (مناقب صاحب الراتب) الموجود ضمن الرسائل الميرغنية المشتملة على اثنتي عشرة رسالة في آداب الطريقة الختمية ، ط ثانية (مصر مصطفي البابي الحلبي 1979م) ص 99.

(15) أبو سليم ، مقدمة الإبانة النورية ، ص 28 ، 29

(16) الميرغني ، محمد عثمان ، مرجع سابق ، ص 4

(17) الختم ، محمد عثمان ، مقدمة منظومة منجية العبيد في علم التوحيد ، سلسلة الميرغني الإسلامية ، ط ثانية (لندن ، المكتبة الإسلامية 1990) ، ص ج. د.

(18) الميرغني ، محمد عثمان ، المصدر نفسه ، ص 5

(19) النصيح ، أحمد بن إدريس ، الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية ، ص 4 ، 5.

(20) على صالح كرار (دكتور) ، الطريقة الإدريسية في السودان ، الطبعة الأولي (بيروت دار الجيل 1991) ، ص 50.

(21) نفسه ، ص 17

(22) محمد إبراهيم أبو سليم ، مقدمة الإبانة ، ص 16

(23) حسن مكي محمد أحمد ، (بروفسور) الثقافة السنارية في السودان المغزى والمضمون (بمناسبة مرور 500 عام هجري على قيام سلطنة سنار الإسلامية) جامعة إفريقيا ، مركز البحوث والترجمة) (اغفلت تاريخ الطبع) ص 72

(24) محمد إبراهيم أبو سليم ، مقدمة الإبانة ، ص 15.

(25) الميرغني ، محمد عثمان ، الاسرار الربانية في مولد خير البرية ، ط أولي (الخرطوم ، المكتبة الإسلامية 1976) ، ص 5.

(26) الميرغني ، محمد عثمان ، الزهور الفائقة في حقوق الطريقة اللصادقة ضمن الرسائل الميرغنية في آداب الطريقة الختمية ، ط ثانية (مصطفي البابي الحلبي مصر 1979) ، ص 48

(27) علي صالح كرار (دكتور) ، مصدر سابق ، ص 45

(28) ابن ادريس ، أحمد بن محمد النصيح ، الإبانة النورية ، صفحات 7 ، 8 ، طبعة المكتبة الإسلامية.

(29) نفسه ، ص 8

(30) نفسه ، صفحات ، 7 ، 9.

) (31)Ali Salih Karrar: The Sufi Brother hoods in the Sudan. London Hurst and C. Company 1992) P.19

) (32)Ali Salih Karrar: Opcit. P.59

* ذكر علي صالح كرار أن الشيخ محمد إبراهيم خضر متي البديري الدهمشي والمعروف في المنطقة أيضاً في ديار الشايقية في شمال السودان بمحمد ود إبراهيم الأبكراوي ضمن هذه الطبقة ، وهذا فيما يبدو غير صحيح ، فالشيخ محمد إبراهيم لم يأخذ عن السيد محمد عثمان الختم وإنما أخذ عن السيد محمد عثمان الاقرب بن السيد الحسن ، ويبدو أن الفكي إبراهيم والد الشيخ محمد إبراهيم قد أخذ عن الختم ، وكان الفكي إبراهيم ايضا معلما للقرآن وهو مؤسس هذه الأسرة التي جاءت من منطقة (أبكر) قرب الدبة إلى منطقة الأراك (للتوسع في ذلك أنظر: مقال بعنوان (الشيخ ود ابراهيم نور الأراك) مجلة الفيض العدد الرابع.

Ali Salih Karrar: Op.cit P. P. 68 (33)

Ibid P. 60 (34)

(35) الرباطابي ، ابن ادريس ، الإبانة صفحات 73 ، 75 ، 76

(36) المرجع السابق نفسه ، نفس الصفحات.

(37) جعفر الصادق بن السيد محمد عثمان الختم ، لؤلؤة الحسن الساطعة ، ص 11 ، 12.

(38) أحمد بن إدريس محمد النصيح ، الإبانة ، صفحات ، من 13 إلى 17 طبعة المكتبة الإسلامية.

(39) ذكر ابن إدريس الرباطابي أن جيش اسماعيل نزل في أبي حمد وهذا على خلاف رواه نعوم شقير الذي قال إن جيوش إسماعيل قد سارت عبر الصحراء من كورتي إلى أن بلغت النيل عند الباقير وذلك في 28 فبراير 1821م ووصلت الغبش تجاه بربر في 5 مارس 1821م (انظر: نعوم شقير ، تاريخ السودان الحديث ، ج 3 ، ص 497) أيضا: انظر: أبو سليم ، تحقيق الإبانة ، ص 84).

(40) أحمد بن إدريس محمد النصيح ، الإبانة ، مرجع سابق ، الصفحات من 17-20.

(41)Ali Salih Karrar: Op.cit P. P. 63-64

(42) الرباطابي ، ابن إدريس ، الإبانة طبعة دار الجيل ، ص 231.

(43) الرباطابي ، ابن ادريس ، الإبانة ، طبعة دار الجيل ، مرجع سابق ، صفحات 216 ، 219 ، 223 ، 230 ، 232.

(44)Ali Salih Karrar: Frat Opcit P. 66

(45) على صالح كرار (دكتور) الطريقة الإدريسية في السودان ، مرجع سابق ، صفحات 50 - 51.

(46) لم تكن الطريقة القادرية رئاسة موحدة داخل السودان ، بل ظل نفوذها يتوزع بين عدد من المشايخ – وبقي هذا الحال إلي وقتنا هذا – ومن أبرز مشيخات الطريقة في السودان ، مشيخة الكباشية مؤسسها الشيخ ابراهيم الكباشي (ت 1867 م) وسجادة الشيخ حسن ود حسونة أتباعها هم أحباب حسن ود حسونة وسجادة المكاشفي اتباعها في مدني والمناقل والجزيرة ، وسجادة العركيين في الجزيرة ، وسجادة المكاشفي اتباعها في مدني والمناقل والجزيرة ، وسجادة الشيخ الجعلي في شمال السودان (انظر69 Sudan Pamphlets جامعة الخرطوم ، مكتبة السودان ، مطبوع بالآلة الكاتبة صفحات 2-3).

(47) محمد ابراهيم أبو سليم ، مخطوط في تاريخ مؤسس الختمية في مجلة الدراسات السودانية العدد الأول السنة الأولي (يوليو 1968) ، ص 41.

(48) لقد تفرعت القيادة ، داخل الطريقة السمانية ، وظهرت فيها أكثر من مشيخة فكان هناك فرع الشيخ محمد الطيب البصير ووالد محمد الطيب هذا وهو الشيخ البصير كان قد أخذ الطريقة عن الشيخ الطيب رجل ام رحي فأصبح شيخا مرموقا من مشائخها ومن الذين أخذوا البيعة السمانية عن البصير الشيخ القرشي ود الزين نفسه ، ثم هناك فرع الشيخ القرشي وفرع الشيخ محمد شريف نورالدائم حفيد الشيخ أحمد الطيب البشير وكان الفرعان الأولان قد أسهما في مجيء المهدية ومساندتها ودعمها الدعم الأوفر ، أما الفرع الأخير فلقد كانت له مواقفه الواضحة ضد المهدية (أحمد عثمان محمد ابراهيم ، الجزيرة خلال المهدية ، رسالة ماجستير ، جامعة الخرطوم كلية الآداب – 1970 – مطبوع بالآلة الكاتبة صفحات 101 – 112) أنظر ايضا: محمد ابراهيم أبوسليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص 169-170).

(49)Ali Salih Karrar, Opcit P. 68

(50)Ibid. P. 68

(51)Ali Salih Karrar: Frat Opcit P. 66

(52)Ibid

(53)Ibid P. 73

(54) محمد ابراهيم أبو سليم (أ. د) ، مرجع سابق ، ص 233.

(55) محمد احمد حامد محمد خير ، الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج ط ثانية (الخرطوم ، دار المأمون 1987م) ، ص 47.

(56)Ali Salih Karrar: Frat Opcit P,.74

(57) إبن ادريس ، احمد بلن إدريس بن محمد النصيح ، الإبانة ، ط المكتبة الإسلامية ، مرجع سابق ، صفحات 52 -54

(58) نفسه ، ص 54.

(59) الرباطابي ابن ادريس ، الإبانة ط دار الجيل ، مرجع سابق ، ص 135 ، 136

(60)Ali Salih Karrar: Frat Opcit.P.77

(61)Ibid, P,.84

(62) أحمد عثمان إبراهيم ، من أشعار الشايقية ط ثانية (الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1992م) ، ص ،53

(63) نفسه ، نفس الصفحة.

(64) يوسف فضل حسن (دكتور) الشلوخ أصلها ووظيفتها في سودان وادي النيل الأوسط ، ط ثانية (الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر 1989م) صفحات 56- 57.

(65)Ali Salih Karrar: Frat Opcit P. 79

(66)John Voll: A history of the Khatmmya tariqa in The Sudan (Harvard 1969) P.230

(67)Ali Salih Karrar Frat Opcit P. 79

(68)Ibid P, 80.

(69) محمد أحمد حامد محمد خير ، مصدر سابق ص 50

(70) الشيخ محمد بدر المشهور بالشيخ العبيد ولد سنة 1810م كان قادريا وحج البيت نحو سنة 1840م ثم جاء وأسس مسجده بأم ضبان نحو 1847م فلقي شهرة وصيتا ولقد روى المستر(ريد) أن الشيخ العبيد التقي بالسيد محمد عثمان الميرغني (الختم) فتنبأ له بأنه سيؤسس مسجدا للقرآن بالسودان وسيكون هذا المسجد في مكان فيه سدرة مليئة بالذباب فتحققت النبؤة وسمى المكان بأم ضبان ولقد أيد المهدي تقيه ولم يكن من المؤمنين بها ولقد استفاد المهدي من تأييده الظاهري هذا الكثير وطلب لقاءه ، إلا أنه لم يلتق به إذ مات الشيخ

وهو في طريقه إلى المهدي في 1884م أنظر: أحمد عثمان محمد ابراهيم ، الجزيرة خلال المهدية ، مرجع سابق ، صفحات 12 إلي 224 .

(71) الشيخ احمد الطيب بن البشير (1155هـ / 1703 م – 1239هـ / 1823م) مؤسس الطريقة السمانية في السودان المدفون بأم مرحي على مسافة 40 كيلومتر شمال أم درمان وقد أخذ طريقته هذه عن أستاذه محمد بن عبد الكريم السمان بالمدينة المنورة (انظر: عبدالمحمود نورالدائم المناقب الصغري للشيخ أحمد الطيب بن البشير) ايضا (الطريقة السمانية – مطبق خاص بالطريقة السمانية أمدرمان – جامع الشيخ قريب الله).

(72)Ali Salih Karrar: Opcit. P. 81

(73)Ibid., P. 81

(74) علي صالح كرار (دكتور) الطريقة الادريسية في السودان ، مرجع سابق ، ص 95.

(75) محمد عثمان الميرغني (الختم) مقدمة منظومة منجية العبيد في علم التوحيد ، ص (ح) (ط).

(76) علي صالح كرار (دكتور) ، الطريقة الإدريسية في السودان ، مرجع سابق ، ص 113 – 114.

(77) الرباطابي ، ابن ادريس ، الإبانة النورية طبعة دار الجيل ، ص 175- 176

(78) محمد عثمان الميرغني ، اللمحات المكية واللمحات الحقة في شرح أساس الطريقة الختمية (ضمن النفحات الربانية).

(79) الرباطابي ، ابن إدريس ، الإبانة ط دار الجيل ، مرجع سابق ، ص 187

(80) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون (دار البيان) (بدون تاريخ) ، ص 467.

(81) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص 469

(82) أحمد أمين (دكتور) ظهر الإسلام ، ج الثاني ، ط الرابعة (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية 1966م) ، ص 59.

(83) المرجع السابق ، ص 58.

(84) أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) مرجع سابق ، ص 48

(85) نفسه ، صفحات 98 ، 99.

(86) الميرغني ، محمد عثمان ، الهبات المقتبسة لإظهار المسائل الخمسة والعطايا الدقيق في اسرار الطريقة (ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية ، مرجع سابق) ، ص 24 – 25.

(87) الميرغني ، محمد عثمان ، المسبعة الميرغنية المشتملة على الصلوات الأسبوعية المسماه فتح الرسول ، ط ثانية (مصطفي البابي الحلبي بمصر 1957) ، ص 197.

(88) جعفر الصادق بن محمد عثمان الميرغني ، الديوان الكبير المُسمى رياض المديح وجلاء كل ذي ود صحيح وشفاء كل قلب جريح في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) (مصطفي البابي الحلبي بمصر) 1933م.

(89) محمد ابراهيم أبو سليم ، مقدمة الإبانة ، مرجع سابق ، ص 21 ، 22

(90) الميرغني ، جعفر محمد عثمان ، رسالة الختم في بعض المبشرات ضمن (الرسائل الميرغني ، مرجع سابق) ص110-.111

(91) جعفر بن محمد عثمان الميرغني ، رسالة الختم في بعض المبشرات ، مرجع سابق ، ص 115.

(92) الرباطابي ، ابن إدريس ، مرجع سابق ، ص 204.

(93) هذا الإتجاه القائل بنصرة آل البيت والمتسرب من الفكر الشيعي ، اتجاه حديث في الطريقة لم يعرفه أهل الطريقة من قبل وما قالوا به ، إلا أنه يظهر بجلاء عند اثنين من أتباعها من اصحاب المؤلفات عن الختمية ، الأول هو الشيخ على زين العابدين والثاني: هو الاستاذ محمد أحمد حامد حمد خير ، وقد ذكر لي الدكتور أحمد بن محمد عثمان الميرغني أنهم يرفضون هذا التيار الذي يقارب بين فكر الشيعة والختمية.

(94) محمد أحمد حامد محمد خير ، براءة الشيعة من مفتريات الوهابية (بدون تاريخ) ، ص 25.

(95) الشيخ على زين العابدين ، تاج الأولياء والأولياء ، ط أولي (بيروت دار مكتبة الهلال 1984م) ، ص 127

(96) نفسه ، ص 129

(97) محمد أحمد حامد محمد خير ، براءة الشيعة ، مرجع سابق ، ص 10

(98) عبد الله حسن زروق (دكتور) قضايا التصوف الإسلامي ، ط أولي (الخرطوم: دار الفكر 1985م) ، ص 333.

(99) الكلاباذي ، أبو بكر محمد ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، حققه عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور (القاهرة: البابي الحلبي 1960) ، ص 73.

(100) النبهاني ، جامع كرامات الأولياء ، صفحات 412 - 413

(101) الرباطابي ، أحمد بن إدريس ، الإبانة ، ط دار الجيل ، مرجع سابق ، ص 100

(102) نفسه ، ص 148.

(103) الشاعر محمد علي شبو: (1888/ 1927) من منطقة (مقاشي) شمال كريمة في شمال السودان ، كانت له صحبة ومحبة مع الشيخ ود إبراهيم الولي المشهور في منطقة الأراك شمال كريمة (مقابلة الخليفة محمد نور).

(104) الخليفة محمد نور البدوي: مقابلة عن (الكرامة عند الختمية) بمنزله بأم بده الحارة (12)27 /1996/10م.

(105) محمد أحمد حامد محمد ، الختمية ، مرجع سابق ، ص 138.

(106) علي صالح كرار (دكتور) الطريقة الإدريسية في السودان ، مرجع سابق ، ص 110.

(107) الرباطابي ، الإبانة ، مرجع سابق ، ص 191

(108) الميرغني ، محمد عثمان ، راتب الميرغني ، القاهرة ، النشر والإعلان والتوزيع (بدون تاريخ)

(109) الرباطابي ، الإبانة ، مرجع سابق ، ص 191.

(110) نفسه ، صفحات 191 ، 192

(111) الميرغني ، محمد عثمان ، راتب الميرغني ، مرجع سابق ، ص 30.

(112) الرباطابي ، الإبانة ، مرجع سابق ، ص 192

(113) نفسه ، ص 199

(114) الميرغني ، محمد عثمان ، النور البراق في مدح النبي المصداق ، ط ثانية (الخرطوم: المكتبة الإسلامية 1981).

(115) الرباطابي ، الإبانة ، مرجع سابق ، ص 152 ، 153

(116) أكد لي أكثر من شخص من الذين اشتركوا فيما عرف بشباب الختمية أنهم كانوا يؤدون المدائح مجردة من مصاحبة الدفوف والطبول إلى أن طلب منهم في وقت متأخر إدخال هذه الآلات.

(117) السيد احمد بن محمد عثمان الميرغني (مقابلة)

(118) أبو الحسن على الحسني الندوي ، مذكرات سائح في الشرق العربي ، ط أولي (مكتبة وهبة 1954) ، ص 202

(119) محمد أحمد محمد خير ، مرجع سابق ، ص 50.

(120) الرباطابي ، الإبانة ، طبعة دار الجيل ، مرجع سابق ، ص 154.

(121) مكي شبيكة (دكتور) السودان والثورة المهدية ، الجزء الأول ، من موقعة أبا إلى حصار الخرطوم ، ط أولي (الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1978م) ص 9 طبع بمطابع دار الطباعة ، جامعة الخرطوم.

الفصل الثاني

الختمية والدولة المهدية

المبحث الأول: المهدية والطرق الصوفية:

المبحث الثاني: الختمية والدولة المهدية:

المبحث الأول:المهدية والطرق الصوفية:

أولا: نشأة محمد أحمد المهدي وصلته بالسمانية:

تتفق الروايات على أن محمد أحمد بن عبد الله قائد الدعوة المهدية في السودان ولد في 12 اغسطس سنة 1844م بجزيرة لبب من اسرة تقول إن نسبها يتصل ببيت الرسول (محمد) عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ومن بين افراد هذه الأسرة أشتهر جد لمحمد أحمد عرف عنه الصلاح والتقوى[1]. كان والد محمد أحمد نجارا يصنع المراكب النهرية وقد دعته ظروف العمل إلى الإنتقال بأبنائه الاربعة (ومحمد أحمد اصغرهم وكان إذ ذاك طفلا) إلى كرري شمال الخرطوم وهناك وفي تلك المنطقة توفي والده ودفن وإتجه ابناؤه من بعده إلى الإشتغال بحرفة أبيهم سوي محمد أحمد الذي كان على نقيض أخوته فلقد مال إلى طلب العلم فإتجه إلى دراسة القرآن فأخذ أولا على شيخه الامين الصويلح في مسجد ود عيسى بالجزيرة علوم الفقه والقرآن، ثم إنتقل إلى الشيخ محمد الخير ودرس عنده ومالت نفسه بعد ذلك إلى الانتظام في سلك التصوف، فرغب في الإنتماء والإلتحاق بالطريقة السمانية فكان له ذلك في العام 1861م على يد الشيخ محمد شريف حفيد الشيخ أحمد الطيب مؤسس الطريقة في

السودان[2].بدأت علامات النبوغ والتفوق تظهر علي محمد أحمد مع زهد وحرص على العبادة والإبتعاد عن زخارف الدنيا مما جذب انتباه شيخه محمد شريف له فقربه منه وسمح له لاحقا بأن ينوب عنه في إعطاء الطريقة[3].

في العام 1871م غادر محمد أحمد إلى الجزيرة أبا حيث أزداد أمر صلاحه أنتشارا فألتف حوله عدد من المحبين والإتباع، وإقترح محمد أحمد على شيخه الإنتقال إلى منطقة العراديب فقبل الشيخ كلام تلميذه وعمل به، ولكن المودة التي قامت بين الأستاذ محمد شريف وبين محمد أحمد لم يتح لها أن تدوم دويلا فلقد تحولت هذه المودة إلى جفاء ثم إلى عداء[4]. ويبدو أن سبب ذلك تبعا لما يروي هي الاعتراضات التي أبداها محمد أحمد تجاه الأفراح التقليدية التي أقامها الأستاذ محمد شريف ابتهاجا بختان أنجاله، أو ربما تكون هي الغيرة الفطرية من الشيخ على تلميذه الذي أصبح يحتل مكانة كبرى في قلوب أهل الطريقة السمانية، وعلى كل فقد أدت تلك الخلافات إلى طرد محمد أحمد من الطريقة السمانية[5].

ولا يعتقد أحفاد الشيخ محمد شريف نورالدائم أن جدهم قد بدر منه ما يخالف الشريعة أو يناقض السلوك الإسلامي لذلك فهم يردون القصة التي ترى أن سبب الخلاف بين

محمد أحمد واستاذه أساسها الاحتفالات التي أقامها محمد شريف، ويظن الدكتور حسن الفاتح قريب الله أن العقل يرفض مثل هذه الرواية ، فليس من الممكن أن تنتهي العلاقة بين هذين الرجلين بعد أن دامت قرابة العشرين عاما وقد قامت هذه العلاقة على الاحترام والثقة والمحبة في الله وطيلة هذه السنوات ألم يتح لمحمد احمد أن يعلم من سلوك استاذه ومن أخلاقه ما أراد أن يعرفه فهذه السنين الطويلة كافة أن تبين أحوال الإنسان وميوله وأن تحدد إتجاهات تفكيره وتدبيره للأشياء، فالقصة من هذه الوجهة مرفوضة عند أحفاد الاستاذ محمد شريف[6].

وينقل نعوم شقير سبب الخلاف عن الشيخ محمد شريف نفسه الذي يقول: (إن محمد أحمد لما كثرت أنصاره ومريدوه كبرت نفسه وسول له الشيطان الغرور أنه أعظم من في الارض وانه المهدي المنتظر فأسر إلى بدعواه ورغب أن اكون له وزيرا ومستشارا فيجعل الأمر كله في يدي وذلك في عام 1878م فزجرته ونهبته مرارا ولما لم ينتهي عقدت معه مجلسا في أبا جمعت إليه القضاة والنظار وبعض الأخيار.. أمرته بالرجوع عن ضلالته وأشهدت الله ورسوله والحاضرين أني أن رجع شاطرته نصف ما ملكت يدي من مال وعقار فخرج من المجلس

لمشاورة من معه من الأصحاب فلم يرجع ومن ذلك الوقت نفيته من الطريقة وقلت لأصحابي أن يضربوه إذا جاءهم ونصحت لقائم مقام (الكوه) بوجوب القبض عليه وزجه في السجن خوفا من تجسم الأمر فلم يفعل وقال إنه رجل صالح وصاحب الخضر ولا يمسه بسوء[7].

ويظن (هولت) أن رواية شقير مشكوك في أمرها لاسباب عديدة لعل أهمها هو أنها رويت عن الشيخ محمد شريف نفسه ولقد عمل محمد شريف تحت إمرة المهدي ولذلك يمكن أن تكون هذه الرواية مجرد محاولة لتملق الغزاة البريطانيين والمصريين ولتصوير أنه الشخص الأوحد الذي حدس بوادر خطر الثورة المهدية في مهدها، لذلك يعتقد هولت (أن السبب الرئيسي للنزاع هو الشعبية المتزايدة التي تمتع بها محمد أحمد على حساب الاستاذ محمد شريف[8].

ثانيا: الفكرة المهدية والتصوف:

إن فكرة المخلص أو المنقذ الذي سيظهر يوما ما لينهي العناء والظلم فكرة قديمة مشتركة بين الأديان السماوية الثلاثة على اختلاف بينهم في المفهوم والرؤية[9].ولقد ظهرت في تاريخ الإسلام منذ وقت مبكر ويعرف

الشخص المخلص عند المسلمين (بالمهدي) وكلمة (مهدي) لم ترد في القرآن الكريم ولم ترد في الصحيحين ولكنها وردت في بعض كتب الحديث الأخرى الأقل تشددا كابن ماجة والترمذي وغيرهما وخلاصة ماجاء في هذه الكتب عن المهدي أنه شخص يظهر في آخر الزمان يجدد الدين ويملأ الدنيا عدلا بعد أن ملئت جورا ويكون من ذرية فاطمة بنت الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[10].ولقد شكك ابن خلدون في صحة عدد وافر من هذه الأحاديث[11]. فلقد سعى الشيعة إلى اختلاق الأحاديث التي تؤيد منطقهم وتسند آرائهم.

على أن الأمامة عند أهل السنة لا تعدو أن تكون رياسة عامة على أمور الدين والدنيا لشخص من الاشخاص لا علاقة لها بالنسب النبوي والأمور الباطنية[12]. وترجع جذور فكرة المهدية في تاريخ الإسلام في أيام الخلاف الذي أعقب مقتل سيدنا عثمان ودفع المسلمين إلى ما عرف فيما بعد (بالفتنة الكبرى) ولقد كان الشيعة أسبق الفرق إلى اعتناق هذه العقيدة وأشدهم تعلقا بها ولقد كان شعورهم الدائم بالظلم وتطلعهم إلى وضع جديد عادل يكفل لهم حريتهم يجعلهم باستمرار متمسكين وعلى امتداد العهود الزمنية بفكرة المهدي[13].

غير أننا نجد أن فكرة (المجدد) أو(المصلح) تتبوأ مكانا أهم عند أهل السنة من فكرة المهدي، واعتقادهم هذا نابع من حديث عن الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيما معناه أن الله يبعث لهذه الأمة على راس كل قرن من يجدد لها أمر دينها فيعيد الإسلام إلى صفائه ويزيل ما علاه من شوائب[14]. لذلك فإن اعتقاد عامة أهل السنة يناقض تماما ما تدين به الشيعة فهم لا يؤمنون أن المهدي ولد من ألف عام وغاب في سرداب أو نحو ذلك ثم يخرج في آخر الزمان كما هو في صلب العقيدة الشيعية[15].

ويظن الدكتور حسن مكي محمد أحمد أن التعريفات التي حاول أن يقدمها السيد الصادق المهدي في كتابه (يسألونك عن المهدية)، وهي تعريفات لبيان ماهية النظرية المهدية – ليست تتفق ولا تتطابق مع شخصية المهدي عند أهل السنة ، فلقد ذكر مؤلف كتاب (ويسألونك عن المهدية) إن المهدية هي عبارة عن نداء قيادة دينية ملهمة توحد كلمة المسلمين وتجدد الدين وتدعو إلى الإلتزام بالكتاب والسنة وتشغر كذلك فراغ الخلافة عن الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهذا لا يتمشى مع حقيقة الفكر المهدية التي تقوم على مبدأ سلطان الكشف والذي يتجاوز ويتخطى سلطان النقل وحدود النص، ومثل هذه التعريف يصلح

للتعبير عن (المجدد) الذي يحيي السنة المندثرة ويعيد الدين المفقود، ولا ينبغي أن نطلقه على المهدي لأن المهدي نتاج طبيعي لتطور الفكر الباطني وغرس المنهج الشيعي[16].

كذلك يظن الدكتور مكي أن تجربة الأمة المسلمة مع الفكرة المهدية كانت غير سعيدة وظاهرة الثورة في إطار المهدية لم تؤد إلى حركة إصلاح أو نهضة حقيقية، لأن شخصية المهدي قادت جماهير المسلمين إلي تعطيل دور العقل وإعلاء شأن الكشف وهتك الستر حتى يغدو الكشف مرجعا أساسيا للتشريع وإصدار الأحكام[17].

وقد اهتم الصوفية ايضا بأمور الغيب وعنوا بكشف الحجب واختراقها حتي صاروا يرون أن صاحب الكشف يطلع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس أن يدرك شيئا منها[18]. فهم كما يوضح ابن خلدون يذكرون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيرا من الواقعات قبل حدوثها وينصرفون بهمة وقوة نفوسهم في الموجودات السفلية[19].

وهذا يبين لنا موقف الصوفية إزاء فكرة المهدي فلقد اقام هؤلاء دولة غيبية على رأسها شخصية مهدوية تدير

شؤون الكون وتتصرف فيه هذه الشخصية هي الغوث أو (القطب) وتحثه في إدارة شؤون الكون الأوتاد الأربعة بعدد أركان العالم ، ثم البدلاء السبعة والنقباء الثلاثمائة والنجباء الأربعين وخاتم الاقطاب هو النائب الأول للنور المحمدي المهدي المنتظر كما جاء في كتابات محي الدين بن عربي[20].وهو أشهر من تكلم عن المهدي المنتظر فلقد ذكره في الفتوحات المكية في مصنفه الخاص عن المهدي المنتظر (عنقاء المغرب) ولقد غدت مؤلفات هذا الرجل حجة فيما بعد عند السودانيين في الدفاع عن مهدي السودان أو في معارضته[21]، ولقد وفدت الأخبار التي تحمل فكرة المهدي وتتحدث عنه من مصدرين كما يعتقد أبوسليم أولاهما ، مصدر عام وهو قراءة المصادر الإسلامية التي تكلمت عن المهدي وإنتشار الطريق الصوفية والإتصال بالمسلمين في البلدان الأخرى عن طريق الحج والتجارة وغيرهما من أمور الحياة التي تدفع الناس إلى الإتصال ببعضها، أما المصدر الثاني فهو مصدر خاص وهو اثر حركة الجهاد الفلاني التي قام بها الشيخ عثمان دان فوديو ثم واصلها أخوه عبد الله وابنه محمد بيلو[22]. فلقد بشر الشيخ دان فوديو بدنو ظهور المهدي في المناطق الواقعة شرقي بلاده فلقد قال في أحد

كتبه يظهر في الشرق أي المهدي وسأتبعه إن كنت حيا، وإن لم أكن حيا فعلى المؤمنين تأييده والهجرة إليه وقال في قصيدة موجهة لجماعته تمسكوا ببيعة أمرائكم إلى أن يظهر المهدي، وعندما يظهر فأنتم وامرائكم بايعوه ولقد رسم الشيخ عثمان للناس طريق الهجرة شرقا للمهدي وأوضح منازل الهجرة حتى الوصول إلى بلاد النيل ونتيجة لهذه البشارات كثرت الهجرة شرقا بحثا عن المهدي أو مكوثا في سبيل ظهوره[23].

وهذا يبين لنا مدى إنتشار فكرة المهدي، ورواجها وقبول الناس لها علماء وعامة على إمتداد السودان الكبير، مما هيأ فيما بعد لمحمد أحمد (مهدي السودان) حسن القبول وعظم التحبب، ولا غرو إذن أن نجد صوفيا مثل حمد النحلان يسافر من السودان إلى مكة ويدعي المهدية هناك في العام 1860م على أيام الفونج[24]. لقد تأثر المهدي في منهجه النظري بتيارات الفكر الصوفي التي كانت سائدة آنذاك وتجلى ذلك في طريقة عرضه لدعوته وبيان فكرته للناس فهو يستدل ويستشهد بمصادر صوفية لرجال هم من أساطين الفكر الصوفي كإبن عربي وأحمد بن إدريس وعبد الوهاب الشعراني وغير هؤلاء[25]. اضف إلى ذلك أن المهدي عاش في أجواء صوفية عميقة ودائما

ما تزدحم كتاباته بعدد وافر من الألفاظ والمعاني التي تصور لنا أجوائه الصوفية تلك فهو يزعم أن سيد الوجود يخبره في حالة اليقظة الكاملة بأنه المهدي الذي هو مخلوق ليس كسائر الناس وأصله من عنان قلب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ), ويذكر في منشور آخر أن الشيخ البصير – أحد اقطاب الدعوة السمانية (جدنا) وهذه الصلة ليست صلة اللحم والدم وإنما هي صلة النسب الصوفي التى ترى التسلسل وتثبت الأصل الصوفي والتلميذ عند الصوفية كابن الصلب يرث عنه معارفه كما يرث ابن الصلب الممتلكات الدنيوية[26].

ويبدو لنا عبر ما أوردنا مدى الثقافة الصوفية التي عمت الفكرة المهدية وشملتها، كذلك وضح لنا التيارات الفكرية التي سادت آنذاك والتي هيأت المجتمع لتقبل المهدية، ولقد أسهم الفكر الصوفي في أحداث هذه الأجواء وتشبع بها وأفاد منها إفادات كبرى في صناعة نظرياته، وتكوين أفكاره مما كفل له القبول والرضى بين قطاعات متعددة في المجتمع السوداني.

ثالثا: المهدية والطرق الصوفية:

أمر المهدي بإبطال المذاهب والطرق وحض الناس عل مفارقة انتماءاتهم القديمة، ودفعهم إلى التخلي عن ولاءاتهم السابقة، وكان يأمر أتباعه بترك الطرق ويدعوهم إلى الإلتزام بالنهج الذي اختطه لهم دون التعلق بشيء آخر.

ويظهر لنا هذا التوجه من خلال منشور بعثه الخليفة عبد الله لبعض أتباع التيجانية يوضح لهم فيه أن المهدي قد أبطل الطرق الصوفية ومنع نشاطها فالمهدي كما يقول موعود برفع المذاهب وتطهير الارض من الخلاف[27]. وكان المهدي قد بين لمن حوله بأنه يتلقى الإشارة من الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فهو ليس في حاجة إلى الإقتداء بأئمة المذاهب ومشايخ الطرق[28].ويظن الدكتور عبد القادر محمود أن المهدي قد وقع نتيجة لاجتهاده الذاتي في أخطاء كثيرة من بينها حكمه بتكفير من يخالفه وغير هذا من الإجتهادات الخاصة به[29]. ويبدو لنا أن الدواقع افتي دعت المهدي إلي الغاء الطرق أمران:

رابعا: صلة المهدي بالطريقة السمانية وخلافه مع شيخها:

ثانيا: إن المهدي لم يلق تأييدا من مشائخ الطرق الصوفية أبان دعوته[30]. ويتجلى لنا مذهب المهدي في الغاء الطرق من خلال خطابات عديدة بعث بها إلى افراد عديدين من بين هؤلاء الشيخ محمد الأمين الهندي الي اشترط المهدي عليه عدم التعلق بالأئمة والاعتماد على الكتاب والسنة، وأيضا الشيخ أحمد حمدان العركي والذي اشار عليه بنفس الأمر[31]. ولقد سعى المهدي على أبعاد الناس عن كل ما يتصل بالطرق الصوفية وبمشائخ هذه الطرق فنجده يأمر في واحد من منشوراته بالتخلى عن استخدام الكلمتين (السيد) و(الشيخ) وهم اللقبان اللذان كان يخاطب بهما المشائخ[32].

اما رجال الطرق فقد انقسموا إلى طائفتين واحدة أيدت المهدية تأييدا مطلقا واخرى نافقت، فصمتت أو أطرت على التاييد أطرأ[33]. أمثال الشيخ محمد الأزيرق بودمني، والشيخ العبيد بدر بام ضبان[34]. ومن المؤيدين المباركين لدعوة المهدي الشيخ محمد الطيب البصير بالجزيرة[35].

والشيخ أحمد الهدي[36]. بديار الشايقية[37]، ولقد كان تأييد محمد الطيب البصير وأخلاصه للمهدية لم يوجد له نظير بين قادة الطرق فلقد كان الشيخ محمد الطيب قوي الصلة بالمهدي. فلقد جمعته بالمهدي صلات الدم

والاصهار والفكر والعمل الجهادي المشترك، كان المهدي متزوجا بالسرة بنت الشيخ الطيب، والشيخ الطيب ايضا هو حفيد القرشي ود الزين استاذ المهدي فأم محمد الطيب هي السيدة كلثوم بنت الشيخ القرشي[38]، لذلك كان محمد الطيب البصير من خواص المهدي الذين أفضي لهم المهدي بما ينوي حينما كانت دعوة المهدي في مراحلها الأولي[39].

اما الشيخ العبيد بدر فيعتبر من أهم اهل الطرق الذين لم يؤمنوا بالمهدية منذ أول عهدها ولم يحملوا لواءها إلا اضطرارا فلقد هدده المهدي حتى أرغمه على أن يكون بجواره[40].

بعد وفاة المهدي زاد شك رجال الطرق في المهدية على أنهم لم يستطيعوا الخروج على سلطة الخليفة فظلوا مهدويين تقية يمارسون تعاليمهم في ستر ومن خلف حجاب[41]، إضافة إلى ما ذكرناه ينبغي علينا أن نشير إلى أن المهدي سعى إلى كسب ود المشائخ وزعامات الطرق الصوفية لعلمه بمكانة هؤلاء وتأثيرهم على الناس ومكانتهم في نفوس مريديهم ومن مشايخ الطرق الذين سعى المهدى إليهم وزارهم في مناطقهم السيد محمد المكي إسماعيل شيخ الطريقة الإسماعيلية ، وأسرة صالح سوار

الذهب الذي صحب السيد محمد عثمان إلى الأبيض وتوفى بها في عام 1875م[42].

فالمهدي كان يعلم نفوذ أهل الطرق وتأثيرهم على أتباعهم لذلك فقد كان زعماء الصوفية هم أول من خاطبهم المهدي وسعى إلى خطب ودهم وكسبهم إلي صفه واستقطابهم إلى جانبه ، فهم دائرة دعوته الأولي التي أراد أن يضمنها إلى جواره، ولعله فشل نسبيا في تحقيق غايته تلك فهو لم يحصل على تأييد مطلق من مشائخ الطرق ، والذين بايعوا المهدية منهم فيهم نفر رافض لها ولم يقبلها إلا خوفا ورهبة فلقد كانت المهدية لا ترحم تجاه معارضيها ، وتعرض قادة عظام في دولة المهدية إلى القتل بصورة منكرة وغير ذلك من الوان البطش التي عاشتها المعارضة الداخلية لحركة المهدية.

المبحث الثاني:الختمية والدولة المهدية:

في الواقع وقبل أن نخوض في البحث عن شكل العلاقة التي جمعت بين الطريقة الختمية وبين الحكومة المهدية، يجب أن نوضح طبيعة الصلات التي نشأت بين قادة الختمية وبين الحكومة التركية قبل المهدية.

في البداية لقد حاول بعض الباحثين أن يعقد صلة بين وفود محمد عثمان (الختم) إلى السودان وبين مجيء الحاكم التركي للتقارب الزمني الحاصل في هاتين الحادثتين، ولقد اراد بعضهم أن يقول إن الواقعتين مرتبطتان[43]. ولكن البروفيسور أبو سليم يرى أن هذا الكلام محض افتراء وأن السيد محمد عثمان لم يحضر إلى السودان بتدبير المصريين وهو كذلك لم يمهد لغزو محمد علي كما قيل[44]. بل إن محمد عثمان (الختم) لم تكن له علاقة بالترك لأنه لم يتصل بهم مباشرة، ملتزما بسلوك أستاذه السيد أحمد بن إدريس في العزوف عن الإتصال بالحكام، ولم تنشأ علاقة حقيقية بين الختمية والأتراك إلا بعد وفاة محمد عثمان الختم وقيام ابنه السيد محمد الحسن بشؤون الجماعة[45]. ولقد كان المسؤولون في شرق السودان يجلونه ويحترمونه ويعتقدون بصلاحه واستقامته على الحق حتى أن مظهر باشا وصفه في تقرير له بأنه: (حافظا للقرآن ميالا للسكوت نفورا من التعاظم)[46].

ولقد علم حكام شرق السودان مكانة هذا الرجل ونفوذه بين القبائل في تلك المنطقة، فتقربوا منه وأقاموا الصلات بينهم وبينه ولقد قدم لهم السيد محمد الحسن عونا مخلصا في عدد من المواقف أهمها ثورة الجهادية السود والتي

نشبت في كسلا في العام 1865م والتي أزهقت فيها الأرواح بشكل عنيف ولقد تدخل محمد الحسن الميرغني على مرات عديدة لوقف النزاع بين الطرفين[47]. ورغما عن أن السيد الحسن وصف بأنه ينفر من السياسة ويكره الفتن وإراقة الدماء[48]. إلا أن بعضهم حاول أن يقول إن الحسن كان يلعب دوره في أزمة الجهادية لصالح الإدارة التركية وهدأ الجو تمهيدا للقضاء على الثوار ويقال أيضا إن بعض الدوائر أتهمته بأنه كان وراء هذه الحركة[49]. ويقرر الدكتور ابوسليم أن الحسن كان مخلصا في سعيه وجادا فيه[50].

ولكن مواقف الإدارة التركية تجاه الختمية كانت تختلف من محل إلى آخر، ففي منطقة النيل كان الحكام يكرهون المواكب الهائلة التي كانت تحيط بزعامة الختمية عندما يحضرون إلى هناك وينظرون إلى (الخلفاء) كأناس عاطلين عن العمل وينكرون عليهم جمع الهدايا ويتضايقون من المشاكل التي يثيرونها من واقع المنافسة فيما بينهم[51].

ولقد اختط بعض مديري التركية سياسات معادية للختمية وضغطوا عليهم ضغطا شديدا[52]. ونخلص على ضوء ما تقدم أن الذي قام بين الختمية والأتراك لم يكن

أبدا حلفا قويا بين حكومة البلاد وجماعة صوفية كما حاول نعوم شقير أن يصور هذه العلاقة[53]. ولقد ذهب أبوسليم إلى أن إطلاق القول بوجود تعاون وثيق بين الختمية والإدارة التركية مما أوجد حقدا وحسدا من بقية الجماعات الصوفية تجاه الختمية أمر يعوزه الدليل وتنقصه الحجة[54].

يعتقد كذلك الباحث الناصر ابوكروق أن الحكومة لم تكن تحابي الطريقة الختمية في أغلب الأحيان وتفضلها على غيرها من الطرق إلا أنها كانت مجبرة على ذلك، نتيجة للنفوذ المتزايد لهذه الجماعة، وللمكانة العظيمة التي وجدتها هذه الطريقة عند جمهور السودانيين[55]. ولقد شكل هذا الأمر مصدر قلق للإدارة التركية في بعض الأوقات كما ذكرنا.

إن المعارضة التي أبداها الختمية تجاه المهدية أوجدت نوعا من الحلف المنظم والهدف المشترك بين الحكومة والختمية عمل هذا الحلف لاحقا في صد هجمات المهديين على مناطق النفوذ الختمي في شرق السودان.

ونحن بطبيعة الحال نحتاج إلى توضيح السبب الذي دفع الختمية إلى معاداة الحركة المهدية ومجابتها ويمكن أن نجعل هذا الأمر في عدة نقاط: -

1- إن هناك اختلافا كبيرا بين الاسس الفكرية التي تنهض على أساسها الحركتان، فبينما دعت الختمية إلى العودة إلى الإسلام عن طريق تربية المريدين والأتباع تربية روحية على غرار الصوفية، بشكل سلمي يبتعد كثيرا عن العمل السياسي المنظم، نجد أن المهدي رفع شعار العودة إلى الإسلام عن طريق الإستيلاء على السلطة وبناء الدولة واقامتها عبر الجهاد بالسيف ومجابهة الظلم وعسف الحكام.

2- هناك خلاف بين الطرفين في فهم لفظة (مهدي) فالختمية يرون أن المهدية مرتبطة بالختمية فالمهدي بعد الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثم يليه مباشرة الختم ونلحظ الخلاف بين الفكرتين فالمهدي عند المهديين يعني شيئا آخرا على الرغم من أن المهدي استقى مباديء فكرته من ذات المصدر الذي اعتمد عليه الختمية في بناء نظريتهم عن المهدي والذي ربطوه بطريقتهم.

3- وفقا لما جاء في كلام الختمية عن المهدي، فهم يعتقدون أن محمد أحمد المهدي ليس مهديا حقيقيا. ويعتقدون أن حركته فتنة يجب أن تنتهي وهي حركة مارقة عن سلطان الدولة المسلمة خارجة عن طاعة وإلى وأمير المؤمنين.

لذلك فإننا نعتبر أن الختمية عارضوا الدولة المهدية لأسباب مبدئية وعقائدية، وروجوا لاستقطاب الرأي الرافض للفكرة المهدية بناء على اعتقادات خاصة لديهم بأن الدين الإسلامي يرفض ادعاء محمد أحمد للمهدية[56].

نتج عن هذا الموقف المضاد لتيار المهدية وجود صدام مسلح بين الختمية والأنصار. ولكن قبل نشوء القتال بين الطرفين كان المهدي قد أرسل عدة خطابات إلى قيادة الختمية ، وقد بدأ إرسال هذه الخطابات أول ما بدأ في سنكات وذلك عندما حمل عثمان دقنة خطابات المهدي للختمية ولكنهم رفضوا دعوة المهدي ورفضوا مبايعة عثمان دقنة وسلموا منشورات المهدي للحكومة التركية ، يقول عثمان دقنة في مذكراته (ثم بعد توجهما – يعني أثنين من أنصاره هما اونور وطه حملهما هذه الخطابات من عندنا فرقا المكاتيب إلى اربابها وخصوصا الخلفاء الختمية ورؤساؤهم الخليفة الصافي والخليفة عبد الله فدخلا

عليهم أعني المأمورية وأعطوهم كتبهم ونصحوهم في الله غاية النصح وهناك إذ ذلك شيخهم محمد عثمان بن سرالختم الميرغني فعادوا إليه مستشيرين له فيما يفعلونه وعرضوا عليه جوابات السيادة فعند ذلك أن أمرهم أن يسلموا الجوابات إلى التركي الذي في المأمورية قائلا لهم ، لاشيء يخلصكم من الحكومة غير تسليم الجوابات لهم والتبري منها وأعلامكم أنكم لستم بصدد هذا الأمر ففعلوا ذلك [57].

لقد اراد المهدي أن يكسب زعماء الطريقة الختمية ويستميلهم إلى تأييده ونصرته لمعرفته التامة لحجم هؤلاء وسعة نفوذهم بين العربان وزعماء العشائر وأرسل المهدي مجموعة خطابات إلي كسلا موجهة إلي السيد محمد عثمان بن السيد محمد سرالختم وإلي السيد البكري ابن عم محمد عثمان ثم أرسل خطابات بتواريخ مختلفة من بينها خطاب بتاريخ محرم 1301هـ ، وهو مرسل للسيد ابوبكر بن جعفر الميرغني وهناك خطاب أيضا مرسل في 14 صفر 1301هـ للسيد محمد عثمان يذكره فيه أنه خاطبه بخطابات وانذارات وانه لم يتلق منه رد وقد خيره في ذلك الخطاب بين امرين أولاهما الهجرة إليه أو الإنضمام للطاهر المجذوب وعثمان دقنة والجهاد معهما[58].

وكان المهدي دائما يوضح لمحمد عثمان انه يهتم به ويظنه أنه عارف بمثل هذه الأمور الدينية ولا يحتاج إلي تذكير او تنبيه فليس هو بالغافل عن أمر كهذا يقول المهدي في خطاب له: (فلا يخفي عليك أننا قد اعتنينا بك كثيرا وخاطبناك خطاب أهل المحبة غير مرة ، وعرفناك بعظيم منزلتك عندنا ورغبنا منك الإجابة لداعي الله ، وما كان ظننا فيك وفي فطانتك أن تتهاون بنفسك قدر هكذا وتتوقف مثل هذا التوقف وعساك يا حبيب أن تكون معذورا فالمؤمن يلتمس المعاذير لأخيه على أن تهاونك في هذا المقام غير لائق بك لأنك من الكرام المظنون فيهم أنهم لايرون الدنيا شيئا[59].

ويعتقد أن المهدي لديه عدة دوافع جعلته يلح بصورة متواصلة في إرسال الرسل والخطابات لقيادة الختمية ، وأول هذه الدوافع هو ما ذهبنا إليه من أن المهدي كان يهمه كسب ثقة وتأييد رجال الرطق الصوفية لأنه يظن أنهم حلفاءه الطبيعيون في دعوته تلك ، وأن انضمامهم إليه ضمين بتقوية حجته وبتشجيعه على المضي قدما في بناء دولته ، ولما كان الختمية من أقوي الجماعات الصوفية فقد كان لزاما عليه أن يسارع إلى كسب تأييدهم ويطلب نصرتهم بكل ما أوتي من جهد، وثاني تلك الدوافع

قد يكون رغبة المهدي في كسب شخصية ذات نفوذ ديني مرموق في المنطقة حتى يجمع شتات القبائل المتفرقة المتنافرة هناك تحت قيادة ، ولقد وجد المهدي زعامة المجاذيب وكسبهم ولكن تلك الزعامة لم يكن لها نفوذ في كسلا ، وربما أحس أن داعيته عثمان دقنة لم يكن محبوبا من أتباع المهدي ولذلك كان لابد من شخصية لها نفوذ عميق في المنطقة تدين لها كافة القبائل ، وهذه الشخصية لا تقتصر اهميتها على محاربة الترك فحسب وإنما حمل الثورة فيما بعد إلى بلاد الحبشة خاصة أن منطقة كسلا تمثل المفتاح الطبيعي لتلك الجهات بعامل القرب الجغرافي ، وثالث الدوافع ربما كان رغبته في حسم الصراع في هذه المنطقة لصالحه فلو انضم الختمية بثقلهم الجماهيري إليه لرجحت كفته وانتهي أمر الحكومة التركية هناك[60].

ولقد ظل المهدي يراسل الختمية حتى بعد أن هاجر السيد محمد عثمان إلى مصر إذ أرسل إليه مع الحسين الزهراء في شعبان 1302هـ[61]. لقد تطور النزاع بين الختمية والأنصار من مرحلة القول إلى العمل فنشب صراع دامي بين جيوش المهدية التي دفعها المهدي لفتح الشرق وبين رجال الطريقة الختمية ، ولقد أقدم الأنصار

على هدم قبة السيد الحسن في كسلا عندما تفاقمت الأوضاع بين الطائفتين[62].

ولقد شهد النصف الاخير من حكم الدولة المهدية احتدام الصراع بين المهدية والختمية وذلك بسبب مساندة الختمية لحامية كسلا من ما مكنها من الصمود عدة شهور في وجه قوات المهدي[63]. ولقد دارت عدة معارك بين الختمية وانصار المهدي من بينها واقعة تنبكياي في 19 يونيو 1884م ، فلقد هام محمد حامد ابراهيم ابن أخ ناظر الهدندوة القافلة التي أرسلها السيد محمد عثمان لابن عمه في الختمية وقتل من فيها وغنم ما فيها، فأرسل السيد البكري من قتل محمد حامد وآخر معه[64].

كذلك هناك واقعة الفقيه عيسى والتي دارت بين الفقيه عيسى وبين محمد عثمان[65]. ولكن ازداد الضغط والحصار على حامية كسلا مما دفع قائدها إلى طلب العون من مصر، فلما تم ذلك قرر محمد عثمان الخروج من كسلا خشية أن يقع في الأسر وتساء معاملته فغادرها في 6 رمضان 1301هـ قاصدا مصر عن طريق مصوع وقد اقام بمصر بضعة أيام ثم توفي في يوم السبت 10 ربيع الثاني 1301هـ الموافق 17 يناير 1886م[66]. وتولي الختمية بعد ذهابه ابن عمه السيد البكري ابن السيد جعفر

الميرغني ولم يبق معه إلا أخلاط من الدناقلة والجعليين والحلانقة والبجة فبنى سورا حول الختمية وأتمه في أقل من شهر[67]. ثم وقعت وقائع اخرى بين الطرفين، ولقد ظل السيد البكري في كسلا إلى أن سقطت في 18 رجب 1302هـ الموافق مايو 1885م حيث غادر إلى مصوع فسواكن فمكة مات فيها عام 1304هـ[68].

ورغم سقوط حي الختمية قاعدة الطريقة فقد استمرت مقاومة الختمية للأنصار بشرق السودان وقد تولي تلك المقاومة السيد عثمان تاج السر وقد اتخذ مدينة سواكن مركزا لنشاطه[69]. بالإضافة إلي شرق السودان فلقد نشط أهل البيت الميرغني في الدعاية ضد المهدية في منطقة شندي فلقد تحرك نسوة من بيت محمد عثمان بتأليب الجعليين والشايقية على المهدية[70]. ولقد اتصلت حركة المعارضة حتى نهاية الدولة المهدية حين عاد السيدان أحمد وعلى الميرغني لمواصلة النشاط الديني من جديد[71].

الختمية والطريقة المجذوبية:

المجذوبية طريقة ذات جذور سودانية وهي متفرعة عن القادرية والشاذلية، وأتباعه يتركزون في الدامر، وما

حولها ثم إلى الشرق في اتجاه نهر عطبرة حتى البحر الأحمر[72].

ولقد نهض بتجديدها السيد محمد المجذوب الصغير (1796- 1832) أحد تلامذة السيد احمد بن إدريس، ولد محمد المجذوب ونشأ بالمتمة ثم انتقل إلى الدامر موطن أبائه فحفظ القرآن واخذ الطريقة الشاذلية على الفقيه قمر الدين ثم عاد إلى المتمة مرة ثانية، وفي ذلك الوقت التقى بالسيد محمد عثمان الميرغني الذي كان مارا على منطقة المتمة ومنذ ذلك أخذ السيد المجذوب تعاليم المدرسة الإدريسية[73].

تعرض المجاذيب لسخط ونقمة حملة الدفتردار الإنتقامية جراء مشاركاتهم في مقاومة المد الإستعماري من قبل جيوش محمد علي إذ وقفوا في وجه إسماعيل باشا وقواته الغازية، ثم عملوا في سبيل الثورة على الإدارة المصرية بعد مقتل إسماعيل على يد الملك نمر، ولقد هدمت قبه الشيخ المجذوب وهرب قادة المجاذيب إلى الشرق، حيث انتشرت طريقتهم هناك واتخذوا خطا معارضا للحكومة ، وفي هذه الأثناء كان الشيخ محمد المجذوب الصغير في الأراضي الحجازية والتي قصدها برفقة السيد محمد عثمان الميرغني الختم إلا أنهما وفي

مرحلة من مراحل سيرهما معا افترقا فاتجه السيد محمد عثمان إلي مكة ، واتجه الشيخ المجذوب إلى المدينة واستقر بها[74].

ويبدو أن المجذوب كان على قدر كبير من العلم ولم يكن رجلا عاديا في صفاته وسلوكه ، والشيء الذي جعل ابن إدريس يقربه ويدنيه منه ويثني عليه دائما ، وكان يتبسط معه ، وتنطلق أساريره بشرا وفرحا حينما يجيء إليه المجذوب وينصرف عن الذكر إلي محادثته وملاطفته[75]. بل وإلي أبعد من ذلك فلقد قال عنه إبن ادريس على حد رواية السيد إبراهيم الرشيد (لو يعلم الناس مافي المجذوب لتركوا جميع الصالحين القريب والبعيد وأتوا إلى بابه لما له من الكرامة والمنزلة عند الله) ، وقد عاد محمد المجذوب الصغير إلى السودان في عام 1830[76].

وأقام في سواكن مدة من الزمن، ثم اتجه بعدها إلى الدامر حيث توفي بها، ولم يكن له أبناء لذلك فقد خلفه الطاهر المجذوب وهو الذي قاد المجاذيب إلى الحلف مع المهدية، وقد توفى في أوائل فترة المهدية، وعاون ابنه محمد المجذوب وقريبه المجذوب أبو بكر عثمان دقنه في إدارة الشرق لصالح المهدية[77].

لقد وقف المجاذيب في صف المهدية وحمل عثمان دقنة خطابات من المهدي موجهة إلى عدد من قبائل وعشائر شرق السودان ومشائخهم وإلى كافة المجاذيب وعلى رأسهم الشيخ الطاهر المجذوب[78]. الذي أمن بالمهدي وتلقى خطاباته بالقبول والترحيب وأظهر الإستبشار والفرح بكتابات المهدي إلي[79].

وبهذا وقفت الطريقة المجذوبية مع الانصار في خندق واحد، ورفعوا شعار الدفاع عن الثورة المهدية في شرق السودان ، وقادوا حملتهم الضاربة على المناوئين لتيار المهدية، ولقد أكسب المجاذيب المهدية قوة فائقة وكانوا رسلها وحماتها في شرق السودان، وتولد موقفهم هذا نتيجة للعداء القديم بينهم وبين الإدارة المصرية، وكانت بينهم وبين الختمية عداوة لشعورهم الدائم أنها تلقى السند والتأييد من السلطات المصرية، فهم يحقدون على الحكومة وعلى من يظهر نوعا من التعاون أو ضربا من الولاء للحكومة وليس لرجل مثل عثمان دقنة وجميع أفراد أسرته المعروفة بأسرة الدقناي، ان يرضوا عن حكومة قادته هو واخوانه إلى الإفلاس[80]. فلقد تعرض عثمان دقنة واخواه عمر وعلى، إلي السجن ومصادرة ممتلكاتهم وتصفية أعمالهم لاتهامهم بالعمل في تجارة الرقيق التي كانت تدر

عليهم ارباحا طائلة من ورائها وكان القبض على عثمان دقنة في العام 1877م بالقرب من شيخ برغوث وبحوزته عدد من الرقيق المصدر للجزيرة العربية ولقد أثر هذا الحادث في نفوس أفراد هذه الأسرة[81].التي ظلت تضمر للحكومة الحقد والكراهية إلى حين تفجر الثورة المهدية التي ضمت في صفوفها اعدادا كبيرة من الذين تعرضوا لمظالم شخصية نتيجة لعسف وتسلط حكومة التركية السابقة .

يرى الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم[82]. ان اسباب النزاعات بين الختمية والمجاذيب واضحة ، فالبيت الميرغني بما امتلك من أمكانات علمية وتاريخية ، ومقدرات ترجع إلى الذين نشروا ومارسوا طريقة هذا البيت، استطاع أن يحصل على الجزء الاوفر من ولاء السودانيين، بل غيرت عدد من الأسر السودانية المعروفة طرائقها القديمة لتدخل في سلك الطريقة الختمية الوافدة، لقد كان المراغنة من الأشراف الذين يحترمهم الناس ويحبونهم ، ويعتقدون في بركتهم وصلاحهم ، بينما كانت أسرة المجاذيب اسرة سودانية ، وعلى الرغم من مكانتها في قلوب السودانيين إلا ان موقف المراغنة الأشراف أقوي منهم ، ولم يعتمد المراغنة على شرفهم فقط بل

وسعوا في دائرة الولاء لهم والإنتماء إلى طريقتهم عن طريق الإصهار والتزاوج من بعض البيوت على إمتداد السودان، ثم أن هناك خصومة وقعت بين محمد عثمان والمجذوب في زمن سابق، كذلك تزايد نشاط الختمية في مناطق نفوذ المجاذيب وكسبهم المتنامي لأعداد كبيرة من أتباع الطريقة المجذوبية ، واخيرا علاقة الختمية الوثيقة وصلتهم بالحكم التركي المصري كل ذلك أوجد نوعا من الجفوة والخلاف بين الختمية والمجاذيب.

هوامش الفصل الثاني:

(1) مكي شبية (دكتور) السودان والثورة المهدية ، الجزء الأول ، من موقعة أبا إلى حصار الخرطوم ، ط أولي (الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1978م) ص 9 طبع بمطابع دار الطباعة ، جامعة الخرطوم.

(2) نعوم شعير ، تاريخ السودان الحديث ، الجزء الثالث (بدون تاريخ) ، ص 28.

(3) مكة شبيكة (دكتور) السودان عبر القرون (بيروت — دار الثقافة 1967) ، ص 252 ، بمطابع غريب بيروت.

(4) نعوم شقير ، مرجع سابق ، ص 639

(5) مكي شبيكة (دكتور) مرجع سابق ، ص 253

(6) حسن الفاتح قريب الله (دكتور) ، (مقابلة عن المهدية وصلتها بالسمانية) في منزله بود نوباوي حي القلعة ، ابريل 1996م.

(7) نعوم شقير ، مرجع سابق ، ص 640

(8) ب. م. هولت ، دولة المهدية في السودان عهد الخليفة عبد الله 1885 — 1898 ، ترجمة هنري رياض وآخرون (بيروت ، دار الجيل) (أغفلت تاريخ الطبع) ، ص 30 31.

(9) تاج السر حران ، (فكرة المهدية عند الشيعة الاثنا عشرية) في دراسات تاريخ المهدية ، أعده للنشر د. عمر عبد الرازق (الخرطوم قسم التاريخ جامعة الخرطوم) العدد (1) ص 39 ، الطابعون مطابع واستديو رأي أصل هذه البحوث قدمت للمؤتمر العالمي لتاريخ المهدية الذي انعقد في الخرطوم في 29 نوفمبر إلى 2 ديسمبر 1989م.

(10) محمد أحمد الحاج (بروفيسور) المهدية وأثرها الديني في السودان ، في الإسلام في السودان الإعداد بروفيسور مدثر عبد الرحيم ود. الطيب زين العابدين ، الخرطوم ، دار الاصالة للصحافة والنشر 1987م ، ط أولي ، ص 43 أصل هذه الابحاث قدمت في المؤتمر الاول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية قاعة الصداقة ، الخرطوم 27- 30نوفمبر 1982م.

(11) محمد ابراهيم أبو سليم (أ. د.) الحركة الفكرية في المهدية الطبعة الأولي (الخرطوم قسم تأليف والنشر جامعة الخرطوم 1970) ص (1) طبع بدار الطباعة جامعة الخرطوم.

(12) سعد محمد حسن ، المهدية في الإسلام منذ أقدم العصور حتى اليوم ، الطبعة الاولي 1953 ، طبع بمطابع دار الكتابي العربي بمصر.

(13) عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن (دكتور) توشكي دراسة تاريخية لحملة عبد الرحمن النجومي على مصر ، ط أولي (الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر 1979)، ص 5 ، 6 الطابعون دار الطباعة دار جامعة الخرطوم للنشر.

(14) نفسه ، ص 11.

(15) سعد محمد حسن ، مصدر سابق ، ص 175

(16) حسن مكي محمد أحمد (دكتور) الثقافة السنارية المغزى المضمون بمناسبة مرور 500 عام هجري على قيام سلطنة سنار الإسلامية إصدارة رقم 15 (جامعة افريقيا العالمية – مركز البحوث والترجمة)، ص 76 ، أنظر أيضا: الصادق المهدي (يسألونك عن المهدي) (بيروت ، دار القضايا 1975)، مطابع الأهرام التجارية ، ص 164

(17) حسن مكي محمد أحمد (دكتور) نفس المرجع السابق ، ص 75

(18) أحمد عثمان إبراهيم ، (الثورة المهدية فكرة ونظرية)، مجلة الدراسات السودانية ، معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية ، جامعة الخرطوم ، العدد الأول ، المجلد الخامس ، أغسطس 1975م ، ص 8

(19) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص 470

(20) الصادق الصديق المهدي ، أيديولوجية المهدية في دراسات في تاريخ المهدية المجلد الأول أعده للنشر د. عمر عبد الرازق النقر (الخرطوم: قسم التاريخ جامعة الخرطوم) الطابعون مطابع وستوديو راي ص 58 ، أصل هذه البحوث قدمت للمؤتمر العالمي لتاريخ المهدية الخرطوم 29 نوفمبر إلى 2 ديسمبر 1981م.

(21) محمد إبراهيم أبو سليم (أ. د) مرجع سابق ، ص 2

(22) محمد ابراهيم أبو سليم (ا. د)، ص 4

(23) الصادق المهدي ، ايديولوجية المهدية ، مرجع سابق ، ص 60

(24) ود ضيف الله ، محمد النور ، مصدر سابق ، ص 164

(25) محمد ابراهيم أبو سليم ، مرجع سابق ص 8

(26) أحمد عثمان ابراهيم ، المهدية فكرة ونظرية ، مرجع سابق ، صفحات 10 - 11

(27) المهدي ، منشورات المهدية تحقيق الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم ، ص 61 ، 62

(28) المهدي ، منشورات المهدي ج ، ط 3 (الخرطوم إدارة المحفوظات المركزية 1964)، ص 2

(29) عبد القادر محمود (دكتور) الفكر الصوفي مصادره وتياراته وألوانه ، ط أولي (دار الفكر العربي 1969) ، ص 102

(30) محمد محجوب مالك ، المقاومة الداخلية لحركة المهدية 1881 — 1898 ، ط أولي (بيروت — دار الجيل 1987) ص 152.

(31) محمد ابراهيم أبو سليم ، الحركة الفكرية في المهدية ، ص 42

(32) احمد عثمان إبراهيم ، الجزيرة في خلال المهدية 1881- 1898 ، مرجع سابق ، ص 199

(33) نفسه ، ص 200

(34) نفسه ، ص 201

(35) نفسه ، نفس الصفحة

(36) ولد الشيخ احمد الهدي في منتصف القرن التاسع عشر في منطقة (أوسلي) غرب جزيرة مساوي ، اعتنق مبادئ الطريقة التيجانية ودعا إليها ، وذكر شقير أن المهدي أرسل إلى الشيخ الهدي سيفا وألف ريال وجعله اميرا على دنقلة فقبل الهدية وبايع محمد الخير (انظر: نعوم شقير تاريخ السودان ج 3 ص 787) وقد تبعه في جهاده مع المهدية عدد من الهوارة والحسانية قاد بهم واقعتين ضد الترك ولكنه خسرهما أجبر الشيخ الهدي جماعة من خلفاء الختمية من منطقة الشايقية في الخروج معه ، ولقد قتل هو وهؤلاء الذين فسرهم على مرافقته في سبتمبر 1884م. (انظر- Ali Salih Karrar, Sufi Brothers hoods in the Sudan P,P. 122-123-124)

(37) محمد محجوب مالك ، مصدر سابق ، ص 152

(38) أحمد عثمان محمد إبراهيم ، الجزيرة خلال المهدية ، مرجع سابق ، ص 201 - 202

(39) نفسه ، ص 202

(40) نفسه ، ص 215

(41) محمد محجوب مالك إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 215

(42) ب. م هولت ، دولة المهدية في السودان في عهد الخليفة عبد الله ، ص 27

(43) Holy Families and Islam in the Sudan (Holt P. M.P 8 نقلا عن تاريخ)
الحركة الوطنية في السودان (محمد عمير بشير) ص 21

(44) محمد ابراهيم أبو سليم ، تحقيق كتاب الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية ، مرجع سابق ، ص 32

(45) نفسه ، نفس الصفحة

(46) الناصر عبد الله ابوكروق ، تاريخ مدينة كسلا 1883- 1897 ، رسالة ماجستير (جامعة القاهرة - كلية الآداب 1967 – مطبوعة بالآلة الكاتبة) ، ص 47

(47) نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 545 ، إلى 553

(48) الناصر ابوكروق ، مصدر سابق ص 47

(49) محمد ابراهيم أبو سليم ، تحقيق (الإبانة النورية) ص 22

(50) نفسه ، نفس الصفحة

(51) نفسه ، نفس الصفحة

(52) نفسه ، ص 22-23

(53) نعوم شقير ، مصدر سابق ص 318

(54) محمد إبراهيم أبو سليم ، تحقيق الإبانة النورية ، ص 23

(55) الناصر أبو كروق ، مرجع سابق ، ص 48

(56) الناصر أبو كروق ، مرجع سابق ، ص 56- 57

(57) عثمان دقنه ، مذكرات عثمان دقنه ، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم ، ط أولي (الخرطوم ، دار التأليف والترجمة والنشر 1984)، ص 26- 40 الطابعون دار الطباعة جامعة الخرطوم.

(58) الناصر أبو كروق ، مرجع سابق ، ص 50 – 51.

(59) المهدي ، الإمام ، منشورات ص 294 - 295

(60) الناصر ابوكروق ، مصدر سابق ص 52-53

(61) نفسه ، ص52

(62) علي صالح كرار (دكتور) الطريقة الإدريسية في السودان ، مرجع سابق ، ص 87

(63) نعوم شقير ، مرجع سابق ص 906

(64) محمد سليمان صالح ضرار ، امير الشرق ، ط أولي (الخرطوم الدار السودانية للكتب)

(65) نعوم شقير ، مصدر سابق ص 908

(66) المرجع السابق ، ص 905

(67) نفسه ، ص 909- 910

(68) نفسه ، ص 913

(69)John Voll: History of Katmiyyah tariga in the Sudan P,284

(70) محمد محجوب مالك ، مرجع سابق ص 149

(71) علي صالح كرار (دكتور) مرجع سابق ص 95

(72) أبو سليم ، مرجع سابق ص 166

(73) علي صالح كرار (دكتور) مرجع سابق ، ص 53.

(74) أبو سليم ، مرجع سابق ص 167

(75) علي صالح كرار(دكتور) مرجع سابق ، ص 54

(76) نفسه ، نفس الصفحة.

(77) أبو سليم ، بحوث في تاريخ ، مرجع سابق ص 168.

(78) أبو سليم ، تحقيق مذكرات عثمان دقنه ، ص 37.

(79) نفسه ، ص 41.

(80) مع هذا فقد كان عثمان دقنه مؤمنا أيمانا قاطعا بالمهدية ولم يعاونها لمجرد انه كاره التركية (انظر: أبو سليم: تحقيق مذكرات عثمان دقنه ، مرجع سابق ، ص 8).

(81) أبو سليم ، المرجع السابق ، ص 7

(82) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص 168

الفصل الثالث

الختمية والحكم الثنائي إلى الاستقلال

المبحث الأول: الختمية والحكم الثنائي:

المبحث الثاني: الختمية وقيام الأحزاب السياسية وتطورها:

المبحث الأول:الختمية والحكم الثنائي:

سجلت معركة أم دبيكرات في 24 نوفمبر 1899م نهاية الفصل الأخير في سقوط حكم الدولة المهدية، وكانت النهاية الحقيقية قد تمت بسقوط أم درمان مقر الحكم، قبل ذلك التاريخ بنحو خمسة عشر شهرا في 2 سبتمبر 1898م ومنذ ذلك التاريخ أضحي السودان خاضعا لسيطرة الحكم الأجنبي[1], لقد وقعت الحكومتان الفاتحتان أتفاقية الحكم الثنائي التي أصبحت الدستور الحاكم في السودان.

لقد وضحنا في الفصل السابق أن الخلافات بين الختمية وحكومة المهدية بلغت طورا متأخرا من حيث السوء مما دفع السيد محمد عثمان (الاقرب) إلى مغادرة قرية الختمية بشرق السودان إلى مصر حيث توفى هناك بعد وصوله بثلاثة أيام ودفن بباب الوزير ، وخلف وراءه السيد البكري ليتولى المقاومة ، ولقد بقى السيد البكري في كسلا ودافع عنها إلا أنه في النهاية خسر المعركة وسقطت المدينة في يد الأنصار ، واصيب السيد البكري بجرح بليغ فرحل إلى سواكن بمعاونة العربان ، ولم يمض وقت طويل حتى توفي في مكة المكرمة ، أما ابناؤه السيد جعفر والسيد الحسن والسيدة عائشة فقد أخذهم الأنصار إلى أم

درمان فأقاموا بها حتى نهاية المهدية ، وكانت معهم والدتهم السيدة فاطمة الأولي بنت السيد محمد الحسن[2].

لقد شجعت الحكومة المصرية سفر أسرة محمد عثمان إلى مصر واهتمت بتيسير سبل العيش لهم ، فلقد كانت المخابرات تعتقد أنه من الضروري جدا الاهتمام بالسيد على والأشراف على تربيته ، جاء في مذكرة رسمية قدمها هولد اسميث مدير البحر الأحمر (1888- إلي 1892) إلى السردار حول تربية السيد على أن تعليمه حسن إلا أنه محاط بعدد من الخلفاء الذين يخشى منهم ومن تأثيرهم السيئ عليه وبعد أن اقترح سميث أبعاده عنهم أختتم مذكرته بقوله (أن الطريقة الختمية ما يزال لها نفوذ قوي في السودان ومن المتوقع أن يصير هذا الصبي في المستقبل ذا فائدة للحكومة)[3].

بقيت الأسرة في سواكن، وسافر السيد علي وحده إلى مصر، ولقد ظل السيد على في القاهرة نحو خمس سنين كان يتلقي فيها العلوم ويجاور الأزهر الشريف ويرتاده ويختلف إلى دار الكتب ، ويرى بعضهم أنه قد نهال شهادة رسمية من الأزهر وهي شهادة العالمية[4]، إلا أنه فيما يبدو وكما ذكر أبو سليم لم يتلق تعليما منظما[5]. عاد السيد على إلي سواكن وكانت الحركة المهدية قد انحسر مدها

في الشرق بعد سقوط طوكر في 1891م ، واستيلاء الإيطاليين على كسلا في عام 1866م ولقد أفسح ذلك المجال أمام الختمية ليستردوا نفوذدهم ويستعيدوا مكانتهم في تلك المنطقة، ولقد استقبلته القبائل هناك بحفاوة بالغة ، وبعد سقوط الخرطوم ارتحل السيد أحمد والسيد جعفر والسيد الحسن ومعهم السيد فاطمة إلي كسلا التي أضحت رسميا للسيد أحمد أما السيد على فلقد انتقل إلى الخرطوم في عام 1901م[6].

أراد بعضهم أن يصور عودة السيد على السودان كانت مع الجيش الغازي، لقد أورد الدكتور جلي رايا لعبدا الأحد ابوحسبو تناوله في مذكراته يقول فيه إن السيد على الميرغني كان هو رجل الدين الذي اختارته الحملة الفاتحة ليصحبها في رحلتها تستعين بها في تنفيذ سياسة الغزاة ومخططاتهم[7]. ويظن الدكتور أبو سليم أن هذا مناقش للتاريخ وهو ما نشره خصومة للنيل منه، فالسيد لم يعمل في الحكومة المصرية بأي صفة، وكان عند الفتح بشرق السودان)[8]. ويرى محمد حامد خير في كتابه عن الختمية أن فرية دخول السيد على إلي السودان بصحبة الإنجليز هي من اختراع جنود كتشنر أنفسهم وذلك لأنهم كانوا يريدون كسب عطف القبائل في طول البلاد وعرضها[9].

سعت سلطة الحكم الثنائي في السودان إلى إيجاد حلفاء لها من بين الزعماء الدينيين[10]. وعمدت في أوائل حكمها إلى إظهار حرصها على الدين الإسلامي وعدم رفضها لمبدأ احتكام السودانيين إلى شرعهم الحنيف وتجلي ذلك من خلال خطاب كرومر الذي وجهه إلى الأمة السودانية في 4 يناير 1899م، والذي واجه فيه استفسارا من أحد المشايخ للمستمعين إذا كانت إحكام الشريعة الإسلامية ستكون محترمة ونافذة المفعول في البلاد، ولقد رد اللور كرومر على هذا السؤال بالإيجاب[11]. وكان من ضمن ما قاله (ولقد صدرت لي أوامر خصوصية من صاحبة الجلالة مليكتي العظمي الذي تحكم في غير هذه البلاد على ملايين من المتدينين بدينكم الشريف لأعرب لكم عن مزيد اهتمام جلالتها بكل ما يؤول إلى سعادتكم وأني الآن باسم جلالتها سأقلد فردا من أشرف أهالي السودان المسلمين وساما انجليزيا نظرا إلى ما عرضه عنه سعادة الحاكم العام لجلالتها وهو السيد على الميرغني[12]. وكان كتشنر قد أذاع قبل خطاب كرومر هذا وفي العام 1896م منشورا بأنه أتي لكي يخفف أوجاع المسلمين وليشيد دولة إسلامية تقوم على العدل والحق، ولكي يشيد الجوامع ويساعد على نشر الاعتقاد الصحيح[13].

أتجه المراغنة بعد الفتح إلى اعادة بناء طائفتهم بعد الذي أصابها في حكم المهدية ولقد وجدوا أعظم العون من جانب الحكومة التي أقامت حلفا قويا لها مع الختمية ، ولقد تمكن الختمية نتيجة لهذا التأييد الكبير من السلطات الحاكمة من استعادة مكانتهم حتى غدت طريقتهم أقوى مما كانت عليه وأعظم، وقد أسهم في تقوية الطريقة وزيادة عدد أفرادها كذلك سلسلة المصاهرات التي تمت بين البيت الميرغني وبين الهوارة والخوجلاب والمريوماب والأنقرياب ، إضافة إلي أن الناس كانت في أذهانهم الحوادث التي جرت في المهدية ، وما لحق الناس من ظلم وعنت في فترة حكم المهدية(14)، مما نفر الناس منها ودفعهم إلى بغضها وقبول أي حكم آخر بديلا لها، أما المراغنة فكانوا يرون أن اية تغيير للحكم سيكون ضدهم وسيسهل عودة المهدية، ولقد استمر تعاون السيد على زعيم الختمية مع الحكومة حتي 1940م وكان طيلة هذه الفترة مقدما على كل السودانيين وكان رجل السودان الأول(15). ولكي نتعرف إلى نظر الإنجليز له نقرأ ماكتبه (ونجت) عام 1912م متوجها بكتابته هذه إلي السيد علي قائلا: (إن أسرة الميرغني تعيش في أماكن متعددة ومن ثم فهي تخضع لسلطات الإدارة الحكومية المحلية التي تعيش

فيها ولكن ليس لدى أي ريب أنهم جميعا ومثل الحكومة تماما ينظرون إليك كرئيس لهم وزعيم)[16].

قام المراغنة بتوزيع النفوذ فيما بينهم على اساس إقليمي فأصبح شرق السودان (كسلا والقلابات بما فيها البطانة) تحت رعاية السيد أحمد الميرغني ومنطقة جبال البحر الأحمر وخور بركة والساحل حتى حدود مصر تحت رعاية السيد مريم الميرغنية، وتركت رعاية الختمية داخل أرتريا لرعاية السيدة علوية والسيد جعفر البكري، أما وبسط السودان كله حتى كردفان، وشماله وجنوبه حتى أعالي النيل الابيض وأعالي النيل الأزرق فإنها مناطق نفوذ السيد على الميرغني ولقد أعتبر السيد على الزعيم الأكبر للطائفة[17].

في الواقع أن التعاون بين الحكومة والطوائف الدينية لم يقتصر على الختمية وحدهم خاصة بعد مضي فترة على تسلم الإدارة الجديدة بسلطاتها وضربها بقوة على يد الخارجين الذين قادوا ثورات صغيرة ضد المستعمرين، لقد ساند الزعماء الدينيون الحكام الإنجليز في كثير من المواقف، فلقد أنكروا على تركيا موقفها حيال بريطانيا ودخولها في تحالف عسكري مع المانيا والزعماء الدينيون يقفون هذا الموقف دعما لتحركات بريطانيا، ولقد دفعهم

هذا التأييد إلى التوقيع على سفر الولاء أمام السير (ونجت)[18].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولي في شتاء عام 1919م بانتصار الحلفاء وانهيار الدولة العثمانية، سافر وفد من زعماء السودان لزيارة لندن لتهنئة الملك بالنصر في الحرب وكان على رأس الوفد السيد على وفي عضويته السيد عبد الرحمن المهدي[19]. ولقد قدم السيد عبد الرحمن سيف والده الإمام المهدي إلى الملك تعبيرا عن ولائه ولقد كان رد الملك على ذلك قوله (إني اقبل هذا السيف واعترف بالولاء الصادق الذي حملك لتقديم الهدية، وإني كدليل لولائك تجاهي استلمه وأرده إليك ولورثتك)[20].

قام السادة عبد الرحمن المهدي وعلى الميرغني ويوسف الهندي بعد ذلك بإصدار جريدة الحضارة وكان حسين شريف ابن اخت السيد عبد الرحمن رئيس تحريرها[21]. ولكنها خضعت بعد ذلك لسيطرة الحكومة ماليا وأدبيا.

لقد قام السيد على الميرغني زعيم طائفة الختمية بتقديم خدمات جليلة لصالح الحكومة، فمن الأدوار البارزة التي لعبها إتصاله بالسلطان على دينار ناصحا إياه بعدم

الخروج على الحاكم العام وموضحا له أن الحكومة لا تبيت له الشر، ودعاه إلى سحب جيشه الذي كان يهدد الحدود الغربية، وقد نجح مسعاه هذا وقد تم كل ذلك بإيعاز من المخابرات كذلك لعب السيد على دورا مماثلا عندما اتصل بالشريف حسين بن على شريف مكة بتدبير المخابرات وأصلح بينه وبين الأدارسة[22].

ولما جاءت ثورة 1919م المصرية وقف السيد على وسائر الزعماء السودانيين ضد تيارها، وأعلنوا انهم مدينون للإدارة الإنجليزية ولخدماتها العظيمة في التعبير وأنهم لا علاقة لهم بما يجري في مصر وهم على ولاءهم لأنجلترا[23].

وفي ثورة 1924م في السودان ساند السيد على الحكومة ولم يؤيد الثوار[24]. ويرى الدكتور ابوسليم أن الجيل الذي شاهد المهدية وتلمس أهوالها واكتوي بظلمها كان ضد أي تغيير في الوضع لأن التغيير ربما يكون في صالح الانصار، أو تعود الإدارة التركية البغيضة، وكانوا يظنون أن الإدارة الإنجليزية تقدم يد العون للسودانيين على طريق التقدم والرقي، لذلك فإن مساندتهم للإنجليز لهحا مبرراتها ومسوغاتها، وبعد مضي الوقت ومع ازدياد

حركة التعليم ونمو نفوذ المثقفين أصبح الاتجاه الى الاستقلال ورفض الاستعمار هو الاقرب إلى النفوس[25].

المبحث الثاني:الختمية وقيام الأحزاب السياسية وتطورها:

أولا: مؤتمر الخريجين:

عقب معاهدة عام 1936م، وفي 1937م في شهر اكتوبر ظهر إتجاه لدى خريجي ود مدني بتكوين جمعية أدبية ثقافية فاجتمع الأعضاء واختيرت لجنة أسندت رئاستها للشيخ مدثر البوشي الذي افتتح أعمال هذه الجمعية بمحاضرة عامة[26]. وتلقف شيخ أندية الخريجين بأم درمان الدعوة وبشر اعضاؤه بهذه الفكرة، وكتب للمؤتمرين من الخريجين أن يلتقوا في 12 فبراير 1938م واكتظ بهم فناء نادي الخريجين العام وانتخبوا لقيادته لجنة من ستين عضوا، واختير اسماعيل الازهري أمينا عاما للمؤتمر في دورته الأولي[27].

ويبدو لنا في هذه الفترة مدى اهتمام الإنجليز بالخريجين بالنظر إلى الوفد السوداني الذي شكلته الحكومة لحضور حفل التتويج الملكي في بريطانيا في العام 1938م، فلقد شكل اساسا من الشباب والموظفين

ومندوبين من المتعلمين بالإضافة إلى السيد محمد عثمان ابن شقيق السيد علي والسيد الصديق عبد الرحمن المهدي[28].

وهناك من يزعم ان فكرة قيام المؤتمر كانت أصلا من وحي مكتب مخابرات الإدارة البريطانية في الخرطوم والذي كان يهدف إلى خلق تنظيم يكون بمثابة الترياق المضاد للتدخل المصري في السودان والذي أطل بوجهه من جديد بعد إبرام (إتفاقية 1936م)[29]. ولا شك أن هذا الرأي جنح إلى المبالغة والغلو فالفكرة ليست من بنات أفكار المستعمرين كما أن المؤتمر لم يكن في أي من سني حياته مطية للإدارة الاستعمارية وإنما كان نبتا طبيعيا أفرزته تطلعات أبناء السودان الوطنية[30].

شعر المصريون بعد زيارة رئيس الوزراء المصري للسودان أن المؤتمر لم يكن صنيعة لبريطانيا ومنذ ذلك الوقت تغير موقف مصر الرسمي نحو المؤتمر، وبعد قيام الحرب العالمية رأي المؤتمر أن اشتراك السودان في الحرب بجانب الحلفاء لابد له من ثمن وهو أن يمنح السودان استقلاله فبعث بمذكرة إلي الحاكم العام في ابريل 1942م مطالبا الحكومة باعطاء السودانيين حق تقرير الصمير وعدد من المطالب السياسية الأخرى، ولقد رفض

السكرتير الإداري نيابة عن الحاكم العام فحوى هذه المذكرة وردها إلى أصحابها[31].

أثر رد الحكومة هذا على كيان المؤتمر فشطره شطرين فأطلق الفريق الذي اتخذ موقفا متشددا ضد الحكومة على نفسه الاشقاء وأعلن مطالبته بقيام حكومة سودانية في اتحاد مع مصر تحت التاج المصري أما الفريق الآخر فقد نادي باستقلال السودان ثم ما لبث هذا الفريق أن أنشأ حزبا سياسيا في 1945م هو حزب الامة[32]. ولقد استطاع أتباع الفريق الاول برئاسة إسماعيل الأزهري أن يسيطروا على المؤتمر سيطرة تامة[33].

أما عن بداية ارتباط المؤتمر بالزعماء الدينيين فنحن ننقل هنا حديث السيد على عبد الرحمن الأمين حيث يبين بداية هذا الأرتباط ونشأة الأحزاب السياسية: (تحول المؤتمر في عامه الخامس من منظمة تعليمية إلي إدارة سياسية، إننا في هذه الأثناء اجتمعنا ونحو عدد من كبار الخريجين بعبد الرحمن المهدي بالعباسية بمنزله ودار الحديث حول الخطة السياسية التي ينبغي أن يسكلها المؤتمر بعد أن أصبح أداة سياسية فانقسم المجتمعون إلى فريقين فريق يرى أن يسلك خطة التعاون مع البريطانيين ومطالبتهم لإعداد السودانيين لحكم أنفسهم بأنفسهم

وتسليمهم شؤون البلاد تدريجيا إلى أن يتحقق الإستقلال مرتبطا بصداقة بريطانيا وعزز هذا الرأي بحماس السيد عبد الرحمن، بل في الواقع أن السيد عبد الرحمن هو صاحب هذا الرأي والداعي له وكذلك نتيجة هذا النقاش أن انقسم الحاضرون وكان عددهم يربو على العشرين وكلهم من الخريجين المهتمين بمستقبل البلاد ومن قادة المؤتمر الذين عملوا على تحويله من مؤسسة تعليمية إلى أداة سياسية وكان فريق يرى رأي السيد عبد الرحمن في التعاون مع الإنجليز كما ذكرت، وفريق يري أن التعاون مع المستعمرين لا يمكن أن يؤدي الى تحرير البلاد من الاستعمار فمهما حسن الظن بالإنجليز لا يمكن أن نقتنع أنهم يمنحوا السودان استقلاله برضاهم واختيارهم وينسحبون منه وحتى لو اضطروا الى منح السودان نوعا من الحكم فسيكون حكما زائفا واستقلالا اسميا وسيظل الحكم الحقيقي في يد البريطانيين فلابد لنا من تحمل أعباء النضال ضد البريطانيين والعمل على تحرير البلاد من قبضتهم وطرد الاستعمار من ارضنا مهما كلف ذلك من ثمن وانتهي النقاش وانفض الاجتماع وتآلف حزب الأشقاء بعده بفترة ليست طويلة مع حزب الإتحاديين وحزب الأحرار ورأينا أننا لا نستطيع انتزاع المؤتمر من

أنصار السيد عبد الرحمن من الخريجين إلا إذا اتجهنا نحو السيد على الميرغني واقنعناه بالخط السياسي ليوجه أتباعه من الخريجين لتأييدنا واتصلنا فعلا بالسيد على فرحب بنا كل الترحيب وأبدي حماسا بالغا ووطنية صادقة وشجعنا على النضال مؤكدا أن الخريجين من أبناء الختمية وجماهير الختمية في كل مكان في السودان سيلتفون حولنا في نضالنا. ولقد بذل السيد على جهدا كبيرا لتوحيد الأحزاب الإتحادية فلم يتيسر ذلك وأخيرا تم الإتفاق على التزام هذه الأحزاب بأن لا يحارب بعضها بعضا وأن يحافظوا على العلاقة الحسنة بينهم فتم ذلك والتزم به الجميع[34].

لقد ظلت العلاقة بين السيدين عبد الرحمن المهدي وعلى الميرغني سيئة ومتردية دهرا طويلا وظل التنافس بينهما شديدا وكان السيد الميرغني يتهم السيد المهدي بالتطلع إلى إقامة حكم ملكي في السودان يعتلي عرشه، ويتهم الإدارة الإنجليزية بتشجيع هذا التطلع وكان تدهور العلاقات هذا سببا مباشرا لتأييد الختمية لحزب الاشقاء ولتأييد الحزب الوطني الإتحادي الذي اندمجت فيه الأحزاب الاتحادية كلها فيما بعد بايعاز من اللواء محمد نجيب ، وعلى الرغم من تأييد الختمية للحركة الإستقلالية،

فقد ظل السيد على يردد في مناسبات كثيرة عن عدم اشتغاله بالسياسية، لقد كان السيد علي يخشي من تطلعات السيد عبد الرحمن بشدة ولقد صرح السير جيمز روبتسن السكرتير الإداري لحكومة السودان: أنه ما دامت تداعب السيد عبد الرحمن المهدي طموحات ملكية، فإنه – أي السيد علي – يؤيد أي حزب يعاديه وهو يفضل أن يصبح هيلاسلاسي (كآخر من يخطر على البال) ملكا على السودان، وقال بإنه يمقت المصريين وليس هناك سوداني واحد يريدهم ولكن التركية السابقة رغم سوئها كانت أحسن من المهدية وهو لا يريد قيام مهدية أخرى[35].

لقد كان السيد علي يتصور أن الإنجليز يساندون السيد عبد الرحمن في تطلعاته تلك، إن سياسة الإنجليز تجاه السيد المهدي تبدلت تماما فبينما كان السيد على موضوع الإجلال والتكريم في عام 1900 كان يري هناك شاب يرتدي ملابس رثة يركب حمارا يتجه به نحو مركز أم درمان ليتناول خمسة جنيهات شهريا قررتها الحكوما معاشا له ذلك هو السيد عبد الرحمن[36]. ولكن هذا الوصف الذي أورده له المستر دنكان في كتابه طريق السودان إلي الإستقلال أنقلب رأسا على عقب بعد عشرين عاما عندما تغيرت الظروف لمصلحته وأثارت في نفسه

طموحات أن يعترف به كزعيم للسودان ولقد ظل السيد على الميرغني قبل ذلك يحتل مركز الزعيم الديني المرموق الوحيد الذي تضع الحكومة ثقتها فيه[37]. لقد اهتزت هذه المكانة الرفيعة بعد الحرب الأولي، وتغير موقف السيد على من الإنجليز بشكل نهائي بعد العام 1940 انتقل الصراع بين السيدين من المجال السياسي إلي الإطار الديني، ومن ذلك ما رواه الشيخ محمد الأمين القرشي والذي قضى جزءا من حياته مبشرا بالإسلام في جبال النوبة ونجح نجاحا عظيما في ذلك ، وأسلم على يديه مجموعات كبيرة من ابناء النوبة تقدر بالآلاف، فلما سمع السيد عبد الرحمن بنجاحه هذا طلب منه أن يكون التبشير باسمه ويعطيه مقابل ذلك الأموال اللازمة لهذه العملية ولكن الشيخ القرشي رفض هذا العرض، فما كان من السيد عبد الرحمن إلا أن ارسل جماعة من شباب الأنصار إلي منطقته بغرض التبشير، فلما تسامع الختمية بهذا الأمر هرعوا إلي هناك فكتب الشيخ القرشي إلى السيدين حتى يتراجعا عن ما فعلاه وإلتقي بالسيد علي ويبدو أن السيد على كان لطيفا جدا في تعامله مع السيد محمد الامين على عكس السيد عبدالرحمن الذي حاول أن يماطله مما أدى

إلى تحول الشيخ القرشي هو وأبناء منطقته إلى الطريقة الختمية بعد أن كانوا أنصارا[38].

لقد سعت الختمية إلى تجميع أكبر عدد من المؤيدين حول حركتها السياسية ولمناصرة تيارها السياسي، فلقد تم لقاء في عطبرة بين بعض قيادات الحركة العمالية وبعض قيادات الختمية، وكانوا يمتلكون العديد من الولاءات داخل عمال السكة حديد[39]. لقد أوجدت الختمية اتباعا لحركتها السياسية عند أغلب المثقفين وكثير ممن يحملون شهادات رفيعة في مجالات تخصصهم كانوا يميلون إلى الختمية ويؤمنون بقيادة السيد على السياسية[40].

ثانيا: الأحزاب السياسية والحكم الذاتي:

وقعت الحكومتان الإنجليزية والمصرية أتفاقا ثنائيا في عام 1953م حول السودان، يتضمن هذا الإتفاق كفالة حق السودان في تقرير مصيره عقب فترة حكم إنتقالي يتوفر للسودانيين فيها الحكم الذاتي الكامل[41].

ولد جرت الإنتخابات البرلمانية لتشكيل أول حكومة وطنية بعد الاستعمار الذي دامت فترته أكثر من سبع وخمسين عاما، وكان طرفاها الرئيسان معسكر الإتحاديين بقيادة إسماعيل الأزهري وتحت رعاية زعيم الختمية على

الميرغني ومعكسر الإستقلاليين الذي كان يتزعمه عبد الله بك خليل ويرعاه زعيم الأنصار عبد الرحمن المهدي، وكان شعار الاتحاديين وحدة وادي النيل تحت التاج المصري وشعار الاستقلاليين الاستقلال التام[42].

وقد حصل الحزب الإتحادي على 53 مقعدا وهي تمثل أغلبية مقاعد البرلمان بينما حصل منافسه حزب الامة على 22 مقعدا من جملة المقاعد وهي 91 مقعدا من جملة المقاعد وهي 92 مقعدا وتقسمت الأحزاب الاخرى بقية المقاعد المتبقية[43]. وكانت النتيجة غير سارة لأنجليز حكومة السودان بل ومذهلة فقد كانت تقديراتهم أن حزب الأمة سيفوز بثلاثا وثلاثين دائرة يليهم الإتحاديون بشقيهم (الأشقاء والختمية) الذي قدروا أنهم سينالون ثماني عشرة دائرة ثم الحزب الجمهوري الذي حسبوا أنه سيمثل بستة عشر نائبا[44].

وكونت الحكومة برئاسة الأزهري، فسارع بتحديد أول مارس 1954م يوما للإحتفال بأول برلمان سوداني ودعا الرئيس محمد نجيب للمشاركة في أفراح ذلك اليوم[45].

ولقد وقعت بعد ذلك أحداث مارس الشهيرة والتي روي الشيخ على عبد الرحمن جزءا منها فقال: (ذهبنا لاستقبال

الرئيس نجيب في المطار وجدنا انفسنا وسط صفين متراصين شاهرين الحراب، أما نجيب لو كان قد نزل من الطائرة وجاء بالطريق الذي نحن فيه لكنا كلنا تم اغتيالنا لقد كان الهاما أو شيئا مدبرا أن نزل نجيب من الطائرة ويذهب بطريق غير طريق المطار، اثناء ما نمر في طريق المطار كان السيد عبد الرحمن المهدي طالعا على رأس بيت السيد الصديق في إمتداد العمارات وكان يظللونه بواسطة شمسية وهو يؤشر للأنصار كانه يقول لهم نجيب هرب بالجهة الأخرى وفعلا فهم الأنصار إشارة السيد عبد الرحمن فتحولوا ناحية سراي الحاكم العام[46].ويقول السيد محمد أمين حسين عن هذه الاحداث وعن موقف الختمية:(أما موقف السيد على فإنه بمجرد علمه بأن هناك تحركا للأنصار أرسل خلفاءه كي يطوفوا على الختمية ويأمروهم إلا يخرجوا لاستقبال نجيب)[47].

لقد كانت هذه الأحداث مؤامرة رتبها البريطانيون وشارك في تنفيذها الحاكم العام وساعدهم الأنصار الذين هزموا في الإنتخابات وكان الهدف منها ضرب أي أتجاه في السودان للإتحاد مع مصر[48].

لقد بدأت الخلافات تظهر داخل الحزب الوطني نتيجة لتكتل الختمية وسعيهم إلى أبعاد العناصر التي لا يثقون في

ولائها للختمية، ولقد تفاقم الخلاف إلى أن أدى في نهاية الأمر إلى انشقاق الختمية وتأسيس حزب خاص بهم هو حزب الشعب الديمقراطي ولقد قادت الأنشقاقات داخل الحزب الوطني إلي ما عرف بلقاء السيدين والذي كان من ثماره سقوط حكومة الأزهري وقيام حكومة جديدة قومية مؤلفة من الختمية والأنصار برئاسة عبد الله خليل، ويظن محمد أحمد محجوب أن التحالف بين المهدي والميرغني أعظم كارثة مني بها تاريخ السياسة السودانية ففي هذا التحالف سعي عدوان لدوان بدافع الجشع والتهافت على السلطة والمصالح الشخصية إلى السيطرة على الميدان السياسي[49]. وكان اللقاء في آخر نوفمبر من عام 1955م في منزل الميرغني وظل الاجتماع بينهما خمسين دقيقة ، وكانت تلك أول مرة يلتقيان منذ اكتوبر 1946م عندما قرر المهدي السفر إلي بريطانيا لمقاومة بروتوكل صدقي – بغن وقد تم الإعداد للقاء السيدين منذ الثامن والعشرين من نوفمر عندما اجتمع السيد عبد الله الفاضل المهدي بالسيد على الميرغني استجابة لدعوة منه واقترح أن يتم اللقاء فورا بزيارة يقوم بها الميرغني للمهدي في داره ولما نقل هذا الاقتراح للمهدي شكر الميرغني عليه وفضل أن يتم اللقاء في منزل صاحبه بالخرطوم بحري، فأحسن

الميرغني استقبال ضيفه، ورد الزيارة للمهدي بداره بالخرطوم بعد يومين من اللقاء الأول[50].

وأصدر السيدان البيان التالي: (الآن وقد شاء الله فتحقق الأمل العظيم الذي ظلت تنشده البلاد منذ أمد، فالتقينا وتضامنا إبتغاء مرضاة الله، يسعدنا أن نعلن عزمنا على الوقوف متكاتفين في كل ما يعود على الأمة السودانية الكريمة بالخير والسعادة والحرية والسيادة الكاملة، وإننا إذ نحرص على أن تجتاز البلاد هذه المرحلة الدقيقة بطمأنينة وسلام إلي مصيرها العظيم المأمول نهيب بالمواطنين جميعا أن ينسوا ذواتهم في سبيل خدمة وطنهم العزيز وتحقيق أمانيه الكبرى حتى يتوفر الاستقرار والطمأنينة الضروريان في هذا الظرف العصيب ونرجو أن يتهيأ بذلك الجو الملائم لتعاون جميع أحبابنا ومؤيدينا على البر والتقوى والخير العام، كما نامل أن يمكن التقاء جميع الأحزاب في الحال على قيام حكومة قومية تكون صمام الأمان لكل ذلك، وتستطيع انقاذ البلاد من كل خطر متوقع والله المستعان والموفق لما فيه الخير والصواب[51].

لقد اشترك الختمية بصورة مؤثرة في واقع الحياة السياسية وأسهم السيد على الميرغني بعد أن كان حليفا للإنجليز ومتعاونا معهم بكل الصدق والإخلاص، أسهم في

رعاية حركة الوطنيين من المثقفين وخريجي المدارس السودانية، ووجد هؤلاء في شخصية على الميرغني ملاذا ونصرا لدعوتهم الكبيرة في طلب الوحدة مع مصر وربط الحركة الوطنية السودانية بحركة التحرر الوطني في مصر، وعلى الرغم من أن السيد على لم يكن محبا للمصريين في أوقات كثيرة ولم يكن يرغب في عودتهم إلى سدة الحكم من جديد، وظل مؤيدا لسياسة الإنجليز تجاه مصر إلا أنه تحول في وقت لاحق إلى تأييد التيار الوطني المنادي بوحدة السودان ومصر تحت التاج المصري وأصبح من المؤمنين بهذا التوجه وبقوة .

القيادة داخل الطريقة الختمية:

يعتبر السيد محمد عثمان الميرغني (الختم) الشيخ الأول للطريقة الختمية فعلى يديه كان تأسيس الطريقة وبسبب مجهوداته العظيمة استطاع أن يضم لها أكبر عدد من الأتباع والأنصار، ولقد كان مركز رئاسته في مكة حيث أقامته الدائمة هناك ولكنه تحول عنها قبل وفاته بقليل إلى الطائف نتيجة للمضايقات والتنافس الذي وجده من علماء مكة، وقد أرسل ابناءه سفراء عنه ينشرون الطريقة ويدعون إليها ويمارسون بالنيابة عنه تنظيم شؤون المريدين الدينية والاجتماعية وكان من حظ السيد محمد

سرالختم وهو اكبر الأبناء أن ارسل إلى اليمن وحضرموت، وهذا يشير إلي اهتمام السيد محمد عثمان وعنايته بهذه المنطقة، وهي محل استقرار استقاده احمد بن إدريس.

اما السيد محمد الحسن وهو من أم سودانية هي رقية بنت جلاب من أسرة معروفة بغرب السودان (كما أوضحنا من قبل)، ويبدو أن محمد عثمان الميرغني لما ارسل أبنه إلى السودان لينوب عنه أمره بإقامة صلات مع الحكام وأن لا يكون بمعزل عنهم على خلاف نهجه هو والذي أخذه عن استاذه أحمد بن إدريس[52]. واتخذ السيد الحسن من قرية الختمية، وهي في الأصل اسمها السنية وكان والده السيد محمد عثمان قد اتخذها قاعدة لدعوته في السودان – اتخذها مركزا لقيادته، ومنها انطلقت الدعوة الختمية لتعم وتنتشر في مناطق ارتيريا وشرق السودان، وقد استطاع محمد الحسن الميرغني أن يرسخ لدعوة أبيه ، وأن يمكن لأفكاره وتعاليمه ، فكان بحق الرجل الذي استطاع أن يثبت جذور الطريقة ويوجد لها العديد من الإمتدادات الولاءات المتزايدة في أرض السودان .

إن العلاقات الجيدة والحميمة التي أقامها السيد الحسن مع الأسر والعائلات الدينية السودانية قد وفرت له قدرا

كبيرا من الاحترام والتقدير بين السودانيين ، ومكنته أيضا من بث دعوته بين هؤلاء ، لقد كان السيد الحسن في غاية المرونة والتسامح مع أهل الطرق الأخرى مما ساعده على وجود تعاطف دائم معه ومحبة كبيرة توفرت لدى السودانيين تجاهه ، خاصة إذا اعتبرنا أصله الشريف فهو مصدر توقير وتقديس له أيضا ، وقد أتصل الحسن بتلاميذ أبيه وعمل على تجديد الصلة القديمة بينهم، ووجد إقبالا كبيرا وتجاوبا لا محدودا من السودانيين معه حتى إن ابن إدريس الرباطابي ليقول وهو يصف أنصار السيد الحسن ومريديه: (ثم إن الأستاذ المومأ إليه- أي محمد الحسن الميرغني – مر إلى حد سنار ومعه جموع من الخلفاء والأخوان يفقون عن الحصر ، فأحيا الطريقة وأشادها واقام عمادها وهرعت الخلق لرؤيته واخذ الطريقة عليه من كل الجهات حتى أنه إذا سافر تتبعه نحو السبعين والثمانين راية ، كل راية لخليفة من الخلفاء وتتبعها اناس كثيرون[53]. ولا بأس أن نقول إن السيد الحسن قد قدم مجهودات للطريقة تعد أكبر وأجل من تلك التي بدأها أبوه، وإن كان السيد محمد عثمان (الختم) قد وضع لبنة البناء الأولي بصرح الختمية الضخم، فإن الحسن أبو جلابية[54]. –كما يعرف في السودان – هو من أتم هذا البناء فأحسن

أكماله، وهو من وصل الشوط الذي خطى أولى خطواته السيد محمد عثمان الختم فأتبعه السيد الحسن أشواطا أخرى.

توفي السيد الحسن الميرغني في 23 نوفمبر 1869[55]. وخلفه ابنه السيد محمد عثمان المشهور بالأقرب – والذي ولد في 4 مارس 1848م[56]. وامه هي أحدي حفيدات الشيخ خوجلي، ورغما عن وجود أخ أكبر للسيد محمد عثمان الثاني هو السيد أحمد بن السيد محمد الحسن المولود 1846م، إلا أن محمد عثمان خُلف من أبيه الذي كان يعتقد دائما أن ابنه محمد عثمان متبع لخطوات محمد عثمان الكبير ويمشي على منواله ، وقد واجه محمد عثمان الثاني مشكلات عديدة وصعوبات بالغة بعد موت والده ، أولي هذه الصعوبات هو قطع الحكومة للمعونات التي كانت تقدمها للعائلات الدينية بسبب تدني الأوضاع الاقتصادية في السودان في تلك الفترة[57].

يعتقد (فول) أن هناك عددا من الشخصيات من أسرة المراغنة التي تعيش خارج السودان، قد لعبت أدورا نشطة في متابعة شؤون الختمية داخل السودان، أحد هذه الشخصيات هو السيد محمد سرالختم الثاني (ت 1917م) رئيس فرع الطريقة بمصر وابن السيد محمد سرالختم بن

السيد محمد عثمان الختم قام محمد سرالختم الثاني الذي يعرف عادة بمحمد الميرغني للتفريق بينه وبين أبيه الذي يحمل نفسه اسمه ، بإجازة عدد من الخلفاء في مناطق السكوت والمحس الشايقية، ومن هؤلاء الذين شاركوا في تسيير أمور الطريقة وإدارتها أيضا السيد بكري بن السيد جعفر[58]. بن محمد عثمان (الختم) الذي حضر إلى السودان عقب وفاة السيد الحسن لمساعدة أبناء عمومته ولقد تزوج من السيدة فاطمة بنت السيد الحسن، واسهم بصورة كبيرة في تحمل جزءا وافرا من الأعباء العسكرية والدينية الخاصة بالطريقة اثناء فترة الثورة المهدية.

واخيرا هناك السيد عبد الله المحجوب أخ محمد سرالختم الثاني زوج نفيسة بت السيد الحسن والذي قدم من الحجاز إلى السودان حيث مكث فيه إلى وفاته في 1912م ودفن بمقابر الأسرة بالخرطوم بحري[59].

لقد قاد السيد محمد عثمان الأقرب النزاع الذي دار بين الختمية والأنصار، وعاونه في ذلك السيد بكري بن السيد جعفر، إن الصراع الذي نشأ بين الطائفتين كان أساساه عدم اقتناع الختمية بمهدية محمد أحمد بن عبد الله وأنهم كانوا يرونه متغولا عليها، مدعيا لها ويبدو أنهم كانوا يتوقعون ظهور المهدي على نحو آخر ، فلقد ربطوا

المهدية بالختمية ، وجعلوا للمهدي مرتبة معينة ترددت في أدبياتهم كثيرا وذكرها محمد عثمان (الختم) اكثر من مرة اضف إلي ذلك أن المهدي لم يقدر الزعامة الختمية حق قدرها فلقد اراد لبيت الميرغني أن يذوب كغيره من الناس العاديين في المجتمع المهدوي وأن يتبعوا عثمان دقنة الذي لم يكن مقبولا لديهم البتة بل كان مرفوضا حتى بين أتباع المهدية في شرق السودان، وكان لدى الختمية اكثر من سبب وجيه يرفضون فيه الانضمام لجماعة يقودها عثمان دقنه ولعل أبرز هذه الاسباب أن عثمان دقنة يدين بالولاء للمجاذيب هو وأسرته، والمجاذيب على خلاف قديم مع الختمية، ولقد ذكر صاحب الإبانة أن تلاميذ الشيخ المجذوب قد فعلوا أمورا لا تليق مع محمد عثمان (الختم) ثم ذكر أقبالهم على موالاة ومناصرة الحركة المهدية فقال: (حتى ظهرت هذه الفتنة الشنئة – يقصد الشنيعة – والبلية الإبتداعية – يريد بذلك المهدية – فبمجرد ظهورها تصدروا لها – أي المجاذيب – وقادوا زمامها وقاموا فيها بأعظم الهمه وصاروا لها قادة وأئمة وأهلكوا العباد وخربوا البلاد وأظهروا في الأرض الفساد فضلوا وأضلوا فسلط عليهم الحكومة المصرية فخربت

ديارهم ومحت آثارهم بسواكن فخسروا الدنيا والآخرة)[60].

قاد محمد عثمان الميرغني الأصغر مقاومة شرسة ضد المهدية واشتبك معها في عدة معارك من بينها واقعة الجمام في فبراير 1884م، وواقعة الفقيه عيسي وغيرها، ثم أزمع السيد محمد عثمان الخروج من الختمية فخرج منها في 30 يونيو 1884م قاصدا مصر فوصل إليها عن طريق مصوع، ثم أقام في مصر بضعة أيام توفي بعدها في يوم السبت 10 ربيع الآخر 1303هـ ودفن في باب الوزير[61].

مشيخة الختمية بعد وفاة محمد عثمان (الأقرب):

خرج السيد محمد عثمان (الأقرب) قبل وفاته قاصدا مصر – كما ذكرنا – وكان معه في هذه الرحلة ابنه السيد على الذي بلغ أسوان ومكث بها حينا من الدهر واختلف فيها إلى مسجد قديم انشأه جده السيد محمد عثمان(الختم) عام 123هـ هو مسجد (الأنوار)[62].

ثم ظهر اتجاه لدى أسرة الميرغني بالهجرة إلى مصر ولقد رحبت الحكومة بذلك وأبدت استعدادها للعناية بهم، وتكفل نفقات عيشهم ثم أن وجودهم في مصر يجعلهم

تحت ملاحظة ورقابة رجال المخابرات وأخيرا سافر السيد على وحده بينما بقيت أسرته في سواكن[63].

أما بقية العائلة الميرغنية فجزء منها كان في أم درمان تحت طائلة المهدية، وهم ابناء السيد بكري السيد جعفر والسيد الحسن والسيدة عائشة وكانت معهم والدتهم السيدة فاطمة الأولي بنت السيد محمد الحسن[64]. كما أوضحنا في غير هذا المقام.

لقد ظل السيد أحمد بن السيد محمد عثمان (الأقرب) في أم درمان أيضا وبقي الوضع على ماهو عليه حتى مجيء الفتح الإنجليزي المصري وزوال دولة المهدية، التي حدت من نفوذ الختمية وشردت قياداتهم وأجبرت خلفائهم على المشاركة قصرا في جيوشها، لذلك كانت المهدية نقمة على الختمية بينما عد مجيء الإنجليز إلى السودان هي النعمة التي مهدت الطريق من جديد للختمية لبناء طريقتها واستعادة نفوذها وتجديد مجدها الأفل أيام حكم الأنصار.

أما إذا عدنا إلى مسالة شياخة الختمية وقضية الزعامة فيها فإننا نقف أمام شخصين اثنين يليهما هذا الأمر، أولاهما: هو السيد أحمد بن السيد محمد عثمان الأقرب،

والثاني هو السيد على بن السيد محمد عثمان أيضا وهو أخ أصغر غير شقيق للسيد أحمد، جده لأبيه هو السيد الحسن بن محمد عثمان (الختم) وأمه آمنة بنت النور من قبيلة الأنقرياب فرع من العبدلاب، وقد ماتت بسواكن وعمره نحو تسع سنين، والسيد على له شقيقة واحدة هي السيد نفيسة[65].

بالنسبة لأخيه السيد احمد فهو أحمد بن محمد عثمان الأقرب أمه خديجة بنت عبد الله من أسرة أرترية مسلمة[66].

لقد قضى الأخوان أحمد وعلي جزءا من طفولتهما وشبابهما منفصلين عن بعضهما، فالسيد احمد كان قابعا في أم درمان تحت ملاحظة الدولة المهدية، في الوقت الذي كان فيه السيد على يعيش في مصر[67]. وفي رعاية عمه محمد سرالختم الميرغني، وكانت الحكومة الإنجليزية تقف من ورائه وتقدم له ولافراد أسرته في سواكن ولبعض خلفاء الطريقة العون والدعم اللازمين اعترافا بمجهودات المراغنة المقدرة في مواجهة المهدية وتعويضا لهم عن ما فقدوه من اراضي وممتلكات[68]. وبذلك لم يتيسر لقاء بين السيد أحمد وأخيه السيد على إلا

بعد الفتح حيث اجتمعا في كسلا وعاشا لمدة ثلاث سنوات معا[69].

إن ابتعاد الآخوين عن بعضهما لفترة طويلة من الزمن وموقف الطريقة الختمية الجديد بعد الفتح. واختلاف طبائع البشر، كل هذه الأشياء أوجدت نوعا من الخلاف بين الآخرين تحول بعد ذلك إلى نزاع[70]. وأساس الخلاف كما يظن الدكتور أبو سليم قائم حول النفوذ والمكانة وهو أمر عادة ما يقع في الطرق[71]. جاء السيد على إلي الخرطوم حيث السلطة السياسية ومكث السيد احمد في كسلا واستقر الأمر على هذا الحال في تقاسم النفوذ والسيادة[72].

ويبدو أن المراغنة قد اتفقوا ضمنيا على تقسيم جهوي لمناطق نفوذهم وصورة هذا التقسيم كما يظهر كالآتي:

- السيد احمد: كسلا، القضارف، والقلابات والهدندوة والشكرية ومقره كسلا.

- السيد على: بربر، ودنقلا وحلفا، والخرطوم وكردفان، ومقره الخرطوم بحري.

- السيدة مريم الميرغنية، جبال البحر الأحمر ومقرها سنكات.

- السيد جعفر البكري والسيدة علوية: ارتريا[73].
ولظروف سياسية وعملية ظل السيد على بما توفر له من إمكانات ومواهب وأحوال مواتية يعتبر دائما الرأس والزعيم والممثل الأوحد لبيت المراغنة. (وقد أشرنا إلى هذا التقسيم من قبل).

لقد كان السيد على زعيما بحق فلقد انعم الله عليه بصفات القائد الممتاز الذي يستطيع أن يبحر بسفينته إلى بر الامان. قال عنه (سير قاوين بل) الذي كان نائبا لآخر سكرتير إداري بريطاني لحكومة السودان، يصف سماته الخُلقية: أنه كان فكها خفيف الظل ودودا وأن كانت فيه انطوائية فلا يكاد يبارح داره، وكان لا يتكلم كثيرا، وإذا قدر له أن يتكلم فإنه يتكلم في التاريخ وسير الرجال وأحوال الشرق الأوسط الاقتصادية، يذكر ذلك عن علم وسعة أطلاع، وهو كثيرا ما يردد المأثورات والتعاويذ الدينية[74].

والأستاذ حسن نجيلة أيضا يتكلم عن السيد على فيقول: (وفيما نحن جلوس أقبل السير السيد على الميرغني فقام الجميع تحية له وأجلالا واقبل كل من الحاضرين عليه يقبل يده وجلس إلى جانبي في وقار وهيبة وفيما هو جالس كان أعيان السودان يقبلون عليه وينحنون على يده يقبلونها

ظاهرها وباطنها ويرجونه الرضي عنهم وحسن الدعاء، وكانوا كذلك يقبلون يد أخيه السيد أحمد ولكنى أشهد أني ما رأيت إيمانا كهذا الذي رأيته مرتسما على وجوه هؤلاء الناس باديا في نظراتهم متجليا في كل حركاتهم نظرة كلها الإيمان والأجلال ورجاء الرضى وحسن الدعاء ومن هؤلاء الأعيان شباب تلوح عليهم مظاهر القوة والاعتداد بالنفس ومنهم كهول وشيوخ ترى على عوارضهم من الشيب بياضا في سواد ولكل من هؤلاء الشبان والشيوخ سلطان على من يدينون له من القبائل والعشائر والسيد على نحيف قصير القوام دقيق تقاطيع الوجه تنم عيناه، ببريقهما الشديد عن كثير من الذكاء والدهاء وتطوف ثغره العربي الرقيق الشفاء ابتسامة دائمة تجعل محياه الجذاب دائم الأشواق – ولعله أصغر من رأيت من أعيان السودان جسما وأن كان أكبرهم مقاما)[75].

ولقد زاره الأستاذ أبو الحسن على الحسني الندوي في عام 1951م فأعجب به وبآرائه في الدعوة والإرشاد وأثر الختمية في المحافظة على الإتجاه الديني لدى الشباب[76]. وفي الواقع أن السيد على له العديد من السمات التي جعلته مؤهلا أكثر من غيره لقيادة الطريقة الختمية التي دفع بها في وقت لاحق في معترك الحياة السياسية ويبدو أن هذا

الأمر كان سببا في الخلاف بينه وبين أبناء السيد أحمد كما سنوضح فيما يلي من قول، إذا عدنا إلى النزاع الذي جرى بين ابناء السيد محمد عثمان (الأقرب) السيد أحمد والسيد على فيمكننا أن نقول إنه خلاف حول النفوذ والممتلكات العينية وبعض الخلافات المالية كما ذكرنا آنفا ويمكننا أن نجعل نقاط الخلاف فيما يلي:

أولا: الأراضي:

تقدم السيد أحمد بعد الفتح نيابة عن المراغنة بطلب للحكومة بصدد بعض الأراضي بكسلا والتي اعتبرها ملكا للبيت الميرغني ، وفي عام 1904م عقدت إتفاقية حول هذه الارض ، فحصل نتيجة لهذه الاتفاقية على قطعة أرض كبيرة محدودة بحدوده في طريق المدينة باتجاه القاش ، وعلى قطعة أرض كبيرة محدودة بحدود في طريق المدينة باتجاه القاش ، وعلى قطعة أخرى شمال كسلا القديمة ورفض طلبه الخاص بأرض (قلسا) ولكن سمح له بأخذ الحجر منها مجانا، وكان أعطاء الارض لهم وفقا لشروط تضمن مصالح الدولة العامة فيها كضمان حق شق طريق وغير ذلك ، وفي عام 1908م عدلت الإتفاقية بغرض توسيع سوق كسلا، وحتي عام 1909م لم يتمكن المراغنة من استغلال الارض والإستفادة منها بسبب المنازعة

واستثمار الأرض ، ولكن الخلافات ظلت قائمة يزيدها حدة تدخلات الخلفاء وحركتهم بين الآخوين حتى وصلت ذروتها في عام 1916م و1917م مما دفع الحكومة إلى التدخل وتقسيم الارض بمعرفتها ، وإضافة إلي هذه الارض كانت هناك أملاك للآخوين في كسلا وبعض الأراضي في الحلنقة وهي ايضا كانت سببا في خلاف دائم حولها(77).

وفي الخرطوم دار نزاع أيضا حول أرض ومباني فلقد كان للسيد محمد عثمان الثاني جنينة مساحتها 75 فدان بالخرطوم بحري وقد أخذت الحكومة هذه القطعة للمنفعة العامة وعرضت تعويضا عينيا أو ماديا فاختار السيد على تبعا لنصح السيد احمد التعويض العيني وحصلا على ستة أفدنة في مدينة الخرطوم وهي التى بنيت عليها سراي السيد علي، وقد اتفق الأخوان على بناء السراي مناصفة(78).

وقد بنيت وفقا لهذا الإتفاق ودفع كل طرف حصته كاملة ، أما سبب تفجر الخلاف حوله فهو قيام السيد على بتسجيل السراي باسمه مع اغفال حق اخوته في الأرض وحق أخيه في الارض وفي البناء وفي لاحق بعد وفاة السيد أحمد تقدم ابنه السيد محمد عثمان (شمبات) بشكوى

ضد عمه يطالبه فيها بحقه في السراي، ولقد حسم الخلاف بينهما نتيجة لوساطات أدت إلى صلح واتفاق ، وخلاصة الإتفاق ان يدفع السيد على للسيد محمد عثمان (شمبات) تعويض مالي عن حقه في السراي ، أما نصيب أبناء السيد احمد الباقين- وهما السيد محمد الحسن والسيدة فاطمة – لقد ظل في حوزة السيد على ولازال الخلاف قائم إلي يومنا هذا حول هذه القضية بين أبناء السيد محمد الحسن (كسلا) وهم السيد يسن والسيد طه والسيد عبد الله وبين ابناء السيد على السيد محمد عثمان والسيد أحمد – أما السيدة فاطمة بنت السيد أحمد بن عثمان الثاني فليس لها نسل لعدم زواجها[79].

ثانيا: الإعانات المالية:

كانت اعانات اسرة محمد عثمان الثاني تصرف للسيد على منذ أيام المهدية على أساس أنه القائم على أمر الأسرة وكان السيد احمد في أم درمان اثناء ذلك، وبعد الفتاح ظلت الإعانة تصرف للسيد على كالعادة وفي عام 1970م طالبه السيد احمد بتقسيمها فوعد بذلك ولم يف بما وعد، بالإضافة إلى ذلك كان هناك نزاع بين الأخوين حول دخل قبة الحسن بكسلا، وقبة المحجوب ببحري وظل كل منهما يتضرر من الآخر على أساس أنه لا

يحصل على نصيبه من الدخل السيد على يطالب بنصيبه من دخل قبة الحسن وأحمد يطالب بنصيبه من قبة المحجوب[80].

ثالثا: قبة السيد الحسن بكسلا:

وقد قام ببناءها السيد محمد عثمان الاقرب وصارت مزارا ومقصدا للمريدين والأتباع، وقد هدمها الأنصار اثناء غاراتهم على كسلا[81]. وفي عام 1913م طلب السيد على الأذن من الحكومة أعادة البناء على نفقته ونفقة السيد احمد بالمناصفة، وقد وافق السيد احمد وطلب من أخيه أن يحضر بنفسه إلى كسلا أو يقيم وكيلا وافق السيد على وبلغ أخاه أنه سيحضر لذلك بعد الخريف وفي عام 1922م ولكنه لم يحضر لمرضه[82]. وقد تولي السيد احمد بناء الجزء الاكبر منها وحده، اما الجزء المتبقي وهو السقف فلم يكتمل حتى الآن[83].

ولقد جاء في كتاب السودان تحت إدارة ونجت، أن الحكومة الإنجليزية أعادت بناء المسجد [84]. وهذا الكلام ليس صحيحا، فلا يزال المسجد كما هو عليه منذ أن دمرته قوات المهدية[85].

اخيرا: النفوذ على القبائل، الخلفاء، والمناسبات الدينية:

نشأ نزاع في قبيلة الحلنقة قسمها إلى شطرين وسبب هذا النزاع هو وجود قوى داخل القبيلة مؤيدة للسيد على وأخرى مناهضة له وتقف مع السيد احمد وكل جماعة تريد تواجه شخص بعينه لزعامة القبيلة[86]. كذلك لعب الخلفاء دورا أساسيا وهاما في هذه الصراعات، وكانوا في كثير من الأحيان يحركون النزاع داخل الأسرة، وقد عمل بعض الخلفاء من أقرباء السيد على إلي أحداث خلاف بينه وبين أبن أخيه السيد محمد عثمان (شمبات) الذي أصبح نفوذه في ازدياد بعد وفاة أبيه بمدة وعند ظهور حركة التحرر الوطني والأحزاب السياسية[87]. كانت تقام وبشكل سنوي حولية السيد محمد عثمان (الختم) ومن المفترض أن يقوم بذلك كل زعيم في مركزه، ولكن بسبب وجود السيد على في كسلا مع بداية مجيئه في السودان وبحكم نفوذه هناك فقد ظل أتباعه ينظمون حولية للختم سنويا وفي عام 1919 رد السيد احمد على ذلك بأن طلب إقامة حولية باسمه للسيد الختم في الخرطوم بحري، وكان السيد على يحتفل في الخرطوم وقد اعترض على طلب السيد احمد وفي النهاية حسم الامر بأن يمتنع السيد احمد عن الحولية في منطقة الخرطوم بحري مقابل امتناع السيد عن الاحتفال في كسلا[88]. إن الخلافات بين السيد احمد والسيد

على لم تنته إلا بعد وفاة السيد احمد في عام 1928م ، ولقد حاول السيد على أن يتقرب إلى ابناء أخيه وهما السيد محمد عثمان (شمبات) والسيد محمد الحسن (كسلا) ولأن السيد على كان مهتما بالسياسة منغمسا فيها فقد سعى الى أشراك أبناء اخيه معه ، أما السيد محمد الحسن فلقد كان راغبا عن الأضواء يمقت السياسة وما يتصل بها ولم يشترك في عمل سياسي سوي مرة واحدة فقط عندما كلفه السيد على بجمع الناخبين في اول انتخابات برلمانية في السودان، ويروى عنه أنه ظل يعد هذا الأمر ذنبا يستغفر الله منه ولا يعود إليه إلي ان توفي في عام 1987م.

بالنسبة للسيد محمد عثمان (شمبات) فلقد اشترك مع عمه السيد على في التأليف بين الأحزاب الاتحادية إلا أن خلافا حول بعض الإتجاهات السياسية حدث بينهما، نفض بعدها السيد عثمان يده عن العمل السياسي واعتكف في منزله بعيدا عن أجواء العمل العام حتى وفاته في عام 1968م[89].

من الملاحظ أيضا عدم اتصال ابناء السيد احمد بالحكومة من قريب أو بعيد، بل ولقد تعرضا لغضب الحكام بعد الحرب العالمية الثانية وسبب ذلك أن السيد بن محمد عثمان ومحمد الحسن قاما بتقديم خدمات كبيرة

لمواطني مدينة كسلا في أثناء فترة الاحتفال الإيطالي للمدينة وبعد إنتهاء احتلال الإيطاليين، ارادت الحكومة الإنجليزية تقديم انواط ونياشين وتقديرا لما بذلاه من مجهودات ، ولكن السيدين رفضا هذا الأمر ، لأنهما اعتبرا ما أدياه من جهد وما قدماه من معونة كان المقصود به المواطنين وليس احدا آخر ، ثم أن هذه الأوسمة والنياشين كانت تحمل شعار الدولة الإنجليزية وهي الصلبان ، مما يتنافي مع عقيدة المسلمين ، وقد أغضب هذا الرفض الحكومة وجعلها تنزع عددا من الاراضي الخاصة بالسيدين في كي كسلا[90].

من الواضح ومن خلال ما ذكرناه عن ابني السيد أحمد نجد أنهما يتمتعان بقدر كبير من التورع والزهد والبعد عن الظهور والميل إلى العزلة والاهتمام بالنواحي الدينية، وعدم الإنجراف وراء الخصومة والنزاع وكان من الممكن جدا أن يعملا على إيجاد تيار مناؤي لعمهما السيد على ولكنهما أثرا الصمت والإنزواء لباعث إيماني صرف.

يجدر بنا كذلك أن نشير إلى أهمية القيادات النسوية عند الختمية فالسيدات من المراغنة مارسن نفس الأدوار الروحية والدينية التي أداها الرجال من نفس البيت.

ولقد أدرك (غردون) من قبل أثر هؤلاء النساء الفضليات على المجتمعات التي يسود فيها الولاء لبيت الميرغني، فطلب من السيد محمد عثمان (الأقرب) أن يبقي على السيدات الميراغنة في منطقة شندي لأن ذلك سيسهم في إيجاد قدر من الهدوء والإستقرار على المنطقة[91]. ومن أبرز سيدات الميراغنة اللاتي مارسن مهاما روحية السيدة علوية والسيدة مريم الميرغنية بنات السيد هاشم بن محمد عثمان (الختم).

السيد على الميرغني (1879 – 1968):

مقدمة:

يهدف هذا الفصل أو المبحث من الدراسة إلى توضيح بعض الإتجاهات ذات الاثر في سيرة السيد على الميرغني والتي أدت بصورة كبيرة إلى تشكيل حقبة هامة في تاريخ السودان الحديث.

إن الدراسات الخاصة بشخصية السيد علي تعتبر مهمة نظرا لمكانة الرجل ومنزلته وظروف وجوده في الحياة السودانية العامة، لقد أحدثت شخصيته الدينية والسياسية تيارات حقيقية لأكثر من خمسين عاما من عمر هذا البلد.

السيد علي الميرغني هو وريث أسرة دينية عريقة دخلت السودان في وقت متأخر، وتمكنت بفضل زيجات أفراد منها متعددين بوطنيات أن تصنع لنفسهحا وجودا محليا ممتازا، ولقد آلت مشيخة الطريقة إليه بعد والده فأصبح قيما على قطاع عريض من السودانيين الذين يرتبطون بطريقته (الطريقة الختمية).

ونقصد من خلال هذه المعالجة التاريخية لحياة السيد على الميرغني تقديم وجهة نظر مبررة، نعتقد عبرها أن الرجل قد أفاد من زعامته الطائفية ليصنع لذاته مجدا سياسيا عظيما أسهم في تشكيل توجهات الأمة السودانية وقادها في وقت متأخر إلى التحرر وإلي وجود دولة السودان المستقلة، إن مجهودات الميرغني في هذا الإطار تؤيدها الحقائق ، ويسندها التفاف رواد الحركة الوطنية حول رايته وبقاؤهم تحت مظلته. كما أشرنا في فصول سابقة.

أتصل السيد علي منذ أيامه الأولى بالحكم وأدواته، وبالسلطة ودولابها، ورغما عن قوله المشهور بأنه ليس سياسيا إلا أن جزءا كبيرا من قماش السياسة السودانية في منتصف هذا القرن كان يحاك بواسطته.

إن جانبا عظيما من حياة الميرغني السياسية والدينية أودع في التقارير التي دبجتها أيادي رجال المخابرات والسياسة الإنجليز، وأكثر هذه التقارير خارج السودان، وهناك أيضا الخلفاء الذين أحاطوا به وبالأسرة الميرغنية في أكثر الفترات، وهؤلاء كانوا محل سره وموضع ثقته.

تعريف به:

هو السيد على بن السيد محمد عثمان الصغير (الاقرب) بن محمد الحسن (أب جلابية) ابن محمد عثمان الميرغني (الختم) والأخير هو مؤسس الطريقة الختمية وعلى يديه دخلت السودان في سنة 1816م.

وأم السيد على هي آمنة بنت النور من الأنقرياب، وهم أبناء عمومة بالنسبة للعبدلاب توفيت بسواكن وعمره نحو تسع سنة[92].

أما والده محمد عثمان الميرغني فقد عرف بكفاحه ضد المهدية، وحشده للجنود والأتباع عندما هجم الثوار على حاميات شرق السودان، وقد قاوم ومعه السيد بكري بن السيد جعفر الميرغني في سبيل عدم سقوط مدينة كسلا، ولكن مع اشتداد وطأة الهجوم عليها، غادرها محمد عثمان

قاصدا مصر حيث عاش هناك لفترة قصيرة وتوفي ودفن بباب الوزير بالقاهرة في 18 يناير 1886[93].

أما السيد بكري فقد مكث في كسلا إلى ان سقطت في مايو 1885م، حيث غادرها إلي مصوع فسواكن فمكة ومات هناك في العام 1886[94]. وللسيد علي شقيقة واحدة هي السيدة نفيسة، وله أخ وأخت من أبيه من أم أخرى، هما السيد أحمد (ت 1928م) والسيدة فاطمة (نور)[95]. وأمهما خديجة بنت عبد الله من أسرة أرترية مسلمة[96].

مولده وحياته المبكرة:

ولد في سنة 1879م تقريبا[97]. في جزيرة مساوي شمال مدينة مروي في منطقة الشايقية، ومساوي أرض نفوذ للختمية ومركز لنشاطاتهم، ولقد جاء مولد السيد على هناك في أثناء فترة وجود والده للتبشير الديني والإرشاد، وامتد هذا الوجود قرابة العامين[98].

وتاريخ ميلاد السيد على لا يذكر -عادة – على وجه الدقة، لكن ما اثبتناه أقرب إلى الحقيقة لمطابقته زمن وجود أبيه في الشايقية في شمال السودان[99]. وانتقل به والده بعد ذلك إلي مدينة كسلا[100]. حيث بدأ أبوه في تشييده مسجد وضريح السيد الحسن في قرية الختمية

بالقرب من كسلا[101]. وجلب لهذا العمل أفضل الخبرات البشرية – في وقتها – في مجال البناء والتزيين وطلب لعمله هذا أجمل الزخارف وازهاها، وجاء بألوان راقية من البسط والخشب من الهند والحجاز مما زاد البناء أبهة وعظمة[102]. إلا أن ذلك كله تعرض للهدم والتدمير في أثناء هجوم المهدويين على المدينة[103]. وقد عد الختمية هذا الأمر ابتلاء، واعتبروا المهدية فتنة يجب القضاء عليها وإخماد نيرانها. (كما أوضحنا من قبل).

إن سياسة الحكومة تجاه الختمية قبل قيام الثورة المهدية لم يكن اصلها المحاباة والتحيز على نحو ما جاء لدى نعوم شقير، لقد اختلفت معاملة الحكام الأتراك من مدير إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، ولنوضح هذه المسألة قليلا، فمع مقدم السيد الحسن الميرغني (ت 1868م) إلى السودان تبعا لأوامر والده له، تعرض لمضايقات من قبل أحمد باشا أبو ودان (ت 1844م) والذي كان حاكما عاما على السودان في الفترة من 1839م وحتى تاريخ وفاته، وترى مصادر الختمية أن وفاة أبي ودان يمكن أن تكون إحدى كرامات السيد الحسن[104]. (وفقاً لما ذكرناه سابقاً)

وتذكرة نبذة موجزة عن الخليفة بابكر ود المتعارض أحد رواد الختمية، أنه تعرض في نهاية الثلاثينات من

القرن الماضى إلى القتل على يد الحكومة هو ومعه مجموعة كبيرة من خلفاء الختمية فقد صوبت الحكومة مدافعهاعليهم بعد أن جمعتهم في مكان واحد، ولم ينج من هحذا الحادث إلا نفر قليل[105].

لقد كانت الحكومة التركية تنظر إلى أتباع الطريقة الختمية نظرة أرتياب وتشكك ، وترى في الخلفاء أناسا عاطلين عن العمل[106].كانت هذه هي وجهة نظر السلطات في إقليم النيل، أما في شرق السودان فالامر قد يختلف نوعا ما، إذ أن السيد الحسن هناك كان محط احترام وقبول الإدارة المحلية، ولقد طلبت مساعدته في ثورة الجهادية السود 1865م، وتمكنت الحكومة ، بسبب تدخله أن تحسم الأمر وتهديء الموقف ، ارتحل السيد على بعد كسلا إلى سواكن حيث أقام مع عمه السيد محمد عثمان تاج السر الذي تعهده بالرعاية[107]. وأخذ في تلقى مباديء العلوم الشرعية بمسجد الأنوار الذي اسسه جده السيد الختم وقد حفظ القرآن في تلك المرحلة[108]. وكان هذا المسجد ضمن أبرز مساجد السودان في تلك الفترة[109].

ثم سافر مع عمه السيد محمد سرالختم الميرغني إلى مصر عن طريق السويس[110]. وهناك خضع لرعاية

الفرع المصري للمراغنة ، واهتمت المخابرات به ايضا بسبب المجهودات الكبيرة التي قام بها والد السيد على خدمة للحكومة، وقد أشرنا إلى المذكرة التي رفعها مدير البحر الأحمر (في الفترة من 1888م إلى 1892م) السيد هولد سميث مذكرة رسمية إلى السودان حول تربية علي الميرغني (وقد جاء فيها أن تعلمه حسن إلا أنه محاط بعدد من الخلفاء الذين يخشي منهم عليه ومن تأثيرهم السيىء وبعد أن اقترح هولد سميث إبعاده عنهم اختتم مذكرته بقوله: (إن الطريقة الختمية مايزال لها نفوذ قوي في السودان ومن المتوقع أن يصير هذا الصبي في المستقبل ذا فائدة للحكومة)[111].

ورتبت الحكومة مخصصات مالية للمراغنة تعويضا لهم عن الاضرار التي لحقت بهم، وتقديرالمواقفهم المميزة مع الحكومة في السودان، ومن هذه المخصصات ذهبت مبالغ إلى جزء من الخلفاء ممن يقومون باعمال ذات صلة بالاسرة[112].

وفي اثناء فترة وجود السيد علي في مصر اختلف إلى الأزهر الشريف بغية العلم، وترى مصادر الختمية أنه حصل على شهادة إجازة علمية من الأزهر (العالمية)[113].

ولم أجد مايؤيد هذا الزعم، إلا أن أبا سليم قد ضعف هذا الرأي[114].

على كل الأحوال فقد ارتاد السيد على حلقات العلم ونهل قسطا مقدرا من العلوم الدينية[115]. وقام في نفس هذه الفترة بزيارة إلى الأراضي المقدسة بقصد الحج، وقد صحبه في هذه الرحلة عمه السيد محمد سرالختم[116].

رجع السيد على إلي السودان عبر البحر الأحمر إلى ميناء سواكن، وقد جاء في نشرة تاريخية أصدرتها الطريقة الختمية أن مجيئه إلي سواكن كان في سنة 1895م حيث مكث فيها كما تقول النشرة لإعادة تنظيم شؤون طريقته والنظر في أحوالها[117].

وقد وجدت خطابات متبادلة بين السيد علي وأحبائه تؤيد فكرة وجوده في تلك الفترة في شرق السودان، وهذا ماذهب إليه أبو سليم[118].

ثم غادر السيد على سواكن إلى كسلا التي رافقه إليها عدد من كبار الختمية[119]. منهم إبراهيم موسى ناظر الهدندوة، ودقلل ناظر البني عامر[120]. وبعد سقوط الخرطوم جاء السيد أحمد إلى كسلا وقد كان حبيس

الحركة في أم درمان طيلة حكم المهدية[121]. وجاء معه السيد جعفر والسيد الحسن والسيدة فاطمة[122].

ومن الذين يؤيدون فكرة مجييء السيد علي موافقا للجيش الإنجليزي – المصري الفاتح الدكتور جلي والذي يعتمد في بناء فكرته على مذكرات أبو حسبو يقول الدكتور جلي: (ويذكر أبو حسبو في مذكراته أنه عندما تقرر إعادة فتح السودان كان من رأي الإنجليز والمصريين على السواء أن يكون مرافقا للجيش الفاتح رجل من رجال الدين المتبوعين في الشمال وخاصة أن حملة الفتح اتخذت مسيرهاعن طريق دنقلا ، وكان الزبير باشا وقتها منفيا في مصر فاستشير في الامر فرشح السيد على الميرغني ليكون رجل الدين الذي يرافق الجيش نسبة لما للطائفة الختمية من نفوذ في تلك المناطق ، قد وافقد السيد على الميرغني على ذلك حتى يستطيع جمع شمل أتباعه الذين كان قد أرهقهم الحكم المهدوي وفرق شملهم[123].

إننا هنا لا نتفق مع ماورد في هذا النص الذي يروج لمجييء السيد على بصفة رسمية مع الحملة الفاتحة عن طريق الشمال ، إذ أنه قد سبق لنا القول بأن السيد علث كان مجيئه عبر البحر الأحمر ، ومكث في سواكن ، لكن

هذا لا ينفي صلته المتطورة بالإنجليز الشيء الذي يمكنه من تقديم أكثر من خدمة لهم في سبيل استرداد السودان ، وكما سنوضح لاحقا أن السيد علي اراد استبدال حكم المهدية القائم بأي حكم آخر بديل سواء على يد الإنجليز أو غيرهم، والإنجليز هم أقرب الناس إليه ، إذ أنه خضع لرعايتهم الخاصة طيلة فترة وجوده في مصر وحتى في سواكن التي كانت خاضعة للسيطرة البريطانية، ولقد مضي السيد على في رحلته في سواكن إلى الخرطوم تحت حماية الحكومة الجديدة التي أوكلت لمائة جندي مرافقته من سواكن إلى الخرطوم[124].

وليس بين يدي دليل يشير إلى مدى التعاون او التنسيق الذي وجد بين السيد على وحملة الفتح إلا أنه ليس صعبا أن نقول إن علي الميرغني قد أسهم بشكل وعلى وجه من الوجوه في نصرة حملة الفتح الثنائي.

ولست اريد بهذا المعني أن يتبادر إلى الأذهان أن السيد علي كان عميلا للإنجليز بل هو زعيم كان يرجو تحقيق مصالح مقدرة لطائفته بعد أن عانت من التشتت والتشرذم والملاحقة من قبل حكومة المهدي، فمن هذه الجهة يمكننا أن نفسر مواقف السيد علي بالنسبة للإنجليز.

ترى بعض المصادر الشفهية عند الختمية أن اتفاقا جرى بين السيد على ودولة الحكم الثنائي تلتزم فيه الحكومة عند دخولها السودان بالحفاظ على عقيدة المسلمين ودينهم[125]. ويبدو لي أن هذا الاعتقاد لديهم –إن صح – فقد تسرب إليهم نتيجة لخطاب اللورد كرومر الذي وجهه إلي الأمة السودانية في 4 يناير سنة 1899م والذي عمد فيه إلى إظهار حرص الحكام الجدد على الدين الإسلامي وعدم رفضهم لمبدأ احتكام السودانيين إلى شرعهم الحنيف[126].

وفي نفس هذا الخطاب أعلن كرومر تقليده باسم جلالة مليكة بريطانيا للسيد علي الميرغني وساما إنجليزيا رفيعا[127].

لقد كان أول ما سعت إليه الحكومة الفاتحة أن توجد حلفاء لها من بين الزعماء الدينيين[128]. وسعيا وراء كسب تأييد لها أباحت الإدارة الثنائية نشاط الطرق الصوفية بعد فترة طويلة ظلت أنشطتها معطلة أبان حكم المهدية[129].

وعلى الرغم من هذا السند الذي كانت توفرها للطرق، إلا أنها كانت دائمة القلق تجاه أية تزايد لنفوذ هذه المجموعات، وتقارير الحكومة عن مشايخ الطرق توحي

بهذا الأمر، نجد مثلا تقارير تتحدث عن الشيخ عبدالمحمود نورالدائم أحمد مشائخ الطريقة السمانية فتصفه: (بأنه رجل غير مخلص، وله مقاصد وقد وشجع المواطنين على إعلان التمرد، كما أنه بهجومه على الحكومة فإن قيمته تزداد في عيون أتباعه كما يكسب أتباعا جددا ثم يصبح أكثر أهمية)[130].

وفي النهاية رأت الحكومة أن يؤتي به ليعيش في أم درمان حتى يقضي على ما أثير حوله[131]. وهكذا كانت الحكومة تتخذ الأحتياطات اللازمة تحسبا لأي خطر ينجم عن رجال الطرق، إذ أنها كانت تنظر لهم بعين الريبة وعدم اليقين من ولائهم لها، والحكومة عموما تبحث عن سبل بقائها، وإمكانية استمرارها واستقرار أوضاعها وتشكل مواقفها تجاه أية جهة وفقا لهذا الفهم.

ونتيجة لمخاوف الحكومة فلقد اتجهت إلي تقريب العلماء، لوقف المد المتزايد لرجال الطرق، وكونت هيئة العلماء التي اتخذت مسجد أمدرمان الكبير مقرا لها في سنة 1902م، وكان على رأسها شيخ العلماء محمد البدوي (ت 1913م)، ولم توفق هذه الهيئة إلى تحقيق الغرض المرجو منها (مقاومة نفوذ الطرق) ، لبعدها عن الجماهير ولأن العلماء صفوة يتجه خطابهم إلى فئة محدودة، بينما

التصوف تيار عريض ينتظم العوام والخواص وينفذ برسالته إلى المجتمع ككل[132].

واهتمت الحكومة إهتماما بالغا بالطريقة الختمية حتى باتت تعرف عند بعضهم بأنها طريقة الحكومة[133]. إن العون الذي وجده المراغنة من الحكام الجدد والمساعدات الكبيرة التي قدمتها دولة الحكم الثنائي لقيادات الختمية ، جعلتها الطريقة الاولي من حيث النفوذ والسيادة وتعاظم الأتباع وتنامي ثروات زعامتها.

واخيرا عين السيد علي مشرفا عاما على الطرق في السودان[134].

إن السيد على الميرغني كان يعني للإنجليز أشياء كثيرة فهو شخصية يمكن الثقة بها، خاصة في تلك المرحلة المبكرة من عمر الحكم الثنائي في السودان، فالآثار الناجمة عن المهدية مازالت عالقة بأذهان الناس، وفكرة بعث المهدية وتجددها ظلت هاجسا يجعل المراغنة (وهم من أكثر الجماعات تضررا من الثورة المهدية) متمسكين بهذا الحكم الجديد. إن النفور من عودة السودان تحت قبضة المهدويين ولد لدى الكثيرين من الزعماء قبول هذا الوضع الجديد والتعاون معه.

وقد أظهر السيد على ميله للحكومة مع بداية وجودها، وبادلته الحكومة ودا بود، فمنحته العديد من الألقاب والأوسمة الإنجليزية النبيلة، بالإضافة إلي نيشان ال(CMG) الذي ناله سنة 1900م بواسطة كتشنر وقلد وساما آخر هو (KCMG) في سنة 1916م ثم حصل على نيشان الملكة سنة 1919م عندما ترأس وفد السودان لتهنئة الملك جورج الخامس بنتائج الحرب الكونية الأولي[135].

وتصف ترجمة رسمية للسيد على رأي البريطانيين فيه فتقول: (إنه تقليديا وبحكم تربيته رجل محافظ نحو شخصية جذابة وله تأثير عظيم على أتباعه، وإنه ظل مؤيدا للحكومة البريطانية في ولاء تام ومستمر لمدة أربعين سنة، رغم انه يتميز بصفة مراقب وليس باعتباره رجل فعل)[136].

لقد وجد الإنجليز واقعا معينا كان لابد لهم من توجيهه لصالحهم خدمة لأهدافهم الاستعمارية، هذا الواقع هوأن السيد على كان يتمتع بنفوذ قوي، وباحترام عظيم في أكثر مناطق السودان، وكانت أغلب قبائل الشمال والشرق والوسط تدين له بولاء كامل.

وكان من ضمن ما قاله السير(ونجت) والذي خضع السودان لحكمه في الفترة من 1899- 1916م في خطاب للسيد على سنة 1912م: (إن أسرة الميرغني تعيش في اماكن مختلفة من السودان وهي تخضع لسلطة الإدارة المحلية في المنطقة التي تعيش فيها ولكن ليس لدى أي شك أنهم جميعا كالحكومة تماما ينظرون إليكم كرئيس لهم)[137].

ومما يوضح طبيعة موقف الحكومة تجاه السيد على وقيادة المراغنة ما حدث في سنة 1916م عندما اقترح (سيسل) إيقاف الإعانات المالية التي كانت تمنحها الحكومة للسيد على وأخيه السيد أحمد، وقد عارض (ونجت) هذا الإقتراح بشدة وقرر أن السيدين أحمد وعلى كانا من القلائل الذين وقفوا مع الحكومة تماما وبإخلاص[138].

لقد كانت الحكومة دائما ما تلجأ إلي السيد على لأداء بعض المهام لها، وكان هو بدوره يقوم بأداء هذه الخدمات، من ذلك توسطه لدى السلطان على دينار آخر سلاطين دارفور، والذي كان يعتبر السيد على وكيله عند حكومة السودان ، ويبعث إليه ليحل مشكلاته لديها[139].

إن قيادة الختمية، لم تكن وحدها من بين رؤساء المجتمع السوداني الآخرى التي بذلت الود للحكومة الثنائية، لقد أيد الزعماء الدينيون جميعهم الحكومة، وكانت مواقفهم دائما معها نصرة وتأييدا، فلقد تكون الوفد الذي غادر السودان في 2 يوليو 1919م قاصدا انجلترا لتهنئة ملك بريطانيا بالنصر في الحرب الاولي من القوى المحافظة وزعماء القبائل الذين اعتمدت عليهم الإدارة البريطانية منذ 1898م .

فاشتمل أولا على زعماء الطرق الرئيسية الثلاثة (الميرغني، الهندي، المهدي) وقد أمل (ونجت) في أن عبدالرحمن المهدي قد يحول المهدية إلي طريقة دينية سلمية، واشتمل الوفد أيضا على ثلاثة ممثلين للعلماء من اصحاب الحظ الأكبر من الاحترام في اواسط المدن والمتعلمين لتمتعهم بثقافة دينية واسعة، وهم الشيخ أحمد الطيب هاشم مفتي السودان، والشيخ أبو القاسم أحمد هاشم رئيس لجنة العلماء والسيد إسماعيل الأزهري (الجد) القاضي الشرعي بدارفور[140]. وضم الوفد أربعة من زعماء القبائل[141]. هم ناظر الكبابيش وزعيم الهندندوة وناظر الشكرية وأحد زعماء الجعليين[142].

وعارض الزعماء الدينيون في السودان ثورة 1919م المصرية وبعثوا برسالة للحاكم العام شجبوا فيها الإضطرابات بمصر وهجوم المصريين على القوات البريطانية والمرافق العامة[143]. ووقف السيد عبد الرحمن المهدي موقفا مناوئا للحكومة التركية في الحرب الكونية الأولي، ورأي أنها دخلت الحرب لأسباب سياسية ودنيوية محضة ورفض أن يتعاطف مع سلطان المسلمين في تركيا، ومن ثم دعم موقف الإنجليز الحربي[144].

ولقد كان سفر الولاء أحد ألوان التأييد الظاهر لبريطانيا ، إذ وقع على هذا السفر جمهرة من علماء ومشايخ وزعماء البلاد بينوا فيه صدق ولائهم للحكومة وعظم الخدمات التي قدمتها السودان ، وكان ضمن ما جاء فيه: حكومتنا العادلة التي لم ير الإسلام والمسلمون منها إلا كل خير ديني ودنيوي جميعنا في استياء من قيام تركيا في هذه الحرب التي نتبرأ منها فإنه لا مصلحة فيها للمسلمين بوجه من الوجوه بلادنا هادئة رائعة تحت ظل العلم البريطاني الظاهر بالنصر على أعدائه قريبا إن شاء الله، دولة العدل والشرف على سائر رعاياها في جميع انحاء المعمورة وخصوصا في السودان بعد أن خلصته من المظالم والإستبداد وسهلت لنا طرق الحج وزيارة قبر

النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) [145]. لأجل هذا فإننا معها ولا علاقة لنا بتركيا[146].

ولقد كانت معظم تقارير المخابرات في الخرطوم تشير إلى أن السودانيين غير ميالين للخليفة العثماني كما أنهم لا زالوا يذكرون أيام الحكم التركي وليسوا راغبين في عودته[147].

ثم جاءت بعد ذلك جريدة (حضارة السودان) والتي اصدرها الزعماء الثلاثة (الميرغني، المهدي، الهندي) في سنة 1920م لتدعو إلى أن يبتعد السودان تماما عن الحركة المصرية كما أملت أن ترى الإدارة القائمة بريطانية تماما، ورأت الصحيفة أن البريطانيين هم الذين عملوا بإخلاص على تقدم البلاد ورخاء المواطنين أما المصريون فقد لامتهم على سوء إدارتهم قبل ظهور المهدية[148].

ولما جاءت ثورة 1924م السودانية، ساند السيد على والزعماء الباقون الحكومة ولم يقفوا مع الثوار[149].

لقد بدأت علاقة على الميرغني بالحكومة تسوء شيئا فشيئا منذ العشرينات نتيجة لحرمانه من بعض الاراضي التي اعتقد انها من حقه[150].

ثم أخذ يبتعد عن النفوذ البريطاني وفي سنة 1930م بدأ هذا التحول واضحا في سياسته تجاه الحكومة، ويبدو أن أقل سبب لتصرفه هذا هو تصاعد نجم منافسه السيد عبد الرحمن[151]. وبالنسبة للسيد عبدالرحمن ، فإننا نجد حاله قد تغير جدا بالنظر إلى ما قاله عنه (دنكان) في كتابه (طريق السودان إلى الإستقلال)، حيث يقول: (بينما كان السيد على الميرغني موضوع التكريم والإجلال في سنة 1900، كان السيد عبدالرحمن لا يجد إلا بضع دريهمات تقدمها له الحكومة بصفة دورية[152].

ولقد واتته الفرصة المناسبة عندما استدعاه الحاكم العام إلي سراياها وطلب منه الذهاب إلى منطقة الجزيرة حيث يوجد نفوذه الاصلي، وهذه الخطوة من الحكومة أعطت المهدي اعترافا به كقائد لطائفة من المجتمع، ومنذ ذلك اليوم بدأ المهدي يزداد قوة وثروة ومكانة[153].

وفي سنة 1918م بدأ في بناء بيت كبير له في الخرطوم وفي سنة 1926م منح درجة تشريفية رفيعة[154]. ونجحت زراعته للقطن وازدادت ثروة الرجل ومع ازدياد ثروة السيد عبد الرحمن ازداد التنافس بين الرجلين (السيد على والسيد عبد الرحمن) وأعلن السيد عبد الرحمن أنه لا

يدرك كيف تستمر الحكومة في اهتمامها بالسيد علي بينما يصرف السيد على بصره نحو مصر[155].

لقد تغيرت سياسة الحكومة لصالح السيد عبد الرحمن لأنها شعرت أنه من الممكن جدا أن يسهم لدى اتباعه في الحد من إنتشار فكرة الخلافة الإسلامية بينهم، ولقد وافق السيد عبد الرحمن على أداء هذه المهمة بكل سرور[156].

وعلى الرغم من آراء السيدين كانت متطابقة حول مستقبل السودان حتى العام 1919 إلا أن طموحات السيد عبد الرحمن الى الملك دفعت بالسيد على الميرغني للبحث عن نوع من الإتحاد مع مصر[157].

وفي اجتماع عقده المستر لوس المستشار السياسي للحاكم العام مع السيد عبد الرحمن وابنه الصديق في الخرطوم في الثاني عشر من يوليو سنة 1953م, (أعرب السيد عبد الرحمن عن اعتقاده الراسخ بأن على حكومة السودان أن تتخذ موقفا شديد الحزم ضد السيد على الذي يؤيد الوحدة مصر وإرغامه على توضيح موقفه فإذا ما أقر بتأييده للوحدة، وجب أن يخفي في تلال البحر الأحمر، ورأي أن يؤمر السيد على بقصر نشاطه على حقل الدين

وأن يبتعد عن السياسة، ولم يرد المستر (لوس) على هذا الإقتراح أو يعلق عليه)[158].

وكان السيد على من جانبه شديد القلق في تطلعات السيد عبدالرحمن نحو الملك في السودان، وقال في حديث له مع سير جيمس بويوتس (إنه على استعداد لتأييد أي حزب يقاوم تطلعات المهدي وانه يفضل أن يصبح هيلاسلاسي إمبراطور إثيوبيا ملكا على السودان على ملكية السيد عبد الرحمن المهدي وانه لن يسمح بقيام مهدية أخري في السودان[159].

إن السيد على لم يكن محبا للمصريين ولم يرد أن يعودوا إلى حكم السودان، والكلام الذي أورده (جبرائيل واربوج) في كتابه (السودان تحت حكم ونجت) على لسان السيد على يشير إلى حقيقة نظرة السيد على للمصريين حيث يقول:(لماذا تستغربون أيها الإنجليز ذلك التصرف العدائي من المصريين تجاهكم إنهم سلالات مستعبدة ولا يمكن أن يكونوا أفضل من ذلك)[160].

وقد أوضح السيد على أن تبنيه لدعوة الإتحاد مع مصر لا تعني أن يكون هناك جيش مشترك أو سياسة خارجية موحدة ولكن الحقيقة الأساسية في هذا الموضوع – وكما

يقول السيد على هي رغبة السودانيين في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم[161].

انتقل الصراع بين السيدين من الواقع السياسي إلى الإطار الديني فلقد روي الشيخ محمد الأمين القرشي والذي قضى جزءا من حياته مبشرا بالإسلام في جبال النوبة ونجح في ذلك نجاحا عظيما وأسلم على يديه مجموعات كبيرة من أبناء جبال النوبة تقدر بالآلاف – روي صورة من صور هذا الصراع، فلقد سمع السيد عبد الرحمن بنجاح القرشي الكبير فطلب منه أن يكون التبشير باسمه ويعطيه مقابل ذلك النفقات اللازمة لهذه العملية ، ولكن الشيخ القرشي لم يرضه هذا العرض، فما كان من السيد عبدالرحمن إلا أن أرسل جماعة من شباب الأنصار إلى مناطق الشيخ القرشي للتبشير وتسامع الختمية بهذا الأمر فهرعوا إلي هناك ، وقد ساء القرشي هذا الفعل ، وجاء لمقابلة السيدين ، فقابل السيد على وطلب منه إيقاف هذه المسألة، وقد عامله السيدعلى معاملة رفيعة وأظهر حكمة وكياسة تجاهه، بينما لم يصل معهد السيد عبدالرحمن لشيء، وقد أدت تلك الحادثة إلي تحول الشيخ القرشي إلى حزب الأزهري وأفراد عائلته إلى الطريقة الختمية بعد أن كانوا أنصارا[162].

لقد كان السيدان على خلاف شديد وعمد الإنجليز إلى تأجيج نيران هذا الخلاف وتعميقه، ولم تتح الظروف للسيدين أن يلتقيا لقاءا جادا إلا بعد مدة حينما اجتمعا لبحث مستقبل السودان، وكانت لقاءاتهما السابقة لا يتبادلان فيها أكثر من التحايا الرسمية[163].

وعرف اللقاء القصير الذي ضم السيدين في تاريخ السودان الحديث بلقاء السيدين وكان نقطة تحول هامة في مسيرة الاحداث السياسية في السودان، وكان اللقاء في نوفمبر سنة 1955م ، أعلنا بعدها بيانا مقتضبا أكدا فيه على تضامنهما لابتغاء مرضاة الله عز وجل أملا في أن يعود هذا التكاتف على الأمة السودانية بالخير والسعادة والحرية والسيادة الكاملة ، وأن تجتاز البلاد هذه المرحلة الدقيقة من تاريخها بطمأنينة وسلام[164].

وقد هاجم محمد أحمد محجوب هذا اللقاء هجوما حادا، واعتبره مثالا لجشع وتهافت الطائفية[165].

رغما عن أن السيد علم لم يكن يزج بنفسه في المعترك السياسي صراحة[166]. إلا أن اكثر الأمور كانت تخضع لتصرفه، وكانت كتلة الإتحاديين السياسية تحسب عليه ، ولقد كانت مواقفه السياسية في أغلب الأحيان مبهمة

بالنسبة للجميع، لقد كان السيد على حذرا مترددا ، يسترضي كل الاطراف ويعمل مع كل الجبهات، وهذه السياسة التوفيقية جعلت من حزبه في المستقبل وحتى بعد وفاته قبلة للعلمانيين ولابناء الختمية الذين خلعوا لباس الطريقة وارتدوا جبة السياسة وقميصها وكان هؤلاء زبدة المجتمع من المثقفين والمتعلمين فتحول حزب الختمية في وقت متأخر إلى حزب تغلب عليه التوجهات العلمانية ، بعد أن نادى في سنة 1956م بالعودة إلي الدستور الإسلامي، ورفع شعار الجمهورية الإسلامية[167].

لقد قلنا إن سياسة السيد على تجاه مكونات الحياة السياسية في السودان كان فيها الكثير من عدم الوضوح، وعزينا هذا الأمر إلى غربته في تحقيق غاياته السياسية لا عن طريق المواجهة والمغامرة، وإنما بطريقة المسايرة والمعايشة، والبقاء على صورة توفيقية مع كل الأطراف.

لقد كان السيد على يترك لأتباعه الحرية في اختيار مواقفهم السياسية وحدهم بحسب الظروف المحيطة بهم، وعمل مع المصريين وأعطاهم الفرصة لكي يعملوا في سبيل مصلحة السودان، ثم عمل أيضا مع الإنجليز بحيث لم يدفعهم لليأس منه من طائفة كما انه ساير أتباعه من العمد والنظار والمشايخ والتجار وكبار الزراع الذين

يضطرهم ظرفهم الخاص إلى موالاة الحكام ولو إلى حين[168].

وإن كانت هذه السياسة قد أدت إلى التشتت لدى أنصاره واضعفت بناء الطائفة وتماسكها على النحو الذي ذكرناه من قبل.

شخصية السيد علي:

ليس من الممكن أن نعطي احكاما جاهزة عن شخصية السيد على وطبيعته بقدر ما يمكننا بسط بعض الآراء التي كونها كثير من الذين أتيحت لهم فرص اللقاء بالرجل ومخالطته بعض الوقت.

لقد ان السيد على زعيما حقيقيا يحمل مقومات هذه الزعامات ويمتلك أبرز صفاتها، ويبدو أن حياته الخاصة كان يغلب عليها البساطة والبعد عن المظاهر، لهذا كان دائما بعيدا عن الأضواء لا يحبها، وداره المتواضعة في حلة خوجلي لاتشهد إلا القليل من الزوار بالنظر إلى منافسه السيد عبد الرحمن الذي يستقبل عشرات الوافدين فاتحا لهم بيته وصدره وجيبه.

قارن أحد الإنجليز هو السير قاوين بل الذي كان نائبا لمستر بيتون آخر سكرتير إداري بريطاني لحكومة

السودان في كتابه: (ظلال على الرمال) بينه وبين عبد الرحمن المهدي فقال: (ليس ثمة رجلان يختلفان في تكوينهما الشخصي والنفسي كالسيدين ، وليس ثمة اثنان لا يثقان في بعضهما بعضا مثلاهما وكل منهما يحوز على ولاء عدد متساو من المريدين المتعصبين، وكان السيد عبد الرحمن الذي حقق ارباحا طائلة من زراعة القطن لا يجد حرجا من التفاخر بهحا إن اقتضي الحال التحدث بنعمة الله وكان ذا شخصية جذابة طويلة القامة مهيبا ، وعاطفيا ، وفي المقابل كان السيد على الذي يكبره بست سنوات قصير القامة بالدرجة التي كانت تجعله ينتعل أحذية عالية الكعب وكان ذلك القصر يسبب له قدرا من الحرج ، وبالرغم من أنه كان فكها خفيف الظل ودودا إلا أنه كان يفقد المقدرة على الحركة التي كان يتميز بها السيد عبد الرحمن ، وبقدر ما كان السيد عبد الرحمن يتكلم بحماسة ويحرص على تاكيد آرائه الشخصية كان السيد علي يفضل الاستماع إلي الردود على الاسئلة التي يبادر هو بتوجيبها وكان كثيرا ما يلوذ بترديد المأثورات والتعاويذ الدينية[169].

لقد تمتع السيد على باحترام وقبول عدد كبير من المثقفين والمتعلمين، وكانوا يحرصون دائما على تأكيد

ولائهم وتقديرهم له إلى الدرجة التي تدفعهم إلى تقبيل يده إجلالا له وبحثا عن رضائه في المناسبات العامة التي تجمعهم به.

ولعل بساطة الرجل وسماحته وعدم تكلفه ومظاهر التشقف والزهد التي كانت تحيط حياته وتنتظمها، جعلته محل اهتمام وتقدير الكثيرين.

لقد سكن السيد على منزلا عاديا لا تحليه الشرفات العالية والزينات الباهرة، وليس فيه ترف أو تزيد[170].

يستقبل اضيافه دائما بابتسامة مشرقة يحب الدعابة والنادرة المستملحة ويضحك ملء شدقيه إذا استدعي المجال للضحك، يساير الناس ويجاملهم ويتبسط معهم فيفضي إليهم ويفضون إليه[171].

وكان يخاطب الناس تبعا لمستوياتهم الذهنية والاجتماعية[172]. واسع الإطلاع يتحدث عن التاريخ والسياسة والاقتصاد وأحوال المجتمعات وواقع المسلمين وظروفهم، زاره السيد ابوالحسن على الحسني الندوي في عام 1951م وأعجب بآرائه في الدعوة والإرشاد وأثر الختمية في المحافظة على الاتجاه الديني لدى الشباب[173].

وعلى الرغم من تواضع السيد على إلا أنه دائما يحتفظ بمسافة بينه وبين الآخرين وخاصة الأغراب عنه، ويبدو أن هذا السلوك لديه قد أوجدته طبيعة البيت الذي تربى فيه[174].

لقد ظل فيه اعتزاز عظيم، وكبرياء متناه يدفعانه مثلا إذا ما ضرب للحاكم العام موعدا للقائه، أن يأتي متأخرا قليلا بعض الشيء حتى يكون الحاكم العام في أنتظاره فيضطر حينئذ للقيام له لاستقباله، ولا يضطر هو لأن يقوم للحاكم العام[175].

وكان للسيد على العديد من الصلات الاجتماعية والدينية والسياسية التي ربطته بالعديد من الشخصيات داخل وخارج القطر، نجد مثلا السيد إدريس محمد عبدالعال احد احفاد السيد احمد بن أدريس واحد قادة الطريقة الأدريسية في السودان يقيم فترة ليست بالقليلة مع السيد على في منزله بالخرطوم[176].

كان بعض الناس يرى أن على الميرغني ممسكا يده شيئا ما، هذا بالتاكيد ليس بالدرجة التي زعمها هؤلاء، إذ أن أعباء القيادة الدينية في السودان تتطلب الكثير والكثير جدا من الإتفاق وبذل المال، إن عطاء السيد على كان يعم

جزءا ممن يعرف، وكانوا بدورهم يشكرونه على هباته الكريمة[177].

الشؤون الدينية في حياة السيد علي:

شكلت المسائل الدينية نصيب الأسد من اهتمامات الميرغني، وهذا لازم بطبيعة الحال إذ أنه يقف على رأس جماعة إسلامية كبري تستند في توجهاتها انشطتها على أساس الدين، وتراعي في انسيابها وسريانها بين الناس مباديء الإسلام وأصوله الرشيدة، لقد عنى بهذه الأمور، فقد كان بصرف شؤون الخلفاء ويهتم بممارستهم وينظر في صفة عبادتهم وطرائق التزامهم بأوراد وأذكار الطريقة، يوجههم إذا تطلب الأمر توجيها، ويخوض في هذه المسائل باعتباره شيخا ومرشدا روحيا عاما[178].

ابتدع السيد على نظاما تربويا مستحدثا لربط جماعته وتوثيق عرى المحبة والإخاء بينهم، فطور نظام (الحضرات) أو (المجتمعات الختمية) وجعل لها لوائح ونظما[179]. و(الحضرة). في اجتماع المريدين في محل واحد لأي شأن ديني كقراءة المولد النبوي الشريف وإقامة الأذكار وسماع الدروس الدينية[180].

(ويجب ان يكون لكل مجتمع (حضرة) مقدم ونجباء، وعددهم متروك للجنة المجتمع (الحضرة) وهم الذين يباشرون نظام المجتمع فيقابلون المريدين والزائرين وينظمون الصفوف ويرتبون الجلوس ويقومون بكل ما يستلزم نظام (الحضرة)[181].

كما اهتم السيد علي باماكن نشر العلم الديني وإليه يعود الفضل في تأسيس عدد من الخلوات والمعاهد الدينية في أنحاء متفرقة من السودان، فانشأ خلوات في بربر وشندي وأسس في منطقة الهواوير شمال أم درمان سبع خلوات، وكان تلاميذه هم الذين ينهضون بعبء التدريس فيها ، وكانت تجد رعاية مباشرة منه ، أضف إلى ذلك عددا من الخلوات في منطقة الشايقية نهض بها عدد من أتباعه في تلك البقاع ومن المعاهد الدينية التي أسسها أحد تلاميذه الشيخ أحمد صادق الكاروري معهد نوري العلمي في شمال السودان ، وقد انتقل هذا المعهد بعد فترة من تأسيسه إلى أرض السيد على الخاصة ومعهده في مسجده الخرطوم بحري وعدد من المعاهد في الأنقسنا وجنوب السودان[182].

لقد كان لدى السيد على اهتمام عظيم بالتوسع في نشر العلوم الإسلامية عبر المؤسسات الدينية التي انشأها ،

ويبدو لي ان مصدر هذا الاهتمام ، هو تقديره للمحافظة على البنية الفكرية والاجتماعية ، للجماعات البشرية التي قد تكون خاضعة للمؤثرات الدينية والسياسية لطائفته ، لقد اشرنا فيما سبق من قول إلى سعة معرفة السيد على الميرغني ودرجة إطلاعه، وهذا يلقي بظلاله على مجالسه الخاصة التي كانت دائما ما تجمع العلماء ومشايخ الدين، ومن أبرز الذين كانوا يجلسون إليه الشيخ إبراهيم أبو النور والشيخ يوسف أبو النور وهما من مشائخ المعهد العلمي، والشيخ عمر إسحق من القضاء، وكانت هذه المجالس تتم يوميا إلى جانب هذا فقد اشتهر السيد على بمكتبة ضخمة ضمت في محتواها أندر الكتب الدينية، كما عنيت عناية خاصة بالمخطوطات الأثرية[183].

كذلك علق السيد على أهمية عظيمة على إقامة المناسبات الدينية وإحيائها، إلا أن السياسة كانت تشكل وتلون معظم هذه المناسبات.

لقد أسس شباب الختمية ليكون تنظيما دينيا أو هكذا كان يبدو – وليبتعد بالشباب عن اللهو والعبث أو الأنخراط في دعوات هدامة مثل الشيوعية إلا أن السيد على دفع بهذا التنظيم في المعترك السياسي ليقوم بأدوار سياسية معروفة، وليظهر قوة الطريقة وتماسك بنائها، وليحمل

رسالة موجهة إلى المنافسين والمتربصين يخبرهم فيها بعدد وعدة الطريقة الختمية من الرجال والفتيان، ادخل السيد على الطبول والتوقيعات المنغمة المصاحبة للإنشاد لدى الشباب، خدمة للأهداف السياسية المرجوة من هذا التنظيم[184].

ولقد أقلق تنظيم شباب الختمية الحكومة الإنجليزية وقادها إلى توجيه استيضاح عن معني وهدف ومغزي تكوين شباب الختمية[185].

ومن المواقف الإسلامية الهامة لزعيم الختمية ، والتي يجب أن نذكرها له ، موقفه من قضية التبشير الإسلامي في مناطق ضعف الوجود الإسلامي في السودان ، لقد ارسل السيد علي رجالا من كبار أتباعه إلى الأنقسنا وجبال النوبة وجنوب السودان، ومن أبرز الذين عملوا تحت إرشاده وتوجيهه الشيخ على عبد الرحمن والذي تولى رئاسة القضاء في جنوب السودن مع بداية الحكم الذاتي وظل في فترة توليه لهذا المنصب يقدم خدمات جليلة للإسلام وللدعوة الإسلامية في جنوب السودان ، فنيت على يديه عشرات المساجد هناك ، وعدد من المعاهد العلمية الدينية ، وساعده المصريون في هذا الجهد وقد أرسلوا إلي هناك باعتبارهم موظفين وهم في واقع الأمر

من خريجي الأزهر الذين قصد بمجيئهم إلى الجنوب المشاركة في التبشير والتعليم الديني.

وانشئت معاهد في الأنقسنا وكان ابناء المنطقة المحليون من الذين دخلوا الإسلام حيثا يبعثون لمواصلة تعليمهم في خلوات شمال السودان أو في الأزهر الشريف، ونتيجة لهذا الجهد انتمي عدد كبير من مسلمي هذه المناطق إلى الطريقة الختمية التي صارت لها مساجد وزوايا تشهد على فضلها على أهل تلك البقاع[186].

ومهما كانت الدوافع من وراء هذا العمل، إلا أنه مما يعلي من منزلة الرجل ويحسن من وضعيته إزاء المجتمع.

ونخلص هنا إلى أن السيد على بحكم تكوينه وبيئته التي عاش فيها، وانحداره من أسرة عريقة دينيا، وقيادته لطائفة من أكبر الطوائف الإسلامية في السودان غمرت حياته الاجتماعية والعملية أجواء دينية كثيفة ومارس أثاره الروحية تجاه طائفته بقوة واقتدار، ونحن وإن كنا قد قدمنا وصفا لمجهوداته الدينية الواضحة، إلا أننا لا نستطيع أن نفرغ هذه المجهودات من رغباته حقيقية توافرت لدى السيد على تهدف إلى الوصول بطائفته إلى بناء محكم من المستويين السياسي والديني.

إن رغبة السيد على في الحصول على مكاسب معتبرة لطائفة الختمية، كانت دائما تشكل أعمال الرجل وتصبغها بصبغة خاصة.

مدرسة الاشراف:

اسست مدرسة الاشراف التي استوعبت الأبنين محمد عثمان وأحمد ضمن تلاميذها بهدف شخصي وخاص بالسيد على وهو ضمان تربية الأبنين وفقا لمنهج أخلاقي معين يستند إلى الإسلام ومثله الفاضلة وليس صحيحا أن هذه المدرسة كانت تحوي في داخلها طالبين اثنين فقط هما أحمد ومحمد عثمان الميرغني، لقد كانت مدرسة مكتملة بها قرابة الأربعين طالبا، قبلوا معا وفقا للنظام التعليمي المعروف والخاص بمصلحة المعارف، ولكن هذه المدرسة تعرضت للأغلاق عقب تخرج أبني السيد على منها، وقد تحولت قبل أقفالها من مدرسة وسطي، ثم إلى مدرسة ثانوية لتوافق تطور الأخوين الدراسي، ومما يؤيد حقيقة الهدف من هذه المدرسة، طبيعة الأساتذة المختارين، إذ كان معظمهم من المشهود لهم بالكفاءة وحسن الخلق ، ومن هؤلاء المدرسين الاستاذ مندور المهدي، والأستاذ عبد القادرإدريس (ابوهالة) وقد عرف عنهما ميولهما الإسلامية الواضحة[187].

إن طبيعة هذه المدرسة وظروف وجودها يمكن أن يعطي فكرة اساسية عن وجهة نظر السيد على بالنسبة للتعليم، وموقفه من التربية والنهوض بالتعليم في السودان، فإذا طرحنا الأمر في شكل تساؤلات، مثل: لماذا لم يترك السيد على هذه المدرسة تستمر في وقت كانت البلاد أكثر حاجة إلى كل جهد وطني مخلص يخدم التعليم بالنظر إلى واقع الاستعمار المعروف؟[188].

ولماذا لم يفكر السيد على في تعليم أبناء السودانيين إلا عند بلوغ ذراريه مرحلة الدراسة؟ لقد كان بإمكانه أن يفتح أكثر من مدرسة قبل هذا الوقت، وأن يسهم في دفع حركة التعليم بماله وسلطانه وجهده، في واقع الامر إن الإجابة على هذه التساؤلات لن تكون في صالح السيد على أبدا، لذا لقد بدأ للكثيرين أن السيد على لم تكن لديه أهداف تعليمية واضحة بالنسبة للتعليم المدني.

لقد أراد السيد على الميرغني أن يهييء أبنيه محمد عثمان واحمد لتحمل عبء القيادة في المستقبل لذلك اهتم بتعليمهما المبكر والأولي[189].

ودفع بابنه البكر إلى حلبة الصراع السياسي في أوائل شبابه، وهذا التصرف أغضب ابن أخيه محمد عثمان

الآخر وجعله ينسحب بعيدا، أما ابنه أحمد فلقد وكل إليه شؤونه الاقتصادية واعماله التجارية وبذلك يكون قد رسم لأبنه طريقا محددا.

وإضافة إلي اهتمام السيد على بتعليم ابنيه تعليما منتظما، كان يشير إلى كبار خلفائه بتوجيه ابنائهم إلي تلقي العلوم الحديثة[190].

لقد انصب اهتمام الطريقة الختمية منذ دخولها السودان على التعليم الديني التقليدي، وهو النوع الوحيد من المعارف الذي كان سائدا آنئذ، وقد أثر عن السيد الختم أنه أنشأ معهدا لتعليم النساء في سواكن، وأسس في نفس المدينة ثلاثة مساجد لنشر العلوم الإسلامية هي مساجد الأسرار والأنوار والابرار، وظل الإتجاه عند الختمية نحوالتعليم يمضي في نفس هذا الطريق دون إتاحة الفرصة للمتغيرات الجديدة أن تترك بصماتها على مساراتهم في توجيه التعليم، وأمتد هذا الأمر حتى زمننا الحاضر هذا.

هوامش الفصل الثالث:

(1) أحمد محمد شاموق ، من هوامش الثورة والسياسة (بيروت دار العربية للطباعة) ص 9 طبع بمطابع معتوق أخوان (أغفلت تاريخ الطبع).

(2) محمد ابراهيم أبو سليم ، السيد على الميرغني وقيادة الختمية ، في بحوث في تاريخ السودان ، ط أولي (بيروت: دار الجيل 1992م) ص 163 إلى 165

(3) نفسه ، صفحات 163- 164.

(4) محمد أحمد حامد محمد خير ، الختمية العقيدة والمنهج والتاريخ ، مرجع سابق ، ص 55

(5) أبو سليم ، مصدر سابق ، ص 165.

(6) نفسه ، نفس الصفحة.

(7) أحمد محمد أحمد جلي ، مرجع سابق ، ص 26 ، 27

(8) أبو سليم ، مرجع سابق ، ص 165

(9) أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) مرجع سابق ص 26 ، 27

(10) أبو سليم ، مرجع سابق ، ص 165

(11) محمد أحمد حامد محمد خير ، الختمية ، مرجع سابق ، ص 58

(12) خالد حسين الكد ، الأفندية ومفهوم القومية في الثلاثين سنة التي أعقبت الفتح في السودان 1898 – 1928- مجلة الدراسات السودانية يصدرها معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم ، المجلد الثاني عشر ، العدد الاول ابريل 1992م ، ص 66

(13) محمد فؤاد شكري (دكتور) مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر 1820م 1899م ط ثانية (دار المعارف بمصر 1958) ، ص 568

(14) مكي شبيكة (دكتور) السودان عبر القرون ، ص 481

(15) جعفر محمد على بخيت (دكتور) الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان 1919 – 1939 ، نقله إلى العربية هنري رياض ، ط أولي دار الثقافة بيروت ومكتبة خليفة عطية الخرطوم 1972م ، ص 31-32.

(16) محمد ابراهيم أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ص 166

(17) احمد محمد احمد جلي (دكتور) الختمية ، مرجع سابق ص 29

(18) عثمان سيد أحمد اسماعيل (دكتور) الختمية والأنصار (الخرطوم: الشركة السودانية للتوزيع) ص 28 طبع بمطابع التمدن (أغفلت تاريخ الطبع).

(19) عبد الرحمن المهدي ، جهاد في سبيل الاستقلال ، أشرف على إعداده الصادق المهدي ، طبع بمطابع المطبعة الحكومية ، ص 23 (بدون تاريخ)

(20) بشير محمد سعيد ، خبايا واسرار في السياسة السودانية 52- 1956 ط أولي (الخرطوم دار جامعة الخرطوم للنشر 1993) ص 52 — 53 طبع بمطبعة جامعة الخرطوم.

(21) عبد الرحمن المهدي ، مرجع سابق ص 26.

(22) محمد ابراهيم أبو سليم ، بحوث ، مرجع سابق ، ص 181 - 182

(23) نفسه ، ص 182

(24) نفسه ، ص 183

(25) نفسه ، نفس الصفحة.

(26) مدثر علي البوشي ، البعث الوطني وروافد الزحف (الخرطوم: دار الفكر الحديث) (أغفلت تاريخ الطبع) صفحات 43- 44

(27) أحمد سليمان ، ومشيناها خطي — صفحات من ذكريات شيوعي اهتدي — الجزء الثاني ، الطبعة الأولي (الخرطوم: دار الفكر 1986م) ص 107

(28) جعفر محمد علي بخيت (دكتور) مرجع سابق ، ص 288

(29) أحمد سليمان ، مرجع سابق ، ص 107

(30) نفسه ، ص 109

(31) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، الطبعة الرابعة (بيروت: دار مكتبة الحياة 1968) صفحات 268- 269- 270

(32) نفسه ، ص 271.

(33) بابكر بدري ، حياتي ، ج 3 ، ص 66

(34) علي عبد الرحمن الأمين ، الديمقراطية والإشتراكية في السودان (بيروت) منشورات المكتبة المصرية 1970) ص 81 ، 82 ، 83.

(35) بشير محمد سعيد ، مرجع سابق ص 51 ، 52

(36)J.S.R. Duncan: The Sudan's path to independence P.11

(37) بشير محمد سعيد ، مرجع سابق ، ص 52

(38) أحمد عبد الرحيم نصر (دكتور) الإدارة البريطانية والتبشير المسيحي في السودان ، دراسة أولية ، وزارة التربية والتوجيه (الشؤون الدينية والأوقاف 1979) ص 99 إلى 102

(39) د. حسن على الساعوري (واخرون) عمال السودان والسياسة (القاهرة: الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل 1986م) ص 76 ، مطبعة حسان.

(40) محمد ابراهيم أبو سليم ، لجنة تأبين البروفيسور مكي شبيكة ، 905 — 1980م

(41) أحمد سليمان ، مرجع سابق ص 196

(42) نفسه ، ص 214

(43) محمد ابراهيم الطاهر ، تاريخ الانتخابات البرلمانية في السودان ، اصدار بنك المعلومات (بدون تاريخ) ص21

(44) أحمد سليمان ، مرجع سابق ، ص 223.

(45) نفسه ، ص 226.

(46) محمد أحمد كرار ، الاحزاب السودانية والتجربة الديمقراطية (الخرطوم: دار الفكر للطباعة والنشر 1985م) ص 10

(47) نفسه ، ص 10

(48) أحمد سليمان ، مرجع سابق ص 228

(49) محمد أحمد محجوب ، الديمقراطية في الميزان ، ط ثالثة (الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر 1989م) ص190

(50) بشير محمد سعيد ، مرجع سابق ص 150

(51) نفسه ، ص 150

(52) الرباطابي ، أحمد بن إدريس ، الإبانة النورية ، ط دار الجيل ، بيروت ، مرجع سابق صفحات 134 ، 135

(53) نفسه ، ص 136

(54) هناك رأي طريف حول تسميته بأبي جلابية هو أنه لم يكن يلبس غير الجلباب أو نوع خاص من الثياب ربما لم يعرفها السودانيين كثيراً في ذلك الوقت المُبكر من تاريخهم أو لم يكن لبسها شائعاً أو منتشراً على نحو واسع ، وغالب لباس السودانيين كان الثوب والجلباب القصير

(العراقي) أو لأن جلبابه كان يصدر نورا في الظلام على ما يروي أتباعه ومحبيه أيضا من مبالغات (مقابلة مع الخليفة محمد نور البدوي)

(55) أبو سليم ، تحقيق الإبانة ، مرجع سابق ، ص 247

(56) نفسه ، نفس الصفحة.

(57)Ali Salih Karrar, The Sufi brother P.P. 89-90

(58) كان السيد جعفر بن السيد محمد عثمان (الختم) قد زار السودان في وقت سابق في 1275هـ وقضى نحوا من عايمن حيث التقي باخيه السيد محمد الحسن الميرغني ، ثم غفل راجعا إلى الحجاز ، وتوفي بمكة (راجع الإبانة: النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية ، ص 127)

(59)Ali Salih Karrar K The Sufi brother P.P. 89-90

(60) الرباطابي ، أحمد بن إدريس ، الإبانة النورية ، ط دار الجيل ، مرجع سابق ، صفحات 109- 110

(61) نفسه ، صفحات 112 - 113

(62) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص 163

(63) نفسه ، صفحات 163- 164.

(64) المرجع السابق نفسه ، ص 163 ، أيضا انظر (الفصل الثالث من هذه الدراسة كلامنا عن الختمية والحكم الثنائي في المبحث الأول من الفصل).

(65) نفسه ، ص 160

(66) السيد احمد بن السيد محمد عثمان الميرغني ، مقابلة عن: (العلاقة بين أسرة السيد أحمد والسيد علي الميرغني ومواقف أسرة السيد محمد عثمان الدينية والسياسية في الطريقة الختمية) بمنزله بشمبات ، بمدينة الخرطوم بحري ، جوار كلية الزراعة جامعة الخرطوم يوم 1996/10/19م

(67) السيد احمد بن محمد عثمان الميرغني (مقابلة).

(68) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ص 164

(69) السيد احمد بن محمد عثمان (مقابلة).

(70) السيد احمد الميرغني (مقابلة)

(71) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص 174

(72) السيد احمد بن محمد عثمان الميرغني (مقابلة)

(73) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، صفحات 172- 173

(74) احمد سليمان ، مرجع سابق ، صفحات 186- 187

(75) حسن نجيلة ، ملامح من المجتمع السوداني ، ص 187

(76) أبوالحسن على الحسني الندوي ، مذكرات سائح في الشرق العربي ، ط أولي (مكتبة وهبة 1954م) ص 199 ، الطابعون مطبعة الرسالة.

(77) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق صفحات 174 - 175

(78) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، المصدر السابق ص 178

(79) السيد احمد بن محمد عثمان الميرغني (مقابلة).

(80) أبو سليم ، مرجع سابق ، ص 176

(81) نعوم شقير ، مرجع سابق ، ص 1207

(82) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، صفحات 176- 177

(83) السيد احمد محمد عثمان الميرغني (مقابلة)

(84)Gabriel Warburg: The Sudan under Wingate, Frank Cass and God Ltd. (1991) p.99

(85) السيد احمد بن محمد عثمان الميرغني (مقابلة)

(86) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص 177

(87) السيد احمد بن محمد عثمان الميرغني (مقابلة)

(88) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ص 178

(89) السيد أحمد محمد عثمان الميرغني (مقابلة).

(90) نفسه.

(91) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص 162

(92) طارق أحمد عثمان محمد ، طائفة الختمية ودورها الديني والسياسي في السودان في الفترة من 1881-1995م ، رسالة ماجستير مركز البحوث والدراسات الإفريقية جامعة إفريقيا العالمية ، 1997 ، ص 114

(93) نعوم شقير جغرافية وتاريخ السودان الجزء 4 ، مرجع سابق ص 905

(94) المرجع نفسه ، ص 913.

(95) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص160

(96) طارق أحمد عثمان محمد ، طائفة الختمية ، مرجع سابق ، ص 15

(97)J.S.R Duncan, The Sudan's Path to Independence (London: 1956) Opcit, P. 141

(98) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص 161

(99) المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

(100) الطريقة الختمية نشرة تاريخية عن حياة الحسيب النسيب السيد على الميرغني ، الذكرى التاسعة والعشرين ابريل 1997

(101) احمد ابن إدريس محمد النصيح ، الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية ، (الخرطوم المكتبة الإسلامية) (د. ت) ص 59

(102) المرجع نفسه ، ص 66

(103) المرجع نفسه صفحات 54- 55

(104) المرجع نفسه صفحات 128- 129

(105) أبو سليم مقدمة الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية ، لمؤلفه خليفة الخلفاء أحمد بن أحمد بن إدريس الرباطابي ، مرجع سابق ، ص 22

(106) الطريقة الختمية نشرة تاريخية عن السيد على

(107) احمد ابن ادريس النصيح ، الإبانة ، مرجع سابق ، ص 119

(108) عون الشريف قاسم (بروفيسور) الإسلام والعربية في السودان ، دراسات في الحضارة واللغة ، ط أولي (بيروت ، دار الجيل ، الخرطوم ، دار المأمون 1409هـ - 1989م) ص 212

(109) النصيح ، الإبانة ، ص 119

(110) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص 161

(111) المرجع نفسه نفس الصفحة.

(112) محمد أحمد حامد محمد خير لختمية العقيدة والتاريخ والمنهج ، مرجع سابق ، ص55

(113) ابوسليم بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص 165

(114) J.S.R. Duncan Opcit.

(115) النصيح ، الإبانة ، مرجع سابق ، ص 119

(116) الطريقة الختمية نشرة تاريخية عن السيد على ، مرجع سابق.

(117) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص 165

(118) النصيح ، الابانة ، مرجع سابق ، صفحات 119- 120

(119) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص 165

(120) النصيح ، الإبانة ، مرجع سابق ، ص 120

(121) أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص 165

(122) أحمد محمد أحمد جلي ، طائفة الختمة اصولها التاريخية وأهم تعاليمها ، مرجع سابق ، ص 26

(123) محمد عمر بشير ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900 – 1969م (الخرطوم: الدار السودانية) (د.ت) ص 28

(124) محمد حامد محمد خير ، الختمية العقيدة ، مرجع سابق ، ص 57

(125) محمد فؤاد شكري (دكتور) مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر 1820- 1899م ، مرجع سابق ص 568

(126) مكي شبيكة (بروفيسور) السودان عبر القرون ، مرجع سابق ، ص 481.

(127) خالد حسين الكد ، الأفندية ومفهوم القومية في الثلاثين سنة التي اعقبت الفتح في السودان 1898 – 1928 مجلة الدراسات السودانية يصدرها معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم ، المجلد الثاني عشر ، العدد الأول ابريل 1992 ، ص 66

(128) علي صالح كرار ، الطريقة الإدريسية في السودان ، مرجع سابق ، ص96

(129) يونان لبيب رزق (دكتور) السودان في عهد الحكم الثنائي الأول 1899 -1924 (جامعة الدول العربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – معهد البحوث والدراسات العربية (1976) ص 129

(130) المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

(131) أبو سليم ، مسودة (الطائفية في السودان ص 40 نقلا عن على صالح كرار (الطريقة الإدريسية في السودان)

(132) علي صالح كرار ، الطريقة الإدريسية ، مرجع سابق ، ص 97

(133) أبو سليم ، الطائفية في السودان ، ص 48 نقلا عن على صالح كرار (الطريقة الإدريسية) ، مرجع سابق.

(134)Opcit. p 142-14 J.S.R. Duncan,

(135) أحمد جلي (دكتور) طائفة الختمية ، مرجع سابق ، ص 28

(136)Gabril Warbury. The Sudan under Wigate Administration in the Anglo- Egyptian Sudan 1899 1916 — London (1971) P.99

(137)Ibid.47

(138) يونان ليبب رزق (دكتور) السودان في عهد الحكم الثنائي مرجع سابق ص 378 أنظر أيضا:

A. B. Theobold, Ali Dinar last Sultanate of Darfur, London (1965) PP. 140-142 .

(139) جعفر محمد على بخيت (دكتور) الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان 1919-1939 ترجمة هنري رياض ط أولي (1972) ص 38

(140) المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

(141) المرجع نفسه ، ص29.

(142) المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

(143) عبد الرحمن المهدي ، جهاد في سبيل الاستقلال أشرف على إعداده الصادق المهدي ، مرجع سابق ، صفحات 21 - 22

(144) مكي شبيكة ، السودان عبر القرون مرجع سابق ص 505

(145) يونان لبيب رزق ، مرجع سابق ص 360

(146) المرجع نفسه ، ص 355- 356

(147) المرجع نفسه ، ص 433

(148) مكي شبيكة ، مرجع سابق ص 44.

(149) يونان لبيب رزق ، السودان في عهد ، مرجع سابق ص 455

(150)Duncan, Opcit P. 143

(151) Ibid

(152)Ibid p. 155

(153)Ibid

(154)Ibid

(155)P.M. Holt. A. Modern History of the Sudan from the Funj Sultanate to the Present-Day London 1963, P. 147

(156) بشير محمد سعيد ، خبايا واسرار في السياسة السودانية ، ط أولي ، 1993 ، الخرطوم ، دار البشير ، ص 54

(157) المرجع نفسه ، صفحات 75 - 76

(158) المرجع نفسه صفحات 51- 52

(159)Gabraiel Warburg.Op.cit p.19

(160) بشير محمد سعيد خبايا وأسرار ، مرجع سابق ص 112

(161) أحمد عبد الرحيم نصر (دكتور) الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي - دراسة أولية — وزارة التربية والتوجيه الشؤون الدينية والأوقاف 1979م ، صفحات 99- 103

(162) الايام العدد 5278 السنة 16 بتاريخ الاثنين 1968/2/26م ، ص 4

(163) بشير محمد سعيد ، خبايا وأسرار ، مرجع سابق ، ص 150

(164) محمد أحمد محجوب ، الديمقراطية في الميزان ، مرجع سابق ، ص 190

(165)P.M. Holt Opcit P. 148

(166) انظر بيان السيد على الميرغني بتاريخ 20 نوفمبر 1956 ، وكان ضمن ماجاء في هذا البيان (على أولي الأمر وجميع المصلحين أن يتكاتفوا لاتخاذ الخطوات الإيجابية لقيام الجمهورية الإسلامية التي تستند إلى التشريع الإسلامي وتقوم على تطبيق الشريعة السمحاء في أحكامها وأخلاقها وسلوكها وأدائها).

(167) يحيي محمد عبد القادر ، شخصيات من السودان — أسرار وراء الرجال — ط ثانية (الخرطوم المطبوعات العربية للتأليف والترجمة 1987) ص 39

(168) أحمد سليمان ، ومشيناها خطى صفحات من ذكريات شيوعي اهتدي ، مرجع سابق ، صفحات 186- 187

(169) حسن نجيلة ملامح من المجتمع السوداني (د. ت) ص 187

(170) يحى محمد عبد القادر ، مرجع سابق ص 42

(171) المرجع نفسه ، ص 38

(172) يحيي محمد عبد القادر ، على هامش الأحداث في السودان ، (الخرطوم: الدار السودانية للكتب) (د. ت) ص9

(173) ابوالحسن على الحسني الندوي ، مذكرات سائح في الشرق العربي ، مرجع سابق ، ص 198 - 199

(174) يحيي محمد عبد القادر ، المرجع السابق ص 10

(175) المرجع نفس ك ص 10 - 11

(176) علي صالح كرار ، الطريقة الإدريسية ، مرجع سابق ، ص 104

(177) من السيد عوض الله حسين حمزة للسيد على الميرغني يشكره على مبلغ بعثه له طاب بتاريخ 1940/8/6 بحوزة الشيخ عبد العزيز محمد الحسن إمام مسجد السيد على الميرغني بالخرطوم بحري

(178) خطاب من السيد على الميرغني إلى الخليقة محمد الحاج سليمان متعلق بتوجيهات خاصة بإحدي الحضرات بتاريخ 21 محرم ك 1338 هـ دار الوثائق القومية متنوعات 1999/18/1

(179) انظر: الطريقة الختمية الميرغنية – لائحة لجان الختمية 1368هـ - 1949 الطبعة الثالثة ربيع الأول 1403هـ يناير 1983م

(180) نفسه.

(181) نفسه.

(182) انظر لائحة نظام مجتمعات الختمية الميرغني 1374هـ - 1954م) (الإسكندرية مطابع رمسيس) (د.ت) ص2

(183) المرجع نفسه ، ص 3

(184) رواية الاستاذ سيف اليزل محمد احمد عضو هيئة الختمية للدعوة والإرشاد واحد قيادات شباب الختمية

(185) نفس المصدر.

(186) طارق احمد عثمان محمد ، الطريقة الختمية في السودان ، مرجع سابق ، ص 96

(187) رواية السيد احمد عبد الله عثمان موظف بالبنك الإسلامي السوداني

(188) رواية السيد محمد عثمان حسين عمل في جنوب السودان في الفترة من 1963م إلى 1979 (وهو من مواليد 1940) وعمله كان في المحاكم الشرعية

(189) رواية الأستاذ سيف اليزل محمد أحمد

(190) انظر: متنوعات ، 1/86 – 1401 هجرية ، دار الوثائق المركزية ، السودان.

خاتمة البحث:

هذا تلخيص لأهم النتائج والحقائق التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة:

1- ينتمي السيد محمد عثمان الميرغني (الختم) المولود بقرية السلامة قرب الطائف في 1208هـ - 93-1794م والمتوفي في 1268هـ - 1852م إلى أسرة دينية عريقة اشتهرت بالصلاح والتقوى وسعة العلم، وعرف عنها اتصالها ببيت النبوة، عبر سلسلة نسب جاءت في أدبيات المراغنة، ونوه إلى صحتها عدد من أكابر العلماء في ذلك العهد، ولقد تتلمذ محمد عثمان (الختم) على يد عدد من أقربائه وعلى آخرين ايضا أخذ عنهم علمي الظاهر والباطن.

2- اشتهر السيد عبد الله الميرغني (المحجوب) المتوفي في سنة 1752م وهو الجد المباشر لمحمد عثمان الختم، بالعم والصلاح وكثرة المؤلفات.

3- إتصل السيد محمد عثمان الميرغني بالسيد احمد بن إدريس (ت 1837م) والذي أمره بالتوجه إلى السودان لنشر تعاليمه وبث أفكاره، ولقد زار الميرغني السودان ثلاث مرات لقى خلالها مكاسب كبيرة من جهة الأتباع

والانصار وحقق نفوذا واسعا في شمال وشرق السودان حيث اسس قريته (السنية) في التاكة والتي أضحت مركزا هاما للدعوة الختمية.

4- واجه الميرغني بعض المضايقات خلال مسيرته الدعوية في السودان، فلقد تعرض لغضب الحكام والزعماء السياسيين في مناطق شندي وكردفان وسنار، وقد أسهمت هذه المضايقات في الحد من نفوذه شيئا مافي بعض اجزاء تلك البقاع، أيضا لقى الميرغني مواجهة ومخالفة من قبل أنصار الطريقة المجذوبية.

5- إن من أبرز الاسباب التي قادت محمد عثمان الميرغني إلى نجاحه الباهر في إقليم السودان هو ما متع به من إمكانات ومواهب ومزايا، فلقد كان الميرغني عالما شريفا من اسرة دينية معروفة مما أهل لكسب ثقة العوام والخواص من السودانيين.

6- عين السيد محمد عثمان ابنه السيد محمد الحسن – وهو من أم سودانية- ممثلا عنه ونائبا له في السودان وحضه على التعاون مع الحكام والإتصال بهم، وألا يكون حاله معهم كحاله هو، فقد كان الختم متشبها بابن إدريس لا يقرب الحكام ولا يقف على بابهم.

7- استطاع السيد الحسن أن يكمل المشوار الذي بدأه أبوه، فثبت من أركان الطريقة ووطد نفوذها، وجمع الناس من حولها ولقد أتيح له ذلك بسبب مواهبه الفذة في إنشاء علاقات واسعة على امتداد السودان، وبفضل زيجاته من اسر سودانية معروفة أيضا كان الحسن متسامحا جدا مع أهل الطرق الشيء الذي أورثه قبولا وحبا من كافة الطوائف.

8- خلف السيد الحسن ابنه السيد محمد عثمان الاقرب والذي تعاون مع التركية السابقة للقضاء على الثورة المهدية، ولقد كان موقف الختمية من المهدية موقف الخصم والعدو، وأصل هذا العداء يعود إلى ثوابت فكرية واصول عقدية تقرر ان دعوة المهدية دعوة باطلة ولا تستند إلى الشريعة الخالصة في هديها.

9- اهتمت الحكومات المتعاقبة بالختمية، ومرد هذا الإهتمام يرجع إلى السطوة والنفوذ اللذين وجدا عند المراغنة تجاه قطاعات من الجماهير السودانية.

10- تعاون السيد على الميرغني خليفة السيد محمد عثمان الثاني تعاونا مثمرا مع سلطة الحكم الثنائي، ولقى جراء ذلك الدعم والتأييد من قبل الحكومة واستمر هذا

المحال إلى حوالي 1940م حيث تغيرت بعدها سياسة السيد على تجاه الإنجليز وأظهر ميلا واضحا للتيار الوطني المنادي بربط مصير السودان التحرري بمصر.

11- اعتبر السيد على رأسا روحيا وراعيا للأحزاب الإتحادية التي اشتركت في تكوين المنظومة السياسية قبل الإستقلال.

12- نشأ نزاع داخل بيت المراغنة بين عائلتي السيد على والسيد أحمد، ومرد النزاع هو الخلاف حول النفوذ والممتلكات.

13- ظل السيد أحمد الرأس القائد للختمية في منطقة شرق السودان بينما كان السيد علي يسيطر على مناطق وجود الختمية في شمال ووسط وغرب السودان، ولقد برزت من بيت المراغنة وفي كل الاوقات وحتى هذا العصر سيدات مارسن أنشطة روحية ودينية في حق الطائفة الختمية.

14- تدور معتقدات المراغنة وتعاليمهم في فلك المباديء العامة التي يدين بها أغلب المتصوفة في العالم الإسلامي، فيكثر عندهم الاهتمام بالرياضات من خلوة وجوع وإقبال على العبادة والذكر وتتدرج في سلم الذوق

والتمام الإنساني، وماسوي ذلك مما يتوفر لدى أهل التصوف من نظم وسبل.

15- للختمية العديد من الأدبيات التي قام بتأليفها مشائخهم من بيت المراغنة، وقد ألف السيد محمد عثمان (الختم) العديد من المصنفات التي تشرح أصول الطريقة وتوضح طرائق التعبد والذكر عند الختمية.

16- ليست للختمية- في أصولها القديمة – أي صلة فكرية بالتشيع ولم يظهر الإتجاه الذي ربط بين عقائد الختمية ومبادئها العامة وبين معتنقات الشيعة لا مؤخرا وفي وقت حديث.

ملحق رقم (1)

إجازة السيد محمد عثمان الختم

بسم الله الرحمن الرحيم به الإعانة بدءا وختما وصلى الله على سيدنا محمد ذاتا ووصفا واسما، الحمد لله الذي جعل سندنا متصلا بمصطفاه، فعلو كل اسناد بحسب ما يكون منتهاه، والشكر لمن جعل الطرق إلى حضرته لا تعد والصلاة والسلام على من هو لنا في أمورنا السيد وعلى آله وصحبه ومن في الطريق جد.

وبعد ، فيقول المكني بهذه الكنية من المصطفي أبومحمد وعبد الله وزينب ومحمد جعفر ،ومحمد عثمان الميرغني المكي الختم أورده الله مورد الصفا هذه إجازة كبرى عامة في طريقتي الباطنة والظاهرة الفخري، فأقول وبالله ورسوله لما كان الإسناد للدين من أعظم اركانه وإتصال السيد بالمصطفي عليه السلام مما يشيد لبنيانه أحب هذا العبد أن يذكر صورة إجازة تكون لطريقة حيازة وهذا سند طريق القوم وبعض علم الظاهر، وأما الكثير منه فتركته وسأذكر في موضع آخر ناير، فاقول أن اعلا اسانيدنا هو سند شيخ ارشادي سيدي وعمدتي وملاذي العارف بالله قطب حيطة الولاية غوث دائرة الخصوصية

الحال منها درجة الغاية امام تربيتي أبا محمد الفتي النفيس مولانا الشريف المفدي احمد بن إدريس أدام الله علي ولي جميع أهلي وعليه عمله كثير التهليل وقد لقنته واعطاني عدده بفضل الكبير، وكذا اخذت عنه الاسم المفرد اسم الذات وكذا اسند عنه اسم الهوية بإثبات وايضا الحي القيوم واجازتي اجازة عامة بلسان في كل الأذكار والعلوم وطلب مني بعض الأخوان بعد بعض الأسفار شيئا من أسانيده عالية المقدار فارسلت إليه بمكتوب فأرسل إلى بمرسوم وذكر فيه كم سند محبوب وصورة ما رسمه بعد كلام جميل قد أخذنا الطريق عن غوث وقت وامام عصره الشيخ الجليل سيدنا ومولانا عبدالوهاب التازي ثم الفاسي دارا ومنشأ وهو أخذ عن غوث وقته وإمام عصره الشريف الجليل الحسني سيدنا ومولانا عبدالعزيز الملقب بالدباغ الفاسي دارا ومنشأ وهو أخذ عن شيخ الشيوخ الفرد الجامع سيدنا ابي العباس أحمد الخضر عليه السلام وهو الذي لقنه الذكر مشافهة بلا واسطة فخدم الذكر الذي لقنه له خمس سنين ففتح الله عليه والحقه بمن عنده والخضر تولاه الله بلا واسطة مشيخة بل عناية من الله به آتية رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما كما صرح القرآن، وقال أيضا رضي الله عنه ووجه آخر علا من هذا

فأنا أخذنا الطريق عن شيخنا عبدالوهاب المذكور وهو أخذ عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فأني سمعت رضى الله عنه يقول: سمعت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول: مارأيت أنفع منه لا إله الله محمد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهذا هو عين الأخذ عن الرسول بعينه والسيد إذا كان عاليا بقلة الوسائط كان اكمل وافضل عند اصحاب الإسناد وهناك طرف آخر كانت في الإبتدأ مستطيلة بكثرة الرجال فطال السند فيها فتركناها لوجود ماهو أقرب منها واخذنا الطريق ايضا عن شيخنا المحب الشيخ المحيدري وهو اخذ عن قطب الجن الشيخ محمد القفوي وهو أخذ عن سيدنا على بن ابي طالب رضي الله عنه وهو عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وبهذا السند عينه اخذنا الحزب السيفي، واخذنا الطريق أيضا عن شيخنا سيدي ابن القاسم الملقب بالوزير وسنده يتصل بالشاذلي بوسايط كثيرة، وسند الشاذلي يتصل بسيدنا الحسن بن على رضي الله عنه تركت ذكر سنده لطوله، انتهي ما وصل إلي بخط الأستاذ شيخ تربيتنا العارف الملاذ، ومن طرقه التي اخذها عن شيخ تربيته القطب سيدي عبد الوهاب الطريقة النقشبندية كما اجازني بذلك سر السر العجاب واجازني في جميع الأذكار والطرق

والتلاوة والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام التي معناها يرق واقول الحقير لنا ايضا في السابق أسانيد مستطيلة منها السند المنظوم الذي كنا نجيز به سابقا وغيره اسانيد جليلة تركناها للعلة التي ذكرها ولي نعمتنا الملاذ واقول قد خلفت واجزت عني الصفي الخليل واثق العهد الوفي صديقي وحميمي الصادق ولي محبتي الموافق الخليفة محمد ابن الفقيه محمود وأجزت لي طريقتي وما فيه له اهليته من علوم الظاهر البهية كما أجازني من ذكرت وغيرهم في الطريقتين، ثبتني الله وأباه وأياكم وجميع اولادي وأصحابي على النهجين وأوصيه بتقوى الله في كل الأنفاس وملازمة ذكره المطهر من الأناس وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه بقدر عظمة ذاته.

ملحق رقم (2)

اجازة السيد على الميرغني

بسم الله الرحمين الرحيم به الأعانة بدءا وختما وصلى الله على سيدنا محمد ذاتا ووصفا واسما، الحمد لله الحي القيوم العليم العظيم وحده والصلاة والسلام على الفاتح الختم الذي لا نبي ولا رسول بعده.

وبعد فيقول رق مولاه الغني على ميرغني الراجي من مواهب مولاه فيضه الأعذب الهني إني قد أجزت وخلفت الأخ الاصدق والمحب الأوفق الخليفة حامد احمد الرفاع وجعلته خليفة في طريقة الاستاذ الأكبر صاحب الامر السني ختم أهل العرفان الميرغني المكي سيدي السيد محمد عثمان أمدني الله وأياه والمسلمين اجمعين بهواطل امداداته وبركاته أمين، وقد أجزته في جميع أذكار الطريقة الختمية الطاهرة النورانية وفي كل ما له فيه أهلية من تلاوة قرآن وتدريسه وتعلم علم وتدريسه وغير ذلك من وظائف الدين كما أجازني بذلك والدي وشيخي وبركتي سيدي السيد محمد عثمان ميرغني وهو عن والده الاستاذ صاحب الفيض والمنن سيدي السيد محمد الحسن ميرغني وهو عن والده العارف بالله المنان ختم أهل العرفان المذكور آنفا جدي السيد محمد عثمان هو عن أستاذه القطب الغوث الفرد الجامع والغيب الهطل الهامع العارف بالله النفيس ابي محمد الشريف سيدي السيد أحمد بن إدريس وهو عن استاذه القطب الفرد الجامع والغيب العاطل الهامع الشريف سيدي السيد عبد العزيز الملقب بالدباغ وهو عن أستاذه العبد الكريم على رب الذي أتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علمه سيدي ابي العباس

الخضر عليه السلام وهو عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وعن رب العزة جل جلاله هذا وأوصيه بتقوي الله في جميع الانفاس وملازمة ذكره المطهر من الأدناس وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبقدر عظمة ذاته أمين .

علي ميرغني 1237هـ.

ملحق رقم (3)

سلسلة نسب السيد محمد عثمان الختم

محمد عثمان بن السيد ابي بكر بن مولانا السيد عبدالله الميرغني المحجوب بن السيد إبراهيم بن السيد حسن بن السيد محمد أمين بن السيد على ميرغني بن السيد حسن بن السيد ميرخورد بن السيد حيدربن السيد حسن بن السيد عبدالله بن السيد على بن السيد حسن بن السيد حيدر بن السيد ميرخورد بن السيد حسن بن السيد بن أحمد بن السيد على بن السيد إبراهيم بن السيد يحيي بن السيد حسن بن السيد بكر بن السيد على بن السيد محمد بن السيد إسماعيل بن السيد ميرخورد البخاري بن السيد عمر بن السيد علي بن السيد عثمان بن الإمام على المتقي بن الإمام الحسن

الخالص بن على الهادي بن محمد الجواد بن الإمام على الرضا بن الإمام موسي الاظمبن الإمام جعفر الصادقبن الإمام محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن على بن ابي طالب كرم الله وجهه وابن الزهراء البتول[1].

ملحق رقم (4)

بيعة الإمام الختم السيد محمد عثمان الميرغني

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

اللهم أنى تبت إليك ورضيت بسيدي السيد محمد عثمان الميرغني شيخا لي في الدنيا والآخرة فثبتني اللهم على محبته وعلى طريقته في الدنيا والآخرة بحق سيدنا محمد بن عبد الله بن عدنان، ويحق بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، اياك نعبد وأياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين انعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين آمين[2].

ملحق رقم (5)

كيفية إنتقال المقدمات

تغسل أو كغسل الجنابة يوم الأربعاء بامر شيخك وتصلى ركعتين الأولي بالفاتحة والكافرون، والثانية بالفاتحة وسورة النصر ثم تسلم وتقرأ البيعة وكيفتها:

(اللهم إني تبت إليك ورضيت بسيدي محمد عثمان شيخا في الدنيا والآخرة ثبتني اللهم على صحبته وطريقته في الدنيا والآخرة بحق سيدنا محمد بن عبد الله بن عدنان ويحق بسم الله الرحمن الرحيم)

وتقرأ الفاتحة سرا ثم تشرع في التهليل وعدده سبعون الفا بالوضوء وتستعمل في مجلسك ذلك نحو مائة مرة ثم تتم باقي العدد قائما أو قاعدا بالوضوء ثم فراغك من التهليل تغتسل ايضا كما تقدم وتستعمل الأخلاص مائة ألف بلا ضوء ايضا ثم تغتسل ايضا كما تقدم يوم الأربعاء بعد الصبح واستعمل البسملة اثني عشر ألف في مجلس واحد مع الطهارة الكاملة ثم بعد تمام المقدمات تمضي إلى شيخك يلقنك الذكر[3].

ملحق رقم (6)

توجيه من السيد محمد الحسن إلي اسرة الحمدتيات

بسم الله الرحمن الرحيم به الإعانة بدءا وختما وصلى الله على سيدنا محمد ذاتا ووصفا واسما وأن رق مولاه

الفتي محمد الحسن ميرغني إلي حضرة العالم العلامة والحبر الفهامة التقي الفقيه الأجل الشيخ حمدتو محمد مدني والفاضل الأريب الكامل الأريب الفقيه شيخ ولد ابراهيم واولاد الحاج شيخ حمدتو مدني وأبي بكر ومحمد الماحي واولاد أحمد محمد أحمد وأبابكر وكامل الجماعة الحمدتوياب حفظهم الله ورعاهم وفي جميع السوء والمكروه حماهم امين وبعد ترديد السلام عليكم ورحمة الله تعالي وبركاته والذي تعرفكم بعه أن اخينا الخليفة حمدتو حضر عندنا واخذ الطريقة وخلفناه واجزناه إجازة كبري في جميع اذكار الطريقة واورادها استعمالا وتسليكا لمن يطلب وردا خاصا أو عاما ومرادنا في جنابكم مراعاته ومساعدته ومحاضرته ومعاونته كونكم بفضل الله من اخواننا واحباننا من سابق إلى الآن لكن ليس في مسجدكم راتب ولا مولد ولاشيء من وظائف الطريقة المخصوصة وقد عينا الخليفة حمدتو للقيام بجميع ذلك وطلبنا منكم مساعدته ومعاضدته والله يؤيده ويتقبل اعماله ويرفع قدره وذكره [4].

سنة 1283- محمد الحسن الميرغني

ملحق رقم (7)

اجازة السيد عبد الله محجوب الميرغني

(.....) يهمنا كما خوطب بذل مرة و(نسأل) الله الشكرعلى هذه المسرة، وأقول قد (أجزت) وخلفت عن المحب الصفي والخل واثق العهد الوفي صديقي وحميمي الصادق ولي ومحبي الموافق الخليفة محمد ولد عيسى وجعلته خليفة الخلفاء.

وأجزت له في طريقتنا المذكورة في ما فيه له فيه أهلية من علوم الطاهر البهية، كما اجازني والدي وعمي عن من ذكرتهم وغيره في الطريقتين ثبتني الله واياه وإياكم وجميع اصحابي واحبابي على النهجية واوصيه بتقوى الله في كل الانفاس وذكره المطهر من الأدناس وأن لا ينسانا من صالح الدعوات في خلواته وجلواته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه بقدر عظمة ذاته، آمين. عبد الله محجوب ميرغني[5].

ملحق رقم (8)

خطاب من المهدي إلي محمد عثمان بن محمد الحسن الميرغني

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الله الوالي الكريم، والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم، ويعد فمن العبد

المفتقر إلي الله محمد المهدي بن عبد الله إلى حبيبه في الله محمد عثمان بن محمد الحسن ميرغني كان له مولاه الغني أمين.

اما بعد فجزيل السلام ورحمة الله وبركاته عليكم وعلى من لديكم ثم تعليمكم انه قد تكررت المخاطبات منا إلى عباد الله بالدعوة إلي الله والإنابة إلي ما عنده والقيام بامره والأنقياد له والخروج عن النفس والعلاقة المعوقة كل من أخلص لله وكان امره لله قد اتصل لدين الله معنا ومن لم يجتمع قام بأمر الله على قصد اعانتنا وقاسي الشدائد لصفاء سريرته في إيثار ما عند الله فهو منا وإلينا ولو مات على ذلك فجدير أن يتصل بربه ويتنعم عنده با لا يوصف من النعيم المقيم ويستريح من شؤون الدنيا وقد كاتبناك خاصة غير مرة رعاية لمقامكم وشفقة عليكم وظنا لخيركم فما رددتم إلينا جوابا ولا حضرتم للهجرة ولا حصلت منكم غيره للدين باعمال حركة في جهتكم وما أدري ما المانع لكم من ذلك مع انك من أولي بالفرح بنا واجابتنا ونصرة دين الله من كل أحد فما الذي اخركم حتى فاتكم العوام وانتم العارفون وأولو الشرف والمقام وذووا الالباب الذين قال الله فيهم أن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون

الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلفت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخذيته وما للظالمين من انصار ربنا أننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم قامنا وانكم من أعظم من يعد ويظن بالصداقة والأخلاص لله في مثل هذا الأمر وما عهدتك أنك تتباطي على قدر هكذا لأنك جد عارف بعظمة ما عند الله وخسة الدنيا ومافيها ووجوب الهجرة إلي إذ أنه لا يخفي على من دونك خليفة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) محي ما أندرس من الدين ومظهر آثار المرسلين ومن المعلوم أن المهدية اختبار لمن يدعي الدين فكل من كان لدين الله الخالص صادقا لا يأبي التعبد والإنقياد والتواضع لحوز ما عند الله الدايم، ومن كان باطنه حب الجاه ويجيء إليه من الهدايا والوظيفة عند غير الله مال إلي ذلك وتوقف وصرف جماعة من الناس عن الدين الواصل كما كان ذلك دأب القسيسيين والرهبان الذين كانوا يعرفون رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ويستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به خوفا من فوات الجاه والوظيفة عند الناس ومايجيء إليهم من الهدايا والقطايف حب متاع الحياة الدنيا وما ذلك عند الله بمخلص ولا يتولي

العبد عند لقاء الله تعالى ليس بامانيكم ولا ما في أهل الكتاب من يعمل سوء يجزيه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وقال وما يغني عنه ماله إذا ترى إلي غير ذلك وانك ياحبيبنا ممن لم يكن دينه على حرف أن اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة أنقلب على وجهه بل أنت ممن يطلب رضاء الله ولو تقطعت اربا اربا وفاتت عنك جميع المطالب النفيسة لا تعلمه من عظمه الهض ونعمته وشدة عقابه لمن وقع فيه وكل ذلك أنت خبير به وشانك ان تربي من أتاك هكذا فاستعمل ذلك وتبصر عاقبة امرك فانه لاغناء لك من صلاح نفسك واكتساب ما عند الله وانك من اعظم من يقبل النصح تواضعا لله الذي خلق واحيا واليه المرجع ومن اخص المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فإذا بلغك جوابي هذا فاما أن تهاجرإلي انت ومن معك من الأصحاب المحبين من غيرنظر أي علاقة، واما أن تحاصروا الترك الذين في جهتكم وتجاهدوا من اغتر بزينة الدنيا ولا رضاء لنا عنكم إلا بهذين الأمرين فإن فعلتم احداهما رضينا عليكم وإلا فلا وقد تعلم انه لا يتحول أحد بغير الله فلا تخافوا اعداء الذين نواصيهم بيد الله واستعملوا امر الله فيهم ولانابوا بلاء الله لكم لتصفية الإيمان والفوز عند الرحمن فالي متى الفرار

من بلاء إلهن الذي فيه لكم الكرامة والفخامة والله تعالي يقول: (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباسا والضراء وزلزوا) وكيف لمثلك أن يركن إلى الراحة وترف المترفين في دار الظالمين فأنهض همتك وقو بالله عزمك وشمر فيما يرضيه جهدك وقد ذ كرتك بها امتثالا لأمر الله تعالي لقوله: (وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين) هذا وإذا توكلتم على الله ورغبتم الجهاد والمحاصرة هناك فاتحدوا مع عثمان دقنة مع جميع الأمراء الموجودين هناك ولا تخالفوا عثمان دقنة في شيء لا تستأنفوا من ذلك فإن منزلتكم عندنا معروفة وأولي التقدم المذكورين في إيثار ماعند الله والرغبة في وسع درجات الآخرة لمعلومكم إن ما عند الله وأبقي ومعلوم أن العاقل يسعى فيما هو خير لا سيما وقوة احاطتكم بمعرفة عظمة ما عند الله ومعرفة خسة الدنيا وما فيها فلذلك لا يخفي أن المخلص في طلب ماعند الله يطيب قلبه أن يشيد الدين ويؤيده ولو مع شلكاوي وإن قصد المؤمن المصدق حوز رضاء الله والسعي فيما يقربه من الله ومن كان على حرف من الدين فرح أن وجد الرياسة والمال والمنافع الفانية وان لم يجد ذلك نازع واعرض اعاننا الله وأياكم من ذلك إذ أن ذلك للمنافقين الذين قصرت

همتهم على الدنيا فرضوا بها واطمانوا غافلين عن آيات الله تعالي ولم يجعل الدار الآخرة للمؤمنين المخلصين قال الله تعالي: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا) فإرادة العلو مفهومة وارادة الفساد اعظمها حب الدنيا إذ هي رأس كل خطيئة ولظننا ببراءة ساحتكم عن ذلك كاتبناكم اولا من ابتداء امر المهدية لظن الخير فيكم وقيامكم بخالص الدين وما نظن توقفكم عن الهجرة والجهاد هذا لان يحسد الحاسدين فإذا بلغكم جوابي هذا فحققوا ظني فيكم وقد ذكرنا لكم إذا أن الكشف الصادق والدكم السيد الحسن اتا الينا مرارا وتكرارا بامرات وببعض الصفات التي تحققت فبعد هذا فمثلكم أولي بالقيام بما لله وإيثاره على جميع المشاهي والسلام شوال 1201هـ[6].

هوامش الملاحق:

(1) انظر: جعفر بن محمد عثمان الميرغني ، لؤلؤة الحسن الساطعة ، صفحات ، 39, 40

(2) انظر: الميرغني ، محمد عثمان ، راتب الميرغني ، ص 4

(3) المرجع السابق نفسه ، صفحات ، 6, 5

(4) انظر: متنوعات ، 1/64/1159 ، دار الوثائق المركزية ، السودان.

(5) انظر: أبو سليم ، بحوث في تاريخ السودان ، مرجع سابق ، صفحات ، 141, 140.

(6) انظر: المهدي ، منشورات ، صفحات ، 168, 167, 166, 165, 164

قائمة المراجع والمصادر

أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) طائفة الختمية وأصولها التاريخية وأهم تعاليمها، طبعة أولى، بيروت: دار خضر للطباعة والنشر، 1992.

أحمد محمد شاموق، من هوامش الثورة والسياسة، بيروت: دار العربية للطباعة والنشر، أغفلت تاريخ الطبع.

أحمد سليمان، ومشيناها خطي، صفحات من ذكريات شيوعي أهتدى، الجزء الثاني، طبعة أولى، الخرطوم: دار الفكر للطباعة والنشر، 1986.

أحمد عبد الرحيم نصر (دكتور) الإدارة البريطانية، والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان –دراسة أولية- الخرطوم، وزارة التربية والتوجيه، الشؤون الدينية والأوقاف، 1979.

أحمد عثمان إبراهيم، تطور الوعي القومي في السودان، ود مدني: السودان، مطابع دار النيل الأزرق للطباعة والنشر، أغفلت تاريخ الطبع.

أحمد عثمان إبراهيم، من أشعار الشايقية، طبعة ثانية، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، 1992.

أحمد بن الحاج علي أبو علي، كاتب الشونة، حققه الشاطر بُصيلي عبد الجليل، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

أحمد أمين (دكتور) ظهر الإسلام، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1996.

ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، المجلد الأول، دار البيان، أغفلت تاريخ الطبع.

أبو الحسن علي الندوي، مذكرات سائح في الشرق العربي، طبعة أولى، مكتبة وهبة، 1954.

الصادق المهدي، ويسألونك عن المهدية، بيروت: دار القضايا، 1975.

الصادق المهدي، مستقبل الإسلام في السودان، طبعة أولى، مؤسسة المدينة للصحافة، 1973.

الطيب محمد الطيب، المسيد، طبعة أولى، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، 1991.

المهدي، منشورات المهدي، الجزء الثاني، طبعة ثالثة، الخرطوم: إدارة المحفوظات المركزية، وزارة الداخلية، الخرطوم، 1964.

الكلاباذي، أبوبكر محمد، التعرف إلى مذهب التصوف، حققه عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، القاهرة: البابي الحلبي، 1960.

الرباطابي، أحمد بن إدريس، الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، طبعة أولى، بيروت: دار الجيل، 1991.

النبهاني، يوسف بن إسماعيل، جواهر البحار في فضائل النبي المُختار (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، الجزء الثاني، مصطفى البابي الحلبي، 1960.

الميرغني، محمد عثمان، الأساس والراتب، طبعه أولى، الخرطوم: المكتبة الإسلامية، 1987.

الميرغني، محمد عثمان، راتب الميرغني يحتوي على الراتب، التوسلات، الشكية المحامدالاستغفار، القاهرة، دار الوطني للنشروالاعلان والتوزيع، أغفلت تاريخ الطبع.

الميرغني، محمد عثمان، المسبعة الميرغنية المشتملة على الصلوات الأسبوعية المُسماة فتح الرسول، طبعة ثانية، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1957.

الميرغني، محمد عثمان، مولد النبي المُسمي بالأسرار الربانية، طبعة أولى، الخرطوم، المكتبة الإسلامية، 1976.

الميرغني، محمد عثمان، النفحات المكية وللمعات الحقية في شرح أساس الطريقة الميرغنية، مصطفى البابي الحلبي، 1980.

الميرغني، محمد عثمان، وجعفر الصادق بن محمد عثمان الميرغني، مجموعة الرسائل الميرغنية في آداب الطريقة الختمية، مصطفى البابي الحلبي، 1989.

الميرغني، محمد عثمان، النور البراق في مدح النبي المصداق (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، طبعة ثانية، الخرطوم، المكتبة الإسلامية، 1981.

بشير محمد سعيد، خبايا وأسرار في السياسة السودانية، طبعة أولى، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1993.

بابكر بدري، تاريخ حياتي، الجزء الثالث، أغفلت تاريخ الطبع.

ب. م. هولت، دولة المهدية في السودان في عهد الخليفة عبد الله 1998- 1885 ترجمة هنري رياض

وآخرون، بيروت، دار الجيل ومكتبة خليفة عطية، أغفلت تاريخ الطبع.

جعفر الصادق بن محمد عثمان، الديوان الكبير رياض المديح وجلاء كل ذي ود صحيح وشفاء كل قلب جريح في مدح النبي المليح (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1993.

جعفر الصادق بن محمد عثمان الميرغني، رسالة الختم في بعض المُبشرات في الرسائل الميرغنية المُشتملة على اثنتي عشرة رسالة في آداب الطريقة الختمية، الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي وأوللاده بمصر، 1979.

جعفر محمد علي بخيت (دكتور) الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان 1919-1939، ترجمة هنري رياض، طبعة أولى، بيروت، دار الثقافة، مكتبة خليفة عطية، 1972.

حسن مكي محمد أحمد (بروفيسور) الثقافة السنارية المغزى والمضمون بمناسبة مرور خمسمائة عام هجري على قيام سلطنة سنار الإسلامية، الخرطوم، مركز البحوث والترجمة، جامعة إفريقيا العالمية، إصدارة 15.

حسن محمد الفاتح قريب الله (بروفسور) التصوف في السودان إلى نهاية عصر الفونج، طبعة أولى، مطبوعات كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1987.

حسن علي الساعوري (وآخرون) عمال السودان والسياسة، القاهرة، الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل، 1986.

حسن نجيلة، ملامح من المجتمع السوداني، طبعة ثانية، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1991.

زكي بحيري (دكتور) التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان من الأزمة الاقتصادية العالمية حتى الاستقلال 1956- 1930 طبعة أولى النهضة المصرية 1987.

علي زين العابدين، تاج الأولياء والأولياء، طبعة أولى، بيروت، دار ومكتبة الهلال 1984.

عبد القادر محمود (دكتور) الفكر الصوفي في السودان مصادره وتياراته وألوانه، طبعة أولى، دار الفكر العربي 1968.

علي عبد الرحمن الأمين، الديمقراطية والاشتراكية في السودان، بيروت، مشورات المكتبة العصرية، 1970.

عبد الرحمن المهدي، جهاد في سبيل الاستقلال، أشرف على إعداده الصادق المهدي، الخرطوم، المطبعة الحكومية، أغفلت تاريخ الطبع.

علي صالح كرار (دكتور) الطريقة الإدريسية في السودان، طبعة أولى، بيروت، دار الجيل، 1991.

عثمان سيد أحمد (دكتور) الختمية والانصار، الخرطوم، الشركة السودانية للتوزيع، أغفلت تاريخ الطبع.

عثمان دقنة، مذكرات عثمان دقنة، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، طبعة أولى الخرطوم، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، 1974.

عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن (دكتور) توشكي دراسة تاريخية لحملة عبد الرحمن النجومي على مصر، طبعة أولى، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر 1979.

عبد الله حسن زروق (دكتور) قضايا التصوف الإسلامي، طبعة أولى، الخرطوم، دار الفكر 1985.

محمد إبراهيم أبو سليم (بروفسور) الحركة الفكرية في المهدية، طبعة أولى، الخرطوم، جامعة الخرطوم، قسم التأليف والنشر، 1970.

محمد إبراهيم أبو سليم (بروفسور) مكي الطيب شبيكة 1905 -1980 لجنة تأبين فقيد العلم والوطن، مكي الطيب شبيكة، مطبعة جامعة الخرطوم، أغفلت تاريخ الطبع.

محمد إبراهيم أبو سليم (بروفسور) بحوث في تاريخ السودان، طبعة أولى، بيروت، دار الجيل، 1992.

مكي شبيكة (بروفسور) السودان والثورة المهدية، الجزء الأول من موقعة أبا إلى حصار الخرطوم، طبعة أولى، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1978.

مكي شبيكة (بروفسور) السودان عبر القرون، بيروت، دار الثقافة، 1967.

محمد عمر بشير (بروفسور) العلاقة العربية الإفريقية دراسة تحليلية، الخرطوم، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، الخرطوم، 1984.

محمد عمر بشير (بروفسور) تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900-1969 الخرطوم، الدار السودانية للكتب، أغفلت تاريخ الطبع.

محمود عبد الله بُرات، تعليم الفتاة في السودان، أهدافه ومناهجه من منظور إسلامي، في الإسلام في السودان، أعد المقالات للنشر مدثر عبد الرحيم والطيب زين العابدين، طبعة أولى، الخرطوم، دار الأصالة 1987.

محمد أحمد الحاج (بروفسور) المهدية وأثرها الديني في السودان، في الإسلام في السودان، طبعة أولى، الخرطوم، دار الأصالة 1987.

محمد فؤاد شكري (دكتور) مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر 1899 – 1820 طبعة ثانية دار المعارف بمصر 1958.

محمد أحمد كرار، الأحزاب السودانية والتجربة الديمقراطية، الخرطوم، دار الفكر للطباعة والنشر 1985.

محمد إبراهيم الطاهر، تاريخ الانتخابات البرلمانية، بنك المعلومات السوداني، أغفلت تاريخ الطبع.

محمد أحمد محجوب، الديمقراطية في الميزان، طبعة ثالثة، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1989.

محمد سليمان صالح ضرار، أمير الشرق، طبعة أولى، الدار السودانية للكتب، طبع بمطابع مدكور، أغفلت تاريخ الطبع.

محمد محجوب مالك، المقاومة الداخلية لحركة المهدية 1881 – 1889 طبعة أولى بيروت، دار الجيل، 1987.

مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، 1960.

مدثر علي البوشي، البعث الوطني ورافد الزحف، الخرطوم دار الفكر الحديث، أغفلت تاريخ الطبع.

محمد أحمد حامد محمد خير، الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج، طبعة ثانية، الخرطوم، دار المأمون 1987.

محمد أحمد حامد محمد خير، براءة الشيعة من مفتريات الوهابية، أغفلت تاريخ الطبع واسم الناشر.

محمد الخليفة طه الريفي، السادة المراغنة، الخرطوم، المكتبة الإسلامية، 1983.

نعوم شقير، تاريخ السودان الحديث، الجزء الثالث، أغفلت تاريخ الطبع.

نور الدائم، عبد المحمود، المناقب الصُغرى لسيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير، أغفلت تاريخ الطبع واسم الناشر.

يوسف فضل حسن (بروفسور) دراسات في تاريخ السودان، الجزء الأول، طبعة أولى، الخرطوم، جامعة الخرطوم، دار التأليف والنشر 1975.

يوسف فضل حسن (بروفسور) من معالم تاريخ الإسلام في السودان، الخرطوم، دار الفكر والطباعة، 1987.

يوسف فضل حسن (بروفسور) الشلوخ أصلها ووظيفتها في سودان وادي النيل الأوسط، طبعة ثانية، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1989.

يحيي محمد عبد القادر، على هامش الأحداث في السودان، (الخرطوم: الدار السودانية للكتب) (أغفلت تاريخ الطبع)

المقالات المنشورة:

تاج السر حران (بروفسور) فكرة المهدية عند الشيعة الأثنا عشرية، ضمن دراسات في تاريخ المهدية، أصل البحوث قُدمت في المؤتمر العالمي لتاريخ المهدية، الخرطوم نوفمبر – ديسمبر 1981 أعدها للنشر عمر عبد الرازق النقر، مطبوعات قسم التاريخ، جامعة الخرطوم.

خالد حسين الكد، الأفندية ومفهوم القومية في الثلاثين سنة التي اعقبت الفتح في السودان 1898 – 1928 مجلة الدراسات السودانية يصدرها معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم، المجلد الثاني عشر، العدد الأول ابريل 1992.

كتب بالأنجليزية:

Ali Salih Karrar: The Sufi Brother hoods in the Sudan. London Hurst and C. Company 1992.(

A.B. Theobald. Ali Dinar Last Sultanate of Darfur in Sudan, London (1965 .(

Gabril Warbury. The Sudan under Wigate Administration in the Anglo- Egyptian Sudan 1899 – 1916London (1971.(

John Voll: A history of the Khatmmya tariqa in .(The Sudan (Harvard 1969

J.S.R Duncan, The Sudan's Path to Independence (London: 1956.(

P.M. Holt. A. Modern History of the Sudan from the Funj Sultanate to the Present-Day London 1963 .

البحوث غير المنشورة:

احمد عثمان محمد إبراهيم، الجزيرة في خلال المهدية 1881- 1898 جامعة الخرطوم كلية الآداب سبتمبر 1970 مطبوعة بالآلة الكاتبة.

الناصر عبد الله أبو كروق، تاريخ مدينة كسلا 1897 – 1883 ماجستير – كلية الأداب – جامعة القاهرة 1967 مطبوع على الآلة الكاتبة.

الوثائق بدار الوثائق السودانية بالخرطوم:

الميرغني، محمد عثمان، إجازة ختمية، الخرطوم، دار الوثائق تحت الرقم:

.317/19/1

الميرغني، محمد عثمان، ترجمة الإمام السيد محمد عثمان الميرغني المحجوب المكي، الخرطوم، دار الوثائق، قطعة رقم:

متنوعات 1119 /1/119 1119

جعفر الصادق بن محمد عثمان، لؤلؤة الحسن الساطعة في بعض مناقب ذي الأسرار اللامعة والفيوضات الوهبية النافعة سيدنا وأستاذنا السيد محمد عثمان الميرغني، متنوعات. 283

المقابلات:

أحمد بن محمد عثمان بن أحمد بن محمد عثمان الميرغني:

تاريخ ميلاده.1957

عمل أستاذا بجامعة أم درمان الإسلامية بكلية الطب، كما أنه جراح معروف، موضوع المقابلة عن علاقات أسرة السيد أحمد والسيد علي الميرغني ومواقف أسرة السيد محمد عثمان الذي نعرفه في الدراسة بمحمد عثمان شمبات، جرت المقابلة في منزله بالخرطوم- مدينة شمبات – قرب كلية الزراعة جامعة الخرطوم- تاريخ المقابلة: 19/10/1996

حسن بن محمد الفاتح بن قريب الله بن أبو صالح بن أحمد الطيب البشير:

بروفسور وأستاذ جامعي وقائد صوفي معروف، عمل مديراً لجامعة أم درمان الإسلامية، له منزلة مهمة في المجتمع الصوفي والفكري السوداني، مقابلات عن المهدية وصلتها بالسمانية. جرت المقابلات بمسيده ومسجد جده الشيخ قريب الله بأم درمان، مدينة الخرطوم، بالسودان.

تاريخ المقابلات ابتداءً منذ 4/10/1996:

الخليفة محمد نور البدوي، من منطقة الشايقية بشمال السودان، وهي منطقة عرفت بولائها للمراغنة والختمية، موضوع المقابلة: الكرامة عند الختمية، جرت المقابلة بمنزله بأم بدة مدينة أم درمان، الخرطوم، تاريخ المقابلة 27/10/1996.

المؤلف في سطور:



طارق أحمد عثمان محمد إبراهيم الأبكراوي

ولد بمدينة الخرطوم 1971م.

دكتوراة التاريخ الإفريقي

ماجستير الدراسات الإفريقية

بكالريوس في اللغة العربية وآدابها

من مؤلفاته المنشورة:

الختمية في السودان (طبعة أولى وثانية)

السمانية في السودان

تجديد الخطاب الإسلامي في السودان

قضايا في الشأن الإسلامي

الحامداب الأرض والحياة والناس (دراسة في التاريخ الاجتماعي)

الحياة الدينية في أرض المناصير في السودان

الإسلام والسياسة في السودان

الشيخ حاج نور لمحات من آثاره في الحياة السودانية

كتب قُبلت للنشر:

القرآن والتاريخ (دراسة في أصول المعرفة التاريخية في القرآن الكريم)

المسيحية في إفريقيا (أصولها- تطورها - انتشارها)

يعمل الأن استاذاً جامعياً بدولة الإمارات العربية المتحدة - جامعة زايد.